صحيح الآداب والأخلاق

من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

ومعه

شروح وتعليقات لجماعة من علماء الأمة

جمع وتعليق وتخريج

عراقي محمد حامد

دار ابن حزم

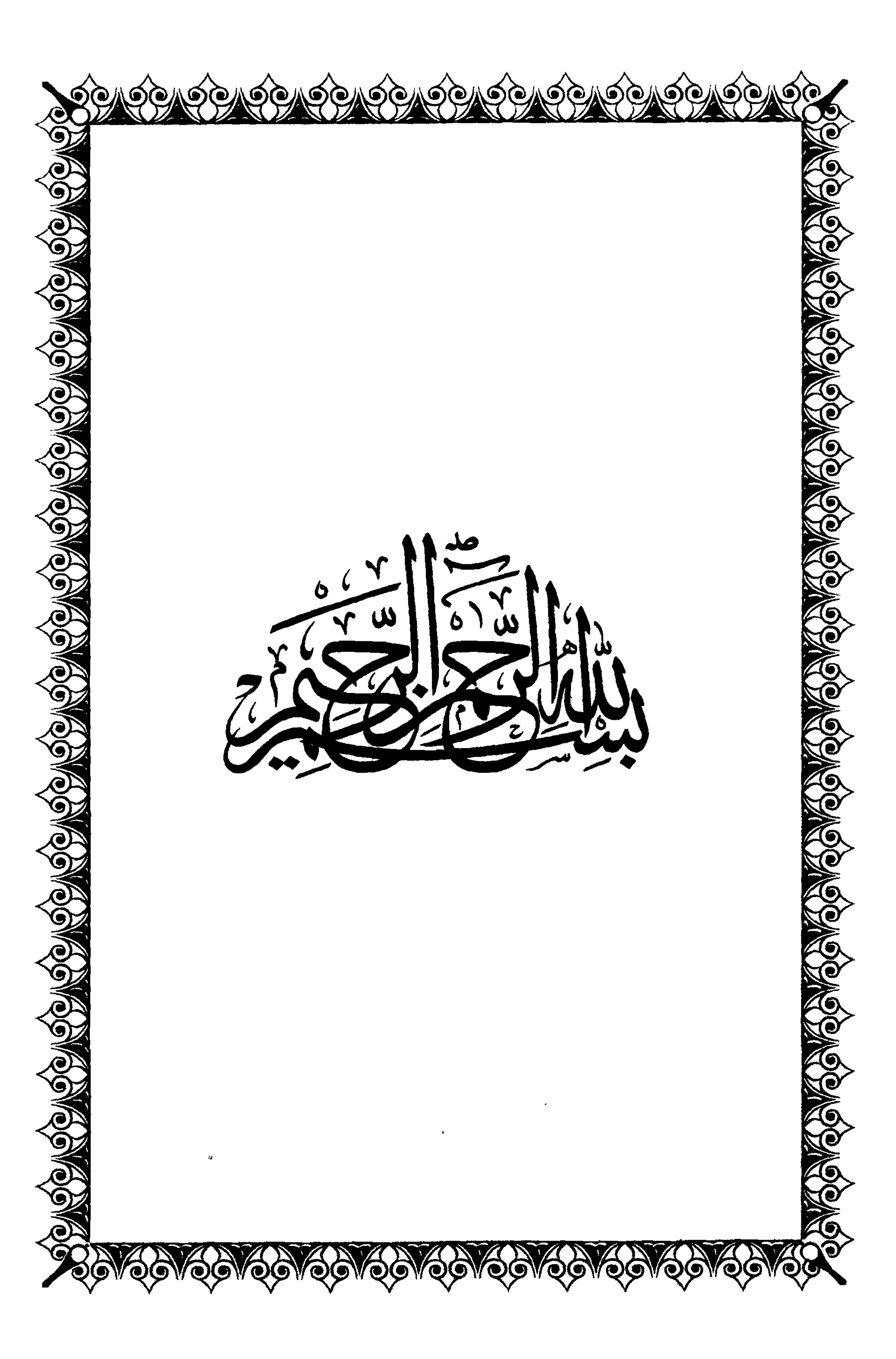
القاهرة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ/٢٠١٠م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:
٢٠٠٩\٢٣٩٠٠

دار ابن حزم
للطباعة والنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية
القاهرة:٢٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٠٢٠٢٢٥١٤٣١٤١ فاكس:٠٠٢٠٢٢٥١١١٧٥٠


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد:

لحسن الخلق فضائل عديدة، فهو امتثال لأمر الله ورسوله وبه ترفع الدرجات، وتُيسر الأمور، وتُسْتَرُ العيوب، وتُكْسَبُ القلوب.

ونظام الأخلاق في الإسلام يشمل أموراً حثّ الشارع علىٰ فعلها والتحلي بها، لما لها من الأثر في صلاح المجتمع والأفراد، وقربهم من الله.

فبالتزامها تسود المحبة وتتقارب القلوب، ويتعامل الناس بالمودة والتراحم والتعاون، وتوجد الثقة بين أفراده، ويشعر الجميع بالرضىٰ والأمن.

ومن ثم فيجب علىٰ المسلمين أن يقتدوا بهذا الرسول الكريم ﷺ، في أخلاقه ، وآدابه، وتواضعه، وحلمه، وشجاعته، وكرمه، وتوحيده لربه، ولا سيما نحن في عصر نحتاج إلىٰ نشر التوحيد والأخلاق اللذين انتصر بهما المسلمون، وانتشر الإسلام .

ومن هنا جمعنا في هذا الكتاب مجموعة من الآداب والأخلاق مع تبويب موضوعاتها ليسهل علىٰ القارئ الاستفادة منها، مع إضافة شروح وتعليقات لنخبة من العلماء.

وفي نهاية الحديث ذكرنا طرفًا من فوائده.

منهج العمل في الكتاب:

١- جمع الأحاديث التي تناولت الآداب والأخلاق وتبويب موضوعاتها ليسهل علىٰ القارئ الاستفادة منها.

٢- ضبط النص ومقابلته، مع بيان معاني الكلمات، وإضافة شروح وتعليقات لكبار العلماء، وفي نهاية الحديث ذكرنا طرفًا من فوائده.

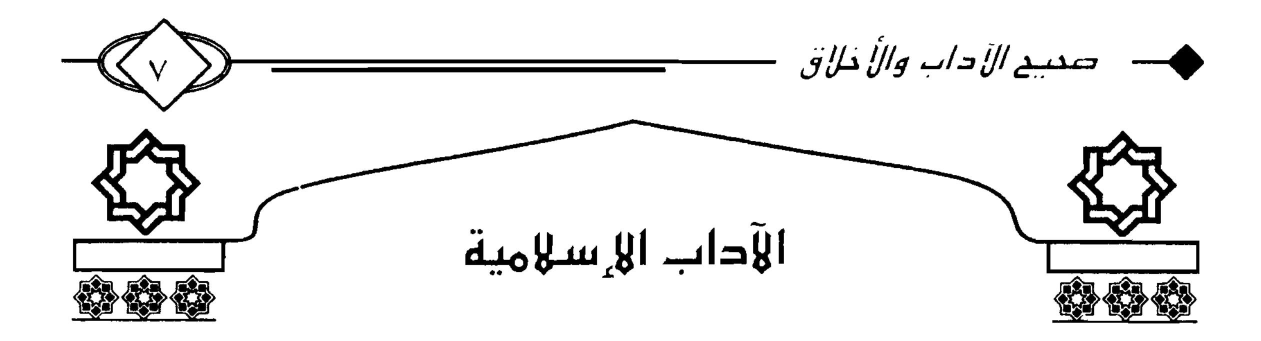
٣- عزو الآيات القرآنية إلىٰ مواضعها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٤- عزو الأحاديث إلىٰ مصادرها من كتب السنة فالأحاديث التي في الصحيحين العزو إليهما يكفي للدلالة علىٰ صحة الحديث وما كان خارج الصحيحين قمنا بعزوه إلىٰ مصادره واستعنَّا بتحقيقات العلامة الألباني -رحمه الله تعالَىٰ- في الحكم علىٰ الأحاديث التي وجدنا له أحكامًا عليها.

وختامًا:

فهذا جهد المقِل، فما كان من توفيق فهو من الله وحده، وما كان من زلل أو خطأ فهو من عند أنفسنا ومن الشيطان، فنسأل الله سبحانه أن يغفر لنا، ويتجاوز عن زلاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.. ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.



الآداب الإسلامية

تعريف الأدب:

كلمة الأدب تعني الاتصاف بالأخلاق الجميلة، والاحتراز عما يقابلها من سفاسف الأمور.

وهذا هو المعنىٰ المتبادر من إطلاقها إلاّ أنّها قد تطلق علىٰ المظهر الخارجي للخلق.

والفرق بين الأدب والخلق: أن كلمة الآداب تعني السلوك كما تعني الأسلوب الذي يسير عليه الإنسان في تصرفاته الشخصية أو حين يتعامل مع الناس.

أمّا كلمة الأخلاق فتطلق علىٰ الطبع والسجية والعادة بل وعلىٰ غريزة الإنسان العاقلة.

وخلاصة القول، أنّ كلمة الأدب تعني المظهر الخارجي للأخلاق الجميلة أو السلوك الذي ينبغي أن يراعي الشخص مع غيره.

والأدب نوعان:

طبيعي: ما يفطر عليه الإنسان من الأخلاق الحسنة السنية والاتصاف بالصفات المرضية مثل الحلم والكرم وحسن الخلق والحياء والتواضع والصدق وغير ذلك من الصفات الحميدة.

وكسبي: فهو ما يكتسبه الإنسان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر، وهو عبارة عن ستة أشياء: الكتاب والسنة والنحو، واللغة والشعر، وأيام الناس.

فكلمة الأدب كانت تطلق عند العرب علىٰ الأخلاق الحسنة، وأمّا بعد الإسلام فقد أطلق بجانب ذلك علىٰ الكلام الحسن والجيد من الأقوال سواء كان نثرًا أو شعرًا.

ضرورة الالتزام في الآداب بما جاء في القرآن والسنة:

إن هذا الدين الذي لا يقبل عند الله سواه له أصلان هما الكتاب والسنة النبوية الثابتة، وهذان المصدران هما القرآن الكريم والسنة النبوية.

وعلىٰ هذا الأساس فهذا الدين غني عن الزيادة والإضافة أيًا كان نوعها، بعدما أكمله الله سبحانه وتعالىٰ، وبناء علىٰ هذا، عندما نمارس الآداب فيجب أن نلتزم بما جاء في القرآن وفي السنة النبوية الثابتة دون أن نختلق من تلقاء أنفسنا أمورًا لم تثبت عن الشارع بقصد حسن النية ثم التقرب بها إلىٰ الله راجيًا منه الثواب والمغفرة؛ لأنّ الأمور التي يتقرب بها المسلم إلىٰ الله لا بد أن تجتمع فيها أربعة شروط:

١- أن تكون مشروعة بنص من الكتاب أو السنة الثابتة أو باجتهاد معتمد عليه.

٢- أن تقع في الحدود المقرر لها من الزمان والمكان.

٣- أن تقع بالكيفية التي أمر بها الشارع.

٤- الإخلاص في القربىٰ إلىٰ الله تعالىٰ.

وإذا انتفىٰ شرط من هذه الشروط فلا تعتبر قربة بل تكون بدعة حينئذ.

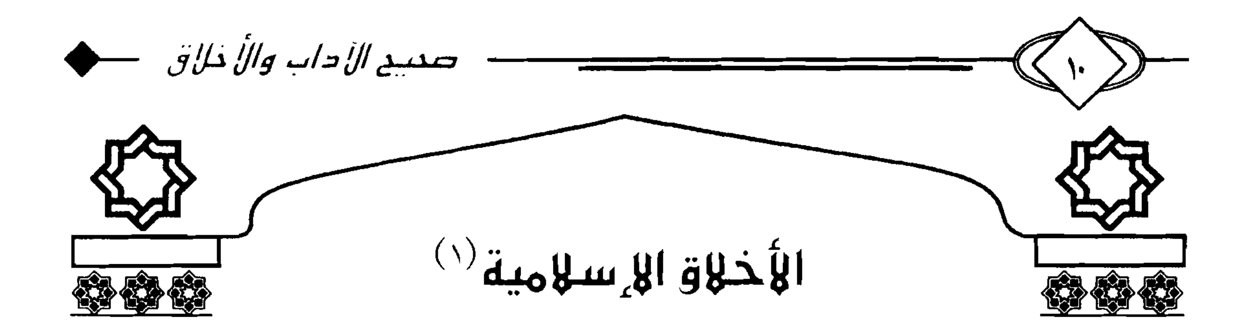
وعلىٰ هذا يجب علىٰ المسلم الغيور علىٰ دينه أن يلتزم بما شرعه الله سبحانه وتعالىٰ حين يرد علىٰ غيره، وحين يصحح انحرافًا معينًا حتىٰ لا يقع في انحراف آخر مقابل تصحيح انحراف قديم.

ويجب علىٰ المسلم ـ أيضًا ـ أن يلتزم بصورة دقيقة بكل ما ثبتت

مشروعيته في كل حياته.

والآداب منها ما هو مستحب ومكروه، ومنها ما هو واجب ومحرم، ومنها ما هو مباح، وسوف يتضح بيانها عند قراءتها .

والآدابُ التي نعنيها شملت كثيرًا من أمور الدين والدنيا، فالعبادات لها آداب، ومخالطة الناس والأهل والأولاد لها آداب.



الأخلاق الإسلامية[١]

للأخلاق في الشريعة الإسلامية مكانة عظيمة، كفىٰ أن جعلها النبي ﷺ من لُبِّ رسالته، فقال: «إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»[٢].

والخلق: هو السجيةُ والطبع، وهو كما يقول أهل العلم: صورةُ الإنسان الباطنة؛ لأن للإنسان صورتين:

صورة ظاهرة: وهي شكل خِلقته التي جعل الله البدن عليه، وهذه الصورة الظاهرة منها جميل حسن، ومنها ما هو قبيح سيئ، ومنها ما بين ذلك.

وصورة باطنة: وهي حال للنفس راسخة تَصدر عنها الأفعال من خيرٍ أو شر، من غير حاجة إلىٰ فكر ورَوِية.

وهذه الصورة أيضًا منها ما هو حسن إذا كان الصادر عنها خلقًا حسنًا، ومنها ما هو قبيح إذا كان الصادر عنها خلقًا سيئًا، وهذا ما يُعبر عنه بالخلق، فالخلق إذن هو: الصورة الباطنة التي طُبع الإنسان عليها.

والواجب علىٰ المسلم أن يتخلق بمكارم الأخلاق -أي أطايبها- والكريم من كل شيء هو الطيب منه بحسب ذلك الشيء، ومنه قول الرسول ﷺ لمعاذ: **«إياك وكرائم أموالهم»**[٣]، حين أمره بأخذ بالزكاة من أهل اليمن.

فعلىٰ الإنسان أن تكون سريرته كريمة، فيحب الكرم، والشجاعة،

---

(١) هذا المبحث مستفاد من كتاب (مكارم الأخلاق) للشيخ ابن عثيمين.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (٢٩).

والحِلْم، والصبر، وأن يلاقي الناس بوجه طلق، وصدر منشرح، ونفس مطمئنة، فكل هذه الخصال من مكارم الأخلاق.

وقد قال النبي ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»(٤)، فينبغي أن يكون هذا الحديث دائمًا نُصب عين المؤمن؛ لأن الإنسان إذا علم بأنه لن يكون كامل الإيمان إلا إذا أحسن خُلقه كان ذلك دافعًا له علىٰ التخلق بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات وترك سفاسفها ورديئها.

كمال الشريعة الإسلامية من ناحية الأخلاق:

والنبي ﷺ أخبر أن من مقاصد بعثته إتمام محاسن الأخلاق، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٥).

فالشرائع السابقة التي شرعها الله للعباد كلها تحث علىٰ الأخلاق الفاضلة، ولهذا ذكر أهل العلم أن الأخلاق الفاضلة مما طبقت الشرائع علىٰ طلبه، ولكن الشريعة الكاملة جاء النبي عليه الصلاة والسلام فيها بتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال، ولنضرب مثلًا.

مسألة القصاص: ذكر أهل العلم في مسألة القصاص، أي: لو أن أحدًا جنىٰ علىٰ أحدٍ فهل يقتصُّ منه أم لا؟ ذكروا أن القصاص في شريعة اليهود حتميٌّ ولابد منه، ولا خيار للمجني عليهم فيه، وأن الأمر في شريعة النصارىٰ العكس، وهو وجوب العفو، لكن شريعتنا جاءت كاملة من الوجهين، ففيها القصاصُ وفيها العفو؛ لأن في أخذ الجاني بجنايته حزمًا وكفًّا للشر، وفي العفو عنه إحسانًا وجميلًا، وبذل معروف فيمن عفوت عنه، فجاءت شريعتنا - والحمد لله -

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وهو في صحيح الجامع (١٢٣٠، ١٢٣٢).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥).

مكملة، خَيَّرت من له الحق بين العفو والأخذ، لأجل أن يعفو في مقام العفو، وأن يأخذ في مقام الأخذ.

الأخلاق بين الطبع والتطبع:

وكما يكون الخُلُقُ طبيعة، فإنه قد يكون كسبًا، بمعنىٰ أن الإنسان كما يكون مطبوعًا علىٰ الخلق الحسن الجميل، فإنه أيضًا يمكن أن يتخلق بالأخلاق الحسنة عن طريق الكسب والمرونة.

ولذلك قال النبي ﷺ لأشج عبدالقيس: «**إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحِلم والأناة**»، قال: يا رسول الله، أهما خلقان تخلَّقت بهما، أم جبلني الله عليهما؟ قال: «**بل جبلك الله عليهما**»، فقال: الحمد لله الذي جبلني علىٰ خلقين يحبهما ورسوله»[٦].

فهذا دليل علىٰ أن الأخلاق الحميدة الفاضلة تكون طبعًا وتكون تطبُّعًا، ولكن الطبع بلا شك أحسن من التطبع؛ لأن الخلق الحسن إذا كان طبيعيًّا صار سجية للإنسان وطبيعة له، لا يحتاج في ممارسته إلىٰ تكلف، ولا يحتاج في استدعائه إلىٰ عناء ومشقة، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن حُرم هذا - أي حُرم الخلق عن سبيل الطبع - فإنه يمكنه أن يناله من سبيل التطبع، وذلك بالمرونة، والممارسة كما سنذكر - إن شاء الله تعالىٰ - فيما بعد.

وهنا مسألة وهي: أيهما أفضل: رجل جُبل علىٰ خلق حميد، أو رجل يجاهد نفسه علىٰ التخلق به، فأيهما أعلىٰ منزلةً من الآخر؟

نقول جوابًا علىٰ هذه المسألة: إنه لاشك أن الرجل الذي جُبل علىٰ

---

(٦) أخرجه أبو داود (٥٢٢٥) من حديث زارع رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود.

الخلق الحسن أكمل من حيث تخلقه بذلك، أو من حيث وجود هذا الخلق الحسن فيه؛ لأنه لا يحتاج إلىٰ عناءٍ ولا إلىٰ مشقةٍ في استدعائه، ولا يفوته في بعض الأماكن والمواطن، إذ أن حسن الخلق فيه سجية وطبع، ففي أي وقت تلقاه تجده حَسَن الخلق، وفي أي مكان تلقاه حَسَن الخلق، وعلىٰ أي حالٍ تلقاه حَسَن الخلق، فهو من هذه الناحية أكمل بلا شك.

وأما الآخر الذي يجاهد نفسه ويُروِّضها علىٰ حسن الخلق، فلا شكَّ أنه يُؤجر علىٰ ذلك من جهة مجاهدة نفسه، وهو أفضل من هذه الجهة، لكنه من حيث كمالُ الخلق أنقص بكثيرٍ من الرجل الأول.

فإذا رزق الإنسان الخُلقين جميعًا، طبعًا وتطبُّعًا كان ذلك أكمل، والأقسام هي:

من حُرم حسن الخلق طبعًا وتطبعًا.

من حرمه طبعًا لا تطبعًا.

من رُزقه طبعًا لا تطبعًا.

ولا شك أن القسم الثالث هو أفضل الأقسام؛ لأنه جمع بين الطبع والتطبع في حسن الخلق.

مجالات حسن الخلق

إن كثيرًا من الناس يذهب فهمه إلىٰ أن حسن الخلق خاص بمعاملة الخَلْق دون معاملة الخالق، ولكن هذا الفهم قاصر، فإن حسن الخلق كما يكون في معاملة الخلق، يكون أيضًا في معاملة الخالق، فموضوع حسن الخلق إذن: معاملة الخالق جلا وعلا، ومعاملة الخلق أيضًا، وهذه المسألة ينبغي أن يتنبه لها الجميع.

أولا: حسن الخلق في معاملة الخالق:

حسنُ الخلق في معاملة الخالق يجمع ثلاثة أمور:

١- تلقي أخبار الله بالتصديق.

٢- وتلقي أحكامه بالتنفيذ والتطبيق.

٣- وتلقي أقداره بالصبر والرضا.

هذه ثلاثة أشياء عليها مدار حسن الخلق مع الله تعالىٰ.

١- تلقي أخبار الله بالتصديق:

بحيث لا يقع عند الإنسان شك، أو تردد في تصديق خبر الله - تبارك وتعالىٰ - لأن خبر الله تعالىٰ صادر عن علم، وهو سبحانه أصدق القائلين كما قال تعالىٰ عن نفسه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، ولازم تصديق أخبار الله أن يكون الإنسان واثقًا بها، مدافعًا عنها، ومجاهدًا بها وفي سبيلها، بحيث لا يُداخله شكٌّ أو شبهةٌ في أخبار الله عَزَّوَجَلَّ وأخبار رسوله ﷺ.

وإذا تخلَّق العبد بهذا الخلق أمكنه أن يدفع أي شبهةٍ يُوردها المُغرضون علىٰ أخبار الله ورسوله ﷺ، سواء أكانوا من المسلمين الذين ابتدعوا في دين الله ما ليس منه، أم كانوا من غير المسلمين الذين يُلقون الشُّبَه في قلوب المسلمين بقصد فتنتهم وإضلالهم.

ولنضرب لذلك مثلًا - حديث الذباب - ثبت في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«إذا ولغ الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر الدواء»**[٧].

---

(٧) أخرجه البخاري (٥٧٨٢).

هذا خبر صادر عن رسول الله ﷺ وهو ﷺ في أمور الغيب لا ينطق عن الهوىٰ، لا ينطق إلا بما أوحىٰ الله تعالىٰ إليه لأنه بشر، والبشر لا يعلم الغيب، بل قد قال الله له: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[الأنعام:٥٠].

وهذا الخبر يجب علينا أن نقابله بحسنِ الخلقِ، وحسنُ الخُلُق نحو هذا الخبر يكون بأن نتلقاه بالقبول والانقياد، فنجزم بأن ما قاله النبي ﷺ في هذا الحديث فهو حق وصدق، وإن اعترض عليه مَنِ اعترض، ونعلم علم اليقين أن كل ما خالف ما صح عن رسول الله ﷺ فإنه باطل، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[يونس:٣٢].

٢- أن يتلقى الإنسان أحكام الله بالقبول والتنفيذ والتطبيق:

فلا يرد شيئًا من أحكام الله، فإذا ردَّ شيئًا من أحكام الله فهذا سوء خلق مع الله عَزَّوَجَلَّ، سواءٌ ردها منكرًا حكمها، أو ردها مستكبرًا عن العمل بها، أو ردها متهاونًا بالعمل بها، فإن ذلك كله منافٍ لحسن الخلق مع الله عَزَّوَجَلَّ.

مثالٌ علىٰ ذلك -الصوم- الصوم لا شك في أنه شاقٌّ علىٰ النفوس؛ لأن الإنسان يترك فيه المألوف، من طعام وشراب ونكاح، وهذا أمر شاق علىٰ الإنسان، ولكن المؤمن حسن الخلق مع الله عَزَّوَجَلَّ، يقبل هذا التكليف، أو بعبارة أخرىٰ: يقبل هذا التشريف، فهذه نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ في الحقيقة، فالمؤمن يقبل هذه النعمة التي في صورة تكليف بانشراح صدر وطمأنينة، وتتسع لها نفسه فتجده يصوم الأيام الطويلة في زمن الحر الشديد، وهو بذلك راضٍ منشرح الصدر؛ لأنه يحسن الخلق مع ربه، لكن سيئ الخلق مع الله عَزَّوَجَلَّ يقابل مثل هذه العبادة بالضجر والكراهية، ولولا أنه يخشىٰ من أمرٍ لا تُحمد عقباه،

لكان لا يلتزم بالصيام.

٣- تلقي أقدار الله تعالى بالرضا والصبر:

وكلنا نعلم أن أقدار الله عَزَّوَجَلَّ التي يجريها علىٰ خلقه ليست كلها مُلائمة للخلق، بمعنىٰ أن منها ما يوافق رغبات الخلق ومنها ما لا يوافقهم.

فالمرض مثلًا: لا يلائم الإنسان، فكل إنسان يحب أن يكون صحيحًا معافىٰ.

وكذلك الفقر: لا يلائم الإنسان، فالإنسان يحب أن يكون غنيًّا.

لكن أقدار الله عَزَّوَجَلَّ تتنوع لحكمةٍ يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ، منها ما يلائم الإنسان ويستريح له بمقتضىٰ طبيعته، ومنها ما لا يكون كذلك.

فحسن الخلق مع الله نحو أقداره: أن ترضىٰ بما قدَّر الله لك، وأن تطمئن إليه وتعلم أنه - سبحانه وتعالىٰ - ما قدَّره إلا لحكمةٍ عظيمةٍ وغايةٍ محمودةٍ يستحق عليها الحمد والشكر.

وعلىٰ هذا: فإن حسن الخلق مع الله نحو أقداره، هو أن يرضىٰ الإنسان ويستسلم ويطمئن، ولهذا امتدح الله الصابرين فقال ﴿... وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦].

ثانيًا: حسن الخلق في معاملة الخَلق:

أما حسن الخلق مع المخلوق فعرَّفه بعضُهم بأنه كفُّ الأذىٰ، وبذلُ النَّدىٰ، وطلاقة الوجه. ويذكر ذلك عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١- كف الأذى:

معنىٰ كف الأذىٰ: أن يكف الإنسان أذاه عن غيره؛ سواء كان هذا الأذىٰ

بالمال، أو يتعلق بالنفس، أو يتعلق بالعِرض، فمن لم يكف أذاه عن غيره فليس بحسن الخلق، بل هو سيئ الخلق.

وقد أعلن الرسول ﷺ حُرمة أذية المسلم بأي نوعٍ من الإيذاء، وذلك في أعظم مجمعٍ اجتمع فيه بأمته حيث قال: «**إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»(٨).

إذا كان رجل يعتدي على الناس بأخذ المال، أو يعتدي على الناس بالغش، أو يعتدي على الناس بالخيانة، أو يعتدي على الناس بالضرب والجناية، أو يعتدي على الناس بالسبِّ والغيبة والنميمة، لا يكون هذا حسنَ الخلق مع الناس؛ لأنه لم يكف أذاه، ويعظم إثم ذلك كلما كان مُوجهًا إلى مَنْ له حق عليك أكبر.

فالإساءة إلى الوالدين مثلًا أعظم من الإساءة إلى غيرهما، والإساءة إلى الأقارب أعظم من الإساءة إلى الأباعد، والإساءة إلى الجيران أعظم من الإساءة إلى مَنْ ليسوا جيرانًا لك؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**»، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ لا يأمن جاره بوائقه**»(٩).

٢- بذل الندى:

الندى هو الكرم والجود؛ يعني: أن تبذل الكرم والجود. والكرم ليس كما يظنه بعض الناس أنه بذل المال فقط، بل الكرم يكون في بذل النفس، وفي بذل الجاه، وفي بذل المال، وفي بذل العلم.

(٨) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (٣٠).
(٩) أخرجه البخاري (٦٠١٦).

إذا رأينا شخصًا يقضي حوائج الناس، يساعدهم، يتوجه في شئونهم إلىٰ من لا يستطيعون الوصول إليهم، ينشر علمه بين الناس، يبذل ماله بين الناس، هل نَصِفُ هذا بحسن الخلق؟ نعم، نصفه بحسن الخلق؛ لأنه بذل الندىٰ، ولهذا قال النبي ﷺ: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بخلق حسن»**(١٠).

ومن مخالفة الناس بخلق حسن: أنك إذا ظُلمت أو أسيء إليك، فإنك تعفو وتصفح، وقد امتدح الله العافين عن الناس، فقال في أهل الجنة: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾ [البقرة:٢٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟...﴾ [النور:٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ:٤٠].

وكل إنسانٍ يتصل بالناس، فلا بد أن يجد من الناس شيئًا من الإساءة، فموقفه من هذه الإساءة أن يعفو ويصفح، وليعلم علم اليقين أنه بعفوه وصفحه ومجازاته بالحسنىٰ، سوف تنقلب العداوة بينه وبين أخيه إلىٰ ولايةٍ ومحبةٍ وصداقةٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

وتأملوا أيها العارفون باللغة العربية كيف جاءت النتيجة بـ «إذا» الفُجائية؛ لأن «إذا» الفُجائية تدل علىٰ الحدوث الفوري في نتيجتها ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]، ولكن ليس كل أحد يُوفَّق لذلك قال: ﴿وَمَا

---

(١٠) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع (٩٧).

يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٥].

هل نفهم من هذا أن العفو عن الجاني محمودٌ مطلقًا ومأمورٌ به؟

قد يفهم البعض من الآية هذا الكلام، ولكن ليكن معلومًا أن العفو إنما يُحمد إذا كان العفو أحمد، فإن كان الأخذ أحمد فالأخذ أفضل. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورىٰ:٤٠]، فجعل العفو مقرونًا بالإصلاح.

فالعفو قد يمكن أن يكون غير إصلاح، فقد يكون هذا الذي جنىٰ عليك واجترأ عليك رجلًا شريرًا معروفًا بالشر والفساد، فلو عفوت عنه لتمادىٰ في شره وفساده، فالأفضل في هذا المقام أن تأخذ هذا الرجل بجريرته؛ لأن في ذلك إصلاحًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإصلاح واجب، والعفو مندوب، فإذا كان في العفو فوات الإصلاح فمعنىٰ ذلك أننا قدمنا مندوبًا علىٰ واجب، وهذا لا تأتي به الشريعة) وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ - طلاقة الوجه:

وطلاقة الوجه: هو إشراقه حين مقابلة الخلق، وضدُّ ذلك عُبوس الوجه؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقىٰ أخاك بوجهٍ طلق**»[١١]، وقد رُوي عن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سئل عن البر، فقال: «**وجه طلق ولسان لين**». وقد نَظَمه بعض الشعراء فقال:

بنـــي إن البـــر شـــيء هـــين
وجـــه طليـــق ولـــسان لـــين

---

(١١) أخرجه مسلم (١٤٤).

فطلاقة الوجه تُدخل السرور علىٰ الناس، وتجذب المودة والمحبة، وتُوجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك.

لكن، إذا كنت عبوسًا، فإن الناس ينفرون منك، ولا ينشرحون بالجلوس إليك، ولا بالتحدُّث معك، ورُبما تُصاب بعُقدٍ نفسية، وربما تُصاب بالمرض الخطير، وهو ما يُسمَّىٰ بالضغط، فإن انشراح الصدر وطلاقة الوجه من أنجع العقاقير المانعة من هذا الداء، ولهذا ينصح الأطباء مَنِ ابْتُلي بهذا الداء بأن يبتعد عما يُثيره ويُغضبه؛ لأنَّ ذلك يَزيد في مرضه، فانشراحُ الصَّدرِ، وطلاقة الوجه تقضي علىٰ هذا المرض، ويكون بذلك الإنسان محبوبًا إلىٰ الخلق كريمًا عليهم.

هذه هي الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسنُ الخلق في معاملة الخلق.

ومن علامات حسن الخُلُق مع الخَلْق: أن يكون الإنسان حسن المعاشرة مع مَنْ يعاشره من أصدقاء وأقارب، لا يضيق بهم ولا يضيق عليه، بل يُدخل السرورَ علىٰ قلوبهم بقدر ما يمكنه في حدود شريعة الله، وهذا القيد لا بدَّ منه، لأنَّ من الناس من لا يسرُّ إلا بمعصية الله - والعياذ بالله - فهذا لا ينبغي أن نوافقه عليه، لكن إدخال السرور علىٰ مَنْ يعاشرك من أهل وأصدقاء وأقارب في حدود الشرع من حسن الخلق؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[١٢].

وكثير من الناس - مع الأسف الشديد - يحسن الخلق مع الناس، ولكنه لا يحسن الخُلُق مع أهله، وهذا خطأٌ عظيمٌ، وقلبٌ للحقائق، إذ كيف تُحسن الخُلق مع الأباعد، وتسيء الخلق مع الأقارب؟!

---

(١٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وهو في صحيح الجامع (٣٣١٤).

والأقارب أحق الناس بأن تحسن إليهم في الصحبة والعشرة، ولهذا قال رجل: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن مصاحبتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»(١٣).

والأمر عند بعض الناس علىٰ العكس، تجده يسيء العشرة مع أمه، ويحسن العشرة مع زوجته، فيكون مقدمًا إحسان العشرة مع زوجته التي هي عنده بمنزلة الأسير، كما قال النبي ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم**»(١٤)؛ يعني: بمنزلة الأسرىٰ.

والحاصل: أن إحسان العشرة مع الأهل والأصحاب والأقارب كل ذلك من مكارم الأخلاق.

كيفية اكتساب مكارم الأخلاق

يستطيع الإنسان اكتساب مكارم الأخلاق، وذلك عن طريق الممارسة، والمجاهدة، والتمرين فيكون الإنسان حسن الخلق لأمورٍ، منها:

أولًا: أن ينظر في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ:

ينظر النصوص الدالة علىٰ مدح ذلك الخلق العظيم الذي يريد أن يتخلق به، فالمؤمن إذا رأىٰ النصوص تمدح شيئًا من الأخلاق أو الأفعال، فإنه سوف يقوم به.

والنبي عليه الصلاة والسلام أشار إلىٰ ذلك في قوله: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك؛ إما أن**

---

(١٣) أخرجه البخاري (٥٩٧١).

(١٤) أخرجه الترمذي (٣٠٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»[(١٥)].

ثانيا: أن يصاحب من عرفوا بحسن الأخلاق:

والبعد عن مساوئ الأخلاق وسفاسف الأعمال حتىٰ يجعل من هذه الصحبة مدرسةً يستعينُ بها علىٰ حسن الخلق فإن النبي ﷺ قال: «**الرجل علىٰ دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(١٦)].

ثالثا: أن يتأمل الإنسان ماذا يترتب على سوء خلقه:

فسيئ الخلق ممقوت، سيئ الخلق مهجور، سيئ الخلق مذكور بالذكر القبيح، فإذا علم الإنسان أن سوء الخلق يُفضي به إلىٰ هذا فإنه يبتعد عنه.

رابعًا: أن يستحضر الإنسان دائمًا صورة خُلُق رسول الله ﷺ:

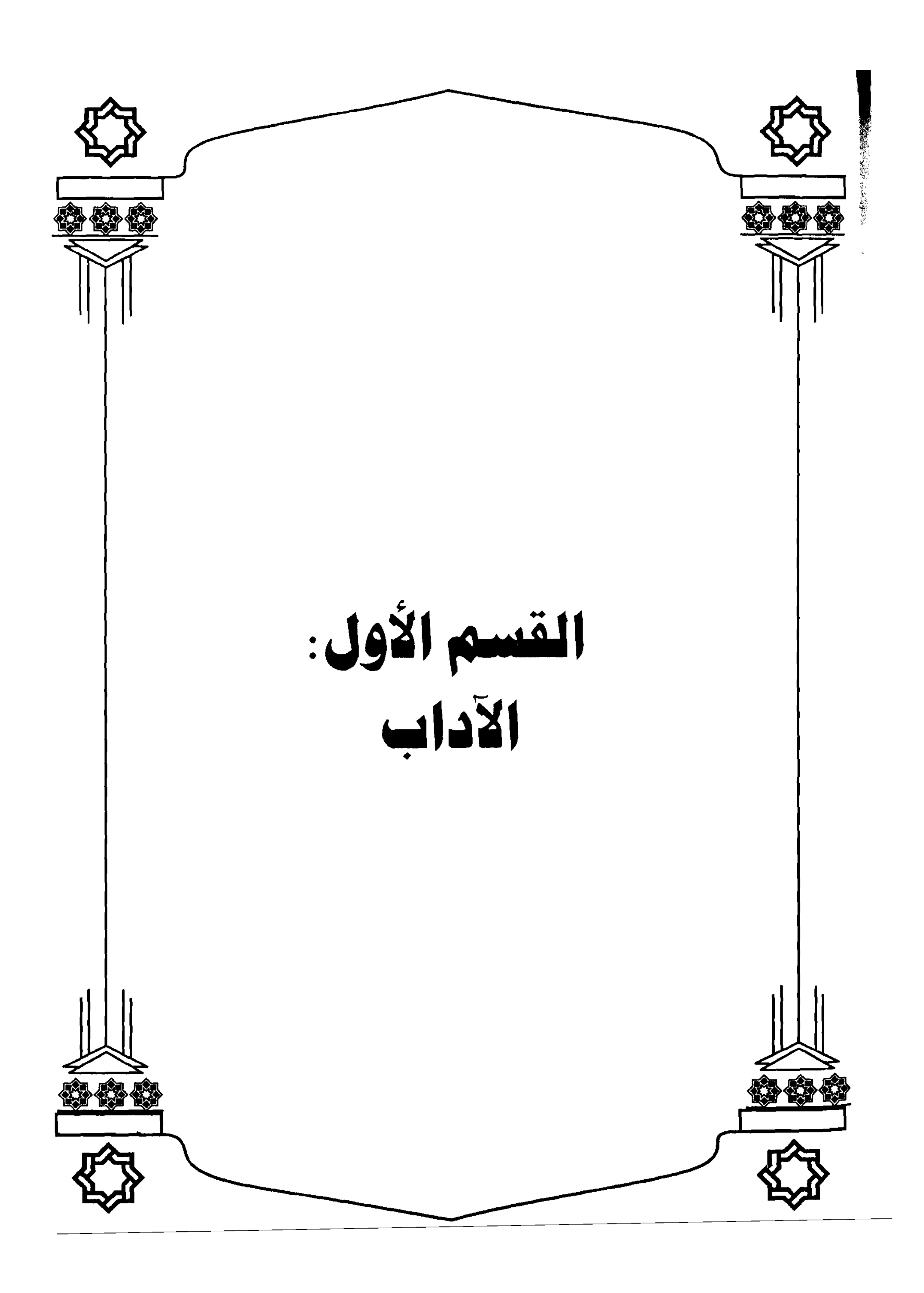
وكيف أنه كان يتواضع للخلق، ويحلم عليهم، ويعفو عنهم، ويصبر علىٰ أذاهم، فإذا استحضر الإنسان أخلاق النبي ﷺ وأنه خير البشر وأفضل من عَبَدَ اللهَ تعالىٰ، هانت علىٰ الإنسان نفسه، وانكسرت صولةُ الكبر فيها، فكان ذلك داعيًا إلىٰ حسن الخلق.

❁ ❁ ❁

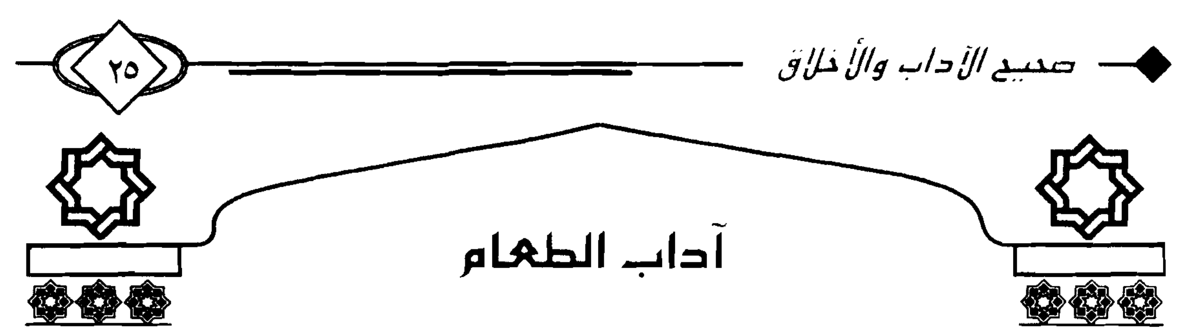
---

(١٥) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (١٤٦).

(١٦) أخرجه الترمذي (٢٣٧٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٥).



القسم الأول:
الآداب



آداب الطعام

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رَأَيْتُ رسول الله ﷺ جالسًا مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَـمْرًا[١٧] .

معاني الكلمات:

المُقْعِي: هو الذي يُلْصِقُ أليَتيهِ بالأرضِ، ويُنْصِبُ ساقَيْهِ.

المعنى الإجمالي:

رأىٰ أنسٌ النبيَّ ﷺ يأكل تمرًا مقعيًا، والإقعاء: أن ينصب قدميه ويجلس علىٰ عقبيه، هذا هو الإقعاء، وإنما أكل النبي ﷺ كذلك لئلاَّ يستقر في الجلسة فيأكل أكلًا كثيرًا؛ لأن الغالب أن الإنسان إذا كان مُقعيًا لا يكون مطمئنًّا في الجلوس فلا يأكل كثيرًا، وإذا كان غير مطمئن فلن يأكل كثيرًا، وإذا كان مطمئنًّا فإنه يأكل كثيرًا، هذا هو الغالب، وربما يأكل الإنسان كثيرًا وهو غير مطمئن، وربما يأكل قليلًا وهو مطمئن، لكن من أسباب تقليل الأكل ألا يستقر الإنسان في جلسته، وألا يكون مطمئنًّا الطمأنينة الكاملة.

فأحسن ما يكون ألا تجلس جلسة الإنسان المطمئن المستقر؛ لئلا يكون ذلك سببًا لإكثار الطعام، وإكثار الطعام لا ينبغي، والأفضل أن يجعل الإنسان ثلثًا للأكل، وثلثًا للشراب، وثلثًا للنَّفَس، هذا أصح ما يكون في الغذاء، فإن تيسر فهذا هو المطلوب، ولا بأس أن يشبع الإنسان أحيانًا.

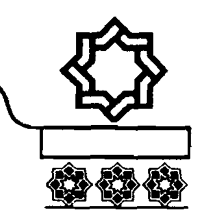
فوائد الحديث:

١- استحباب أن يجلس الإنسان علىٰ الأكل وهو مُقْعٍ.

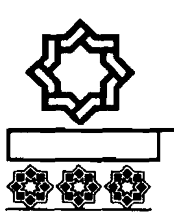
---

(١٧) أخرجه مسلم (٢٠٤٤).





كان النبي ﷺ لا يأكل متكئًا



عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ، سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا آكُلُ مُتَّكِئًا»(١٨).

معاني الكلمات:

المتكئ: الجالس معتمدًا علىٰ وطاءٍ تحته.

المعنى الإجمالي:

كَانَ سَبَب هَذَا الْحَدِيث قِصَّة الْأَعْرَابِيِّ الْمَذْكُور فِي حَدِيث عَبْد الله بْن بُسْر، قَالَ: «أَهْدَيْت لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةً، فَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ يَأْكُل، فَقَالَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الْجِلْسَة؟ فَقَالَ: «إِنَّ الله جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلنِي جَبَّارًا عَنِيدًا»(١٩)، قَالَ ابْن بَطَّالٍ: (إِنَّمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ تَوَاضُعًا لله).

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاصِ قَالَ: (مَا رُئِيَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْكُل مُتَّكِئًا قَطُّ)(٢٠)، وَأَخْرَجَ ابْن أَبِي شَيْبَة عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: (مَا أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئًا إِلَّا مَرَّة، ثُمَّ نَزَعَ)، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدك وَرَسُولك».

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: تَحْسَب الْعَامَّةُ أَنَّ الْمُتَّكِئ هُوَ الْآكِل عَلَىٰ أَحَد شِقَّيْهِ،

---

(١٨) أخرجه البخاري (٥٠٨٣).

(١٩) أخرجه أبو داود (٣٧٧٣) من حديث عبد الله بن بسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢٠) أخرجه أبو داود (٣٧٧٠) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود.

وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ الْمُعْتَمِد عَلَىٰ الْوِطَاء الَّذِي تَحْته، قَالَ: وَمَعْنَىٰ الْحَدِيث: إِني لَا أَقْعُد مُتَّكِئًا عَلَىٰ الْوِطَاء عِنْد الْأَكْل فِعْل مَنْ يَسْتَكْثِر مِنَ الطَّعَام، فَإِنِّي لَا آكُل إِلَّا الْبُلْغَة مِنَ الزَّاد، فَلِذَلِكَ أَقْعُد مُسْتَوْفِزًا.

وَاخْتَلَفَ السَّلَف فِي حُكْم الْأَكْل مُتَّكِئًا؛ فَزَعَمَ ابْن الْقَاصّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْخَصَائِص النَّبَوِيَّة، وَتَعَقَّبَهُ الْبَيْهَقِيُّ فَقَالَ: قَدْ يُكْرَه لِغَيْرِهِ أَيْضًا؛ لأنه مِنْ فِعْل الْمُتَعَظِّمِينَ، وَأَصْله مَأْخُوذ مِنْ مُلُوك الْعَجَم، قَالَ: فَإِنْ كَانَ بِالْمَرْءِ مَانِع لَا يَتَمَكَّن مَعَهُ مِنَ الْأَكْل إِلَّا مُتَّكِئًا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ كَرَاهَة[٢١].

فوائد الحديث:

١- النهي عن الأكل متكئًا.

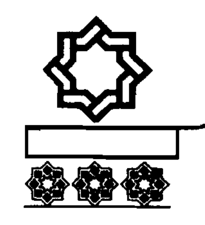
٢- الاتكاء يدل علىٰ غطرسةٍ وكبرياء، وهذا سبب نفسي للنهي، وأيضًا فإن الاتكاء يسبب ضررًا صحيًّا حيث يكون مجرىٰ الطعام ليس مستقيمًا، وهذا سبب حسي يتعلق بالبدن.

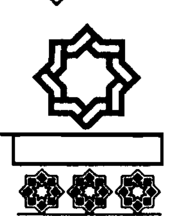
٣- تواضع النبي ﷺ.

---

(٢١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري.







كان النبي ﷺ لا يعيب طعامًا كرهه

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: ما عَابَ رسُولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إن اشْتَهاه أَكَلَهُ، وإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ[٢٢].

معاني الكلمات:

قَطُّ: ظرف زمان لاستغراق الماضي.

المعنى الإجمالي:

الطعام: ما يطعمه من مأكول ومشروب، والذي ينبغي للإنسان إذا قدم له الطعام أن يعرف قدر نعمة الله سبحانه وتعالىٰ بتيسيره، وأن يشكره علىٰ ذلك، وألا يعيبه؛ إن كان يشتهيه وطابت به نفسه فليأكله، وإلا فلا يأكله، ولا يتكلم فيه بقدح أو بعيب.

ودليل ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط؛ يعني: لم يعب أبدًا فيما مضىٰ طعامًا، ولكنه إن اشتهاه أكله، وإلا تركه ولا يعيبه.

مثال ذلك: رجل قُدِّم له تمر، وكان التمر رديئًا، فلا يقل: هذا تمرٌ رديءٌ، بل يقال له: إن اشتهيته فَكُلْ وإلا فلا تأكله، أمَّا أن تعيبه وهو نعمةٌ أنعم الله بها عليك ويسَّرها لك، فهذا لا يليق.

كذلك إذا صُنع طعام فَقُدِّمَ إليه، ولكنه لم يعجبه فلا يعيبه، ويقال له: إن كان هذا الطبخ قد ساغ لك فكُلْ، وإلا فاتركه.

---

(٢٢) البخاري (٥٤٠٩)، مسلم (٢٠٦٤).

فوائد الحديث:

١- لاينبغي للمرء أن يَعيب في الطعام.

٢- احترام نعم الله تعالىٰ.

٣- مراعاة شعور الآخرين.

كيفية تناول الطعام

عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ(٢٣).

معاني الكلمات:

الصَّحْفَة: ما تشبع خمسة، وهي أكبر من القصعة، الجمع: صحاف.

تطِيش: بكسر الطاء: تتحرك وتمتد إلى نواحي الصفحة.

المعنى الإجمالي:

كان عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه ربيب النبي ﷺ لأنه ابن زوجته أم سلمة رضي الله عنها، وكان مع النبي ﷺ في طعام يأكل فجعلت يده تطيش في الصحفة، يعني تذهب يمينًا وشمالًا، فقال له النبي ﷺ: **«يا غلام، سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك»** فهذه ثلاثة آداب علمها النبي ﷺ هذا الغلام وهي:

أولًا: قال: «**سم الله**»، وهذا عند الأكل. فعند ابتداء الأكل يجب أن يقول الإنسان: بسم الله، ولا يحل له أن يتركها؛ لأنه إذا تركها شاركه الشيطان في أكله؛ أعدى عدو له يشاركه في الأكل إذا لم يقل بسم الله، ولو زاد: الرحمن الرحيم فلا بأس؛ لأن قول الرسول ﷺ: «**سم الله**»: يعني: اذكر اسم الله.

والتسمية الكاملة هي أن يقول الإنسان: بسم الله الرحمن الرحيم كما ابتدأ

---

(٢٣) أخرجه البخاري (٥٠٦١) ومسلم (٢٠٢٢).

الله بها كتابه، وكما أرسل بها سليمان ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فإن اقتصرت علىٰ قول: بسم الله فلا حرج، وإن زدت: الرحمن الرحيم فلا حرج، الأمر في هذا واسع.

وأما التسمية علىٰ الذبيحة فهي شرط من شروط التذكية، إذا لم تسم علىٰ الذبيحة فهي حرام ميتة، كأنما ماتت بغير ذبح.

ولكن العلماء يقولون: لا ينبغي أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم؛ لأنه الآن يريد أن يذبحها، فالفعل ينافي القول بالنسبة لهذه الذبيحة؛ لأنها ستذبح. هكذا علل بعض العلماء، ولكن لو قالها أيضًا فلا حرج.

الأدب الثاني: قوله: «**وكل بيمينك**»: وهذا أمر علىٰ سبيل الوجوب، فيجب علىٰ الإنسان أن يأكل بيمينه وأن يشرب بيمينه؛ لأن النبي ﷺ نهىٰ أن يأكل الإنسان بشماله أو أن يشرب بشماله، وقال: «**إن الشيطان يفعل هذا**»، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله(٢٤)، وقد نهينا عن اتباع خطوات الشيطان، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

ولهذا كان القول الراجح وجوب الأكل باليمين، ووجوب الشرب باليمين، وأن الأكل بالشمال أو الشرب بالشمال حرام، ثم إن الأكل بالشمال والشرب بالشمال مع كونه من هدي الشيطان فهو أيضًا من هدي الكفار؛ لأن الكفار يأكلون بشمائلهم ويشربون بشمائلهم.

ثم إن بعض الناس إذا كان علىٰ الأكل وأراد أن يشرب فإنه يمسك الكأس باليسار ويشرب، ويقول: أخشىٰ أن تتلوث الكأس إذا شربت باليمين، فنقول:

(٢٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

لتتلوث، فإنها إذا تلوثت فإنما تتلوث بطعام، ولم تتلوث ببول ولا غائط. تلوثت بطعام ثم تغسل.

وبإمكانك أن تمسك الكأس من الأسفل بين إبهامك والسبابة، وتجعلها كالحلقة ولا يتلوث منه إلا شيء يسير، ولا عذر لأحد بالشرب بالشمال من أجل هذا؛ لأن المسألة علىٰ سبيل التحريم، والحرام لا يجوز إلا عند الضرورة، والضرورة مثل أن تكون اليد اليمنىٰ شلاء، لا يمكن أن يرفعها إلىٰ فيه، أو مكسورة لا يمكن أن يرفعها إلىٰ فيه، فهذه ضرورة، أو تكون متجرحة لا يمكن أن يأكل بها أو يشرب.

المهم: إذا كان هناك ضرورة فلا بأس باليسار، وإلا فلا يحل للمسلم أن يأكل باليسار ولا أن يشرب باليسار.

الأدب الثالث: قوله: «**وكل مما يليك**»: يعني لا تأكل من حافة غيرك، بل كل من الذي يليك؛ لأنك إذا اعتديت علىٰ حافة غيرك فهذا سوء أدب، فكل من الذي يليك.

إلا إذا كان الطعام أنواعًا، مثل أن يكون هناك لحم في غير الذي يليك فلا بأس أن تأكل، أو يكون هناك قرع، أو ما أشبه ذلك مما يقصد، فلا بأس أن تأكل من الذي لا يليك؛ لأن أنس ابن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أكلت مع النبي ﷺ: «**فكان يتتبع الدبَّاء من حوالي القصعة**»(٢٥)، الدبَّاء: القرع، يتتبعه يعني يَلْقُطُه من علىٰ الصحفة ليأكله، هذا لا بأس به(٢٦).

---

(٢٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١).

(٢٦) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين حديث (٢٩٩).

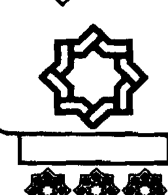
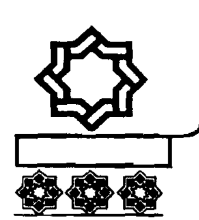
فوائد الحديث:

١- رأفة النبي ﷺ بالغلام في حسن التوجيه والرفق فيه.

٢- الواجب علىٰ كل مسلم تسمية الله، والأكل مما يليه إلا أن يكون الطعام أطباقًا منوعة.

٣- يجب علىٰ الإنسان أن يؤدب أولاده علىٰ كيفية الأكل والشرب، وعلىٰ ما ينبغي أن يقول في الأكل والشرب، كما فعل النبي ﷺ في ربيبه.

❊ ❊ ❊

التسمية في أول الطعام

عن عَائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا أكل أَحَدُكُمْ فَليَذْكُر اسْمَ الله تعالى، فإنْ نسي أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ الله تَعَالَى في أَوَّلِهِ، فَليَقُلْ: بِاسْمِ الله أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ» (٢٧).

وعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذا دخل الرَّجُل بيْتَهُ، فَذَكَرَ الله تعَالى عِنْد دُخُولِهِ وعِنْدَ طَعامِهِ، قال الشَّيْطانُ لأَصحَابِهِ: لا مبيتَ لَكُمْ ولا عشاءَ، وإذا دخَل، فَلَم يَذكُر الله تَعَالى عِنْد دخُولِهِ قال الشَّيْطَانُ: أَدْركتمُ المْبيتَ، وإذا لَم يَذْكُرِ الله تعَالى عِنْد طَعامِهِ قال: أَدْرَكْتُمُ المْبيتَ وَالعَشاءَ» (٢٨).

معاني الكلمات:

استقاء: تكلف القيء.

ولجنا: دخلنا.

المعنى الإجمالي:

التسمية على الأكل واجبة إذا تركها الإنسان فإنه يأثم ويشاركه الشيطان في أكله، ولا أحد يرضى أن يشاركه عدوه في أكله، فلا أحد يرضى أن يشاركه الشيطان في أكله، فإذا لم تقل: باسم الله؛ فإن الشيطان يشاركك فيه، فإن قال: بسم الله الرحمن الرحيم. فلا حرج، وإن اقتصر على: بسم الله، كفى..

فإن نسيت أن تسمي في أوله وذكرت في أثنائه فقل: **«باسم الله أوله وآخره»**

---

(٢٧) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث(٣٨٠).

(٢٨) أخرجه مسلم(٢٠١٨).

كما أرشد إلىٰ ذلك النبي ﷺ في الحديث الذي روته عائشة وأخرجه أبو داود والترمذي أن الإنسان إذا لم يسم الله علىٰ طعامه فإن الشيطان يأكل معه.

وأما الحديث الثاني ففيه ذكر الله تعالىٰ عند دخول البيت، وهو أن يقول: «**باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلىٰ الله ربنا توكلنا، اللهم إني أسألك خير المولج، وأسألك خير المخرج**»(٢٩)، هذا الذكر عند دخول المنزل، سواء في الليل أو في النهار.

وأما الذكر عند العشاء فأن يقول: «**باسم الله**» فإذا ذكر الله عند دخوله البيت، وذكر الله عند أكله عند العشاء، قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء، لأن هذا البيت وهذا العشاء حُمِيَ بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، حماه الله تعالىٰ من الشياطين.

وإذا دخل فلم يذكر الله تعالىٰ عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالىٰ عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء؛ أي: أن الشيطان يشاركه المبيت والطعام لعدم التحصن بذكر الله.

فوائد الحديث:

١- ذكر الله تعالىٰ عند دخول البيت وعند الأكل.

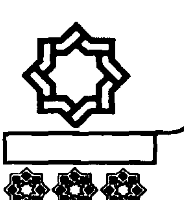
٢- الواجب علىٰ كل مسلم تسمية الله في أول الأكل، فإن نسي فليسمِّ قبل الانتهاء من الأكل.

٣- أن الشيطان يأكل؛ لأنه أكل من هذا الطعام، فالشيطان يأكل ويشرب ويشارك الآكل والشارب إذا لم يسمِّ الله تعالىٰ علىٰ أكله وشربه.

---

(٢٩) أخرجه أبو داود (٥٠٩٦).





استحباب الاجتماع على الطعام

عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ يَأْكُلُ طَعَامًا في سِتَّةٍ مِنْ أَصحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرابيٌّ، فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فقال رسولُ ﷺ: «أَما إِنَّهُ لوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ» (٣٠).

وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنَّا إذا حضَرْنَا مع رسولِ الله ﷺ طَعَامًا، لَم نَضَعْ أَيدِيَنا حتَّى يَبْدأَ رسولُ الله ﷺ فَيَضَع يدَه. وَإِنَّا حَضَرْنَا معهُ مَرَّةً طَعامًا، فجاءَت جارِيَةٌ كأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبتْ لتَضعَ يَدهَا في الطَّعامِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِيدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرابِيٌّ كأَنَّما يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيدِهِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعامَ أَلاَّ يُذْكَرَ اسمُ الله تَعَالى عليه. وإِنَّهُ جاءَ بِهذهِ الجارِيةِ لِيسْتَحِلَّ بِها، فَأَخَذتُ بِيدِهَا، فَجَاءَ بِهذا الأَعْرَابِيِّ لِيسَتحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيدِهِ، والذي نَفسي بِيَدِهِ، إِنَّ يدَهُ في يَدي مَعَ يَديْهِما»، ثُمَّ ذَكَرَ اسم اللهِ تعالى وأَكَل (٣١).

معانى الكلمات:

الجارية: الفتاة الصغيرة.

تُدْفع: تركض مُسرعة.

المعنى الإجمالي:

في حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يأكل في ستة نفرٍ من أصحابه،

(٣٠) أخرجه الترمذي (١٨٥٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث (١٥١٤).

(٣١) أخرجه مسلم (٢٠١٧).

فجاء أعرابي فدخل معهم فأكل الباقي بلقمتين، هذا كأنه جائع، والله أعلم، فجاء منهمًا في الأكل، فأكل الباقي بلقمتين، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه لو سمَّىٰ لكفاكم**» لكنه لم يسم، فأكل الباقي كله بلقمتين ولم يكفه.

وهذا يدل علىٰ أن الإنسان إذا لم يسم نُزعت البركة من طعامه؛ لأن الشيطان يأكل معه، فيكون الطعام الذي يظن أنه يكفيه لا يكفيه؛ لأن البركة تُنزع منه.

وفي حديث حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أنه حضر مع رسول الله ﷺ ذات يوم طعامًا قُدِّم إلىٰ رسول الله ﷺ، فلما بدءوا جاءت جارية، يعني طفلة صغيرة كأنما تُدفع دفعًا، يعني: كأنها تركض، فأرادت أن تضع يدها في الطعام بدون أن تسمِّي فأمسك النبي ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كذلك كأنما يُدفع دفعًا، فجاء ليضع يده في الطعام فأمسك النبي ﷺ بيده، ثم أخبر النبي ﷺ أن هذا الأعرابي وهذه الجارية جاء بهما الشيطان لأجل أن يستحل الطعام بهما إذا أكلا بدون تسمية.

وهما قد يكونان معذورين لجهلهما؛ هذه لصغرها وهذا أعرابي، لكن الشيطان أتىٰ بهما من أجل أنهما إذا أكلا بدون تسمية شارك في الطعام.

ثم أقسم النبي ﷺ أن يد الشيطان مع أيديهما في يد النبي ﷺ.

فوائد الحديث:

١- احترام الصحابة لرسول الله ﷺ وأدبهم معه.

٢- أنه ينبغي إذا كان هناك كبير علىٰ الطعام ألا يتقدم أحدٌ قبل أكله، بل يُؤثِرُون الكبير بالأكل أولًا؛ لأن التقدم بين يدي الكبير غير مناسب ومنافٍ للأدب.

٣- أن الشيطان يأمر الإنسان ويحثه ويزجره علىٰ فعل ما لا ينبغي، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة:

٢٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[النور: ٢١] فدل هذا علىٰ أن الشيطان له إمرة علىٰ بني آدم، والمعصوم مَنْ عصمه الله.

٤- أن الإنسان إذا أتىٰ في أثناء الطعام فليسمِّ ولا يقل: سمَّىٰ الأولون قبلي.

ولكن إذا كانوا جميعًا وبدءوا بالطعام جميعًا، فهل يكفي تسمية الواحد؟

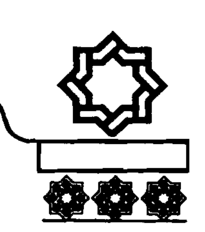
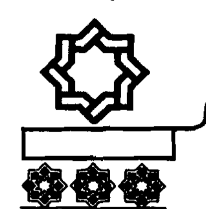
والجواب: إن كان الواحد سمَّىٰ سرًّا فإن تسميته لا تكفي؛ لأن الآخرين لم يسمعوها، وإن سمَّىٰ جهرًا ونوىٰ عن الجميع فقد يقال: إنها تكفي، وقد يقال: الأفضل أن يسمِّي كل إنسان لنفسه، وهذا أكمل وأحسن.

٥- أن للشيطان يدًا؛ لأن النبي ﷺ أمسك بيده.

٦- أن هذا الحديث آيةٌ من آيات الرسول ﷺ، حيث أعلمه الله تعالىٰ بما حصل في هذه القصة، وأن الشيطان دفع الأعرابي والجارية، وأنه أمسك بأيديهم؛ أي بأيدي الثلاثة؛ بيده الكريمة صلوات الله وسلامه عليه، وبيد كل من الجارية والأعرابي.

٧- أنه إذا جاء أحدٌ يريد أن يأكل ولم تسمعه سمَّىٰ فأمسكْ بيده حتىٰ يُسمِّي؛ لأن النبي ﷺ أمسك بأيديهما ولم يقل: سمِّيا، بل أمسك بأيديهما حتىٰ يكون في ذلك ذكرىٰ لهما؛ يذكرون هذه القصة ولا ينسون التسمية في المستقبل.

٨- تأكد التسمية عند الأكل، والصحيح أن التسمية عند الأكل واجبة، وأن الإنسان إذا لم يسمِّ فهو عاصٍ لله عَزَّوَجَلَّ، وراضٍ بأن يشاركه في طعامه أعدىٰ عدوٍّ له وهو الشيطان، فلذلك كانت التسمية واجبة، فإن نسيت التسمية في أوله وذكرت في أثنائه فقل: باسم الله أوله وآخره.

تكثير الأيدي على الطعام

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «طَعَامُ الاثنينِ كافي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَلاثَةِ كافي الأَربعَةِ»(٣٢).

وعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «طَعامُ الوَاحِدِ يَكْفي الاثْنيْنِ، وطعامُ الاثنينِ يكْفي الأربعةَ، وطعامُ الأَرْبَعةِ يَكْفي الثَّمانِيَةَ»(٣٣).

المعنى الإجمالي:

في الحديثين، بيَّن النبي ﷺ أن طعام الواحد يكفي الاثنين، وأن طعام الاثنين يكفي الأربعة، وأن طعام الأربعة يكفي الثمانية، وهذا حثٌّ منه عليه الصلاة والسلام على الإيثار؛ يعني: أنك لو أتيت بطعامك الذي قدَّرتَ أنه يكفيك، وجاء رجل آخر فلا تبخل وتقول: هذا طعامي وحدي، بل أعطه منه حتى يكون كافيًا للاثنين.

وكذلك لو جاء اثنان بطعامهما، ثم جاءهما اثنان، فلا يبخلان به ويقولان: هذا طعامنا، بل يطعمانهما؛ فإن طعامهما يكفيهما ويكفي الاثنين، وهكذا الأربعة مع الثمانية.

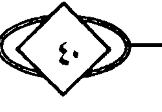
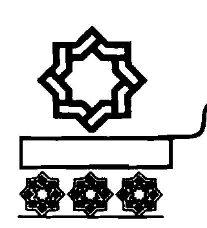
فوائد الحديث:

١- التجمع على الطعام يجعل البركة فيه.

---

(٣٢) أخرجه البخاري (٥٣٩٢)، مسلم (٢٠٥٨).

(٣٣) أخرجه مسلم (٢٠٥٩).

حمد الله بعد الطعام



عن مُعَاذِ بن أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسُولُ الله ﷺ: «منْ أَكَلَ طَعَامًا فقال: الحَمْدُ لله الذي أَطْعَمَني هذا، وَرَزَقَنيهِ مِنْ غيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٣٤).

وعن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَبيَّ ﷺ كانَ إذا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قال: «الْحَمْدُ لله حَمْدًا كَثيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيه، غَيرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ، وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا»(٣٥).

معاني الكلمات:

مُوَدَّعٍ: متروك.

حَوْلٍ: تحول من حال إلىٰ حال.

المعنى الإجمالي:

ينبغي للإنسان إذا أكل أكلًا أن يحمد الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن يقول: «الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة» ومعنىٰ ذلك: أنه لولا أن الله تعالىٰ يسَّر لك هذا الطعام ما حصل لك، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣- ٦٧].

---

(٣٤) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، وحسنه العلامة الألباني في الإرواء، حديث(١٩٨٩).

(٣٥) أخرجه البخاري (٥٤٥٨).

فالإنسان لولا أن الله ييسر له الطعام من حين أن يبذر، ثم ينبت، ثم يحصد، ثم يُحضر إليه، ثم يطحن، ثم يعجن، ثم يطبخ، ثم ييسر الله الأكل، ما تيسر له ذلك.

ولهذا قال بعض العلماء: إن الطعام لا يصل إلىٰ الإنسان ويقدم إليه إلَّا وقد سبق ذلك نحو مائة نعمةٍ من الله لهذا الطعام، ولكننا -أكثر الأحيان- في غفلة عن هذا، نسأل الله أن يطعمنا وجميع المسلمين الطعام الحلال، وأن يرزقنا شكر نعمته، إنه علىٰ كل شيء قدير.

وفي حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَثَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قول: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنيً عنه ربنا**»، أي: إننا لا نستغني عن الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا أحد يكفينا دونه، فهو سبحانه حسبنا وهو رازقنا جل وعلا.

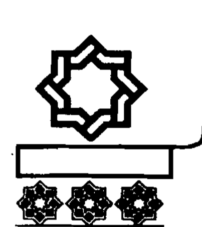
فوائد الحديث:

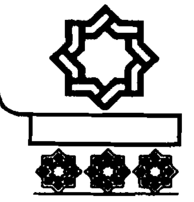
وجوب حمد الله علىٰ كل نعمة.

لا غناء للعبد أبدًا عن الله.

وجوب تذكر نعم الله عَزَّ وَجَلَّ وشكرها.







من دعي إلى طعام وهو صائم

عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كان صائمًا فَلْيُصلِّ، وَإِنْ كانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ» [٣٦].

معانى الكلمات:

فَلْيُصَلِّ: فلْيدْعُ.
فَلْيطْعَمْ: فلْيَأْكُلْ.

المعنى الإجمالي:

إذا دُعي الإنسان إلىٰ طعام وحضر فلا يكفي الحضور، بل يأكل لأن الرجل الذي دعاك لم يصنع الطعام إلا ليؤكل، فقد تكلف لك وصنع طعامًا من طعام أهله، ودعاك إليه، فإذا قلنا: لا حرج عليك إن تركت الأكل لزم من هذا أن يبقىٰ طعامه لم يؤكل، فمثلًا لو دعا عشرةً وصنع لهم طعامًا، وقلنا: إن الواجب الحضور دون الأكل، ثم قاموا ولم يأكلوا لصار في ذلك مفسدة لماله، ومضيعة لماله، وصار في قلبه علىٰ الحاضرين شيء؛ لماذا لم يأكلوا طعامي؟!

فنقول: إذا دعاك داعٍ فالسُّنة أن تجيبَهُ إلا إذا كان الداعي هو الزوج في وليمة العرس، فإن الواجبَ أن تجيبه إلىٰ دعوته، ولا يحل لك أن تمتنع، لقول النبي ﷺ: **«من لم يُجب فقد عصىٰ الله ورسوله»** [٣٧] يعني: دعوةِ الوليمة، أما

---

(٣٦) أخرجه مسلم (١٤٣١).
(٣٧) أخرجه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢).

غيرها من الدعوات فأنت بالخيار.

مثال ذلك: لو أن إنسانًا دعاك في طعام؛ لأنه قدم من سفرٍ، أو لأنه دعا أصحابه، أو ما أشبه ذلك، فأنت بالخيار؛ إن شئت فأجب وإن شئت فلا تجب، لكن الأفضل أن تجيب، وهذا الذي عليه جمهور العلماء.

وقال بعض العلماء: يجب أن تجيب في دعوة الطعام في العرس وغيره، إلا لسببٍ شرعيٍّ.

فإذا حضرت فإن كنت مفطرًا فكُل، وإن كنت صائمًا فادعُ لصاحب الطعام، وأخبره بأنك صائم، حتىٰ لا يكون في قلبه شيء، وإن رأيت أنك إذا أفطرت وأكلت صار أطيب لقلبه فأفطر، إلا أن يكون الصوم صوم فريضة، فلا تفطر.

فتبين الآن أن المسألة ثلاثة أحوال:

أولًا: إذا دعاك وأنت مفطر فكُلْ.

ثانيًا: إذا دعاك وأنت صائم صومَ فريضةٍ فلا تأكل ولا تفطر.

ثالثًا: إذا دعاك وأنت صائم صومَ نفلٍ فأنت بالخيار؛ إن شئتَ فأفطر وكُلْ، وإن شئتَ فلا تأكل، وأخبره بأنَّك صائمٌ، واتبع في ذلك ما هو الأصلح؛ إذا رأيت أن من الخير أن تفطر فأفطر وكُلْ، وإلا فلزوم الصيام أولىٰ. أما البطاقات: فلا تجب الإجابة فيها، إلا إذا علمت أن الرجل أرسل إليك البطاقة بدعوةٍ حقيقيةٍ؛ لأن كثيرًا من البطاقات تُرسل إلىٰ الناس من باب المجاملة، ولا يهمه حضرت أم لم تحضر، لكن إذا علمت أنه يهمه أن تحضر لكونه قريبًا لك أو صديقًا لك فأجب.

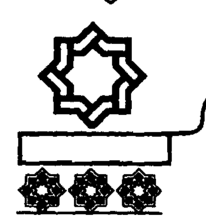
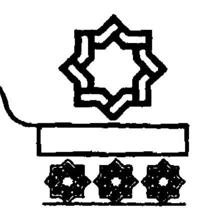
وقوله: «**فليصل**»: يعني فليدعُ؛ لأن الصلاة هنا المراد بها الدعاء، كما هو في اللغة العربية أن الصلاة هي الدعاء، أما في الشرع، فالصلاة هي العبادة

المعروفة، إلا إذا دَلَّ الدليل علىٰ أن المراد بها الدعاء، فهو علىٰ ما دل عليه الدليل.

فوائد الحديث:

١- ينبغي علىٰ الإنسان الذي دُعي إلىٰ طعامٍ أن يلبي الدعوة ويأكل من الطعام إن كان مفطرًا.

٢- إن كان المدعو صائمًا صوم فريضة فلا يفطر.

من دعي إلى طعام فتبعه غيره

عن أبي مسعود البَدْرِيِّ رضي الله عنه قال: دَعا رجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ لِطعَامٍ صَنعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعهُمْ رَجُلٌ، فَلمَّا بَلَغَ الباب، قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ هذا تَبِعَنا، فإنْ شئتَ أَنْ تَأْذنَ لَهُ، وإِنْ شِئتَ رَجَعَ». قال: بل آذَنُ لهُ يا رسولَ اللهِ (٣٨).

المعنى الإجمالي:

في الحديث: أن رجلًا دعا النبيَّ إلىٰ طعام خامس خمسة؛ يعني حدد العدد بأنه خمسة، فتبعهم رجل فصاروا ستة، فلما بلغ النبي ﷺ منزل الداعي استأذن للرجل السادس؛ قال ﷺ: **«إن هذا تبعنا، فإن شئت أن تأذن له، وإن شئت رجع»**، ففي هذا الحديث:

- أنه يجوز للإنسان إذا دعا قومًا أن يحدد العدد ولا حرج في ذلك، وبعض الناس يقول: إنه إذا حدد العدد فإنه بخيلٌ، ولكن يُقال: قد يكون الإنسان قليل ذات اليد، يحتاج أن يحدد لأجل أن يصنع الطعام الذي لا يَزيد عن كفايتهم، ولاسيما في مكانٍ يكون فيه عامة الناس فُقَراء، أما الأغنياء - فالحمد لله - لا يُحدِّدون.

- وفيه أيضًا دليل علىٰ جواز اتباع الرجل للمدعوين لعله يحصل علىٰ طعام؛ لأن النبي ﷺ لم يمنع هذا الرجل من اتِّباعهم، بل استأذن له، ولأنه ورد أيضًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، حين تبع النبي ﷺ من أجل أن يُشبع بطنه (٣٩).

---

(٣٨) البخاري (٢٠٨١)، مسلم (٢٠٣٦).

(٣٩) البخاري (٥٣٧٥).

وفيه أيضًا دليل علىٰ أنه إذا جاء مع الإنسان من لم يُدْعَ فإنه يستأذن له، خصوصًا إذا كنت تظن أن صاحب البيت دعاك لغرضٍ خاصٍّ لا يجب أن يطلع عليه أحدٌ، فحينئذٍ لابد أن تستأذن.

وفيه أيضًا دليل علىٰ أنه لا حرج علىٰ صاحب البيت إذا لم يأذن للذي تبع المدعوَّ؛ لأنه لو كان في ذلك حرج ما استأذنه النبي ﷺ، فلما استأذنه دَلَّ علىٰ أنه بالخيار؛ إن شاء أذن وإن شاء قال: ارجع.

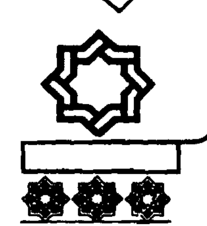
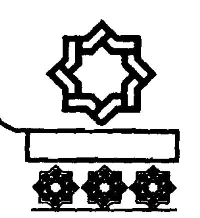
وذلك أن الإنسان إذا استأذن علىٰ شخص فصاحب البيت بالخيار؛ إن شاء أذن له، وإن شاء قال: ارجع، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ ﴾ [النور: ٢٨].

فلا يكن في صدرك حرج ولا في نفسك ضيق إذا استأذنتَ علىٰ شخص وقال: ارجع، أنا الآن مشغول، خلافًا لبعض الناس إذا استأذن علىٰ إنسان وقال له: ارجع أنا مشغول، صار في قلبه شيء، وهذا غلط؛ لأن الناس لهم حاجات خاصة في بيوتهم، وقد يكون لهم تعلقات بأناس آخرين أهم، فإذا استأذنت علىٰ شخص في البيت، وقال لك: الآن عندي شغل؛ فارجع، ارجعْ بكل راحةٍ، وبكل طُمأنينة، لأن هذا هو الشرع.

فوائد الحديث:

١- استحباب الدعوة علىٰ الطعام.

٢- لا بأس بتحديد عدد المدعوِّين.

النهي عن الأكل بالشمال

عن سَلَمَةَ بنِ الأكوعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رسولِ الله ﷺ بشِماله فقال: «كُلْ بِيَمِينكَ». قال: لا أَسْتطِيعُ، قالَ: «لا اسْتَطَعْتَ؛ ما مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ». فَمَا رَفَعَهَا إلى فِيهِ[٤٠].

معاني الكلمات:

الكِبْرُ: التجبر.

فِيهِ: فمه.

المعنى الإجمالي:

سبق الكلام علىٰ أن الأكل باليمين والشرب باليمين واجب، وأنه يحرم علىٰ الإنسان أن يأكل بشماله أو يشرب بشماله، وأن مَنْ أكل بشماله أو شرب بشماله فإنه عاصٍ وآثمٌ؛ عاصٍ لله ورسوله، وآثم ومشابه للشيطان ولأولياء الشيطان من الكفار.

والواجب علىٰ المسلم أن يأكل باليمين إلا لعذرٍ، كما لو كانت اليمين مشلولةً أو ما أشبه ذلك، فاتقوا الله ما استطعتم.

ولهذا ذكر النووي حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال لرجلٍ يأكل بشماله: «**كلْ بيمينك**»، قال: لا أستطيع، قال النبيُّ ﷺ: «**لا استطعتَ**»؛ يعني: دعا عليه أن يعجز أن يرفع يده اليمنىٰ إلىٰ فمه، لأنه ما منعه إلا الكبر -

---

(٤٠) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

والعياذ بالله - فدعا عليه الرسول ﷺ فلم يرفعها بعد ذلك إلىٰ فمه.

ويحتمل قوله: ما منعه إلا الكبر؛ يعني: إلا التكبر عن أمر الرسول ﷺ، ويحتمل أنه: ما منعه إلا الكبر؛ يعني: ما منعه أن يأكل بيمينه إلا الكبر، وأيًّا كان فإن دعاء الرسول ﷺ عليه بهذه الدعوة التي أوجبت أن تنشلَ يده حتىٰ لا ترفع إلىٰ فمه، دليل علىٰ أن الأكل بالشمال حرام.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله(٤١)، فأنت الآن أمامك هدي النبي ﷺ وهدي الشيطان، فهل تأخذ بهدي الرسول أو بهدي الشيطان؟! وكل مؤمن يقول: آخذ بهدي الرسول ﷺ، والرسول ﷺ يأكل بيمينه وأمر بالأكل باليمين ويشرب بيمينه وأمر بالشرب باليمين، والشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله، فاختر أي الطريقين شئت.

ولهذا كان أولياء الشيطان من اليهود والنصارىٰ والمشركين لا يعرفون الأكل إلا بالشمال، ولا الشرب إلا بالشمال؛ لأنهم أولياء الشيطان وتولاهم الشيطان - والعياذ بالله - واستحوذ عليهم، فإياك أن تكون مثلهم.

وبعض الناس إذا كان يأكل وأراد أن يشرب يمسك الكأس باليسار ويشرب، وهذا لا يجوز، لأن الحرام لا يباح إلا للضرورة، وهذا ليس له ضرورة، يستطيع أن يمسك الكأس من أسفله باليد اليمنىٰ، فغالب كئوس الناس اليوم إما من البلاستيك يُشرب بها ثم ترمىٰ ولا تغسل، أو من الحديد أو الزجاج فيمكن غسلها حتىٰ لو تلطخت.

ولكن لا يجوز للإنسان أن يأكل بشماله أو يشرب بشماله، فإن فعل فهو عاص لله ورسوله؛ عاص للرسول لأنه نهىٰ عن ذلك، وعاص لله لأن معصية

---

(٤١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

الرسول معصية لله، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، والرسول ما يتكلم من عند نفسه، بل يتكلم لأنه رسول رب العالمين - سبحانه وتعالىٰ -.

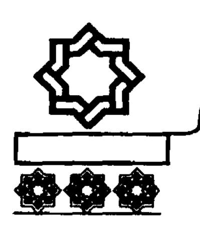
فوائد الحديث:

١- وجوب الأكل باليد اليمنىٰ.

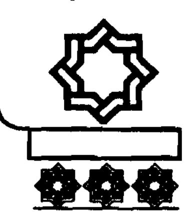
٢- وجوب طاعة النبي ﷺ واتباعه.

٣- شؤم مخالفة النبي ﷺ.





النهي عن القران بين تمرتين ونحوهما



عن جبَلَةَ بن سُحَيْم قال: أَصابَنا عامُ سَنَةٍ معَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فرُزِقْنَا تَمْرًا، وَكانَ عَبْدُ اللهِ بنُ عمر رضي الله عنهما يَمُر بنا ونَحْنُ نأْكُلُ، فيقولُ: «لا تُقَارِنُوا، فإن النبي ﷺ نَهى عنِ الإقرانِ، ثم يقولُ: إلاَّ أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ» (٤٢).

معاني الكلمات:

الإقرانِ: الجمع بين شيئين أو عملين (وهنا تمرتين).

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث النهي عن القران بين التمرتين ونحوهما مما يؤكل أفرادًا إذا كان مع جماعة إلا بإذن أصحابه، فمثلًا: الشيء الذي جرت العادة أن يؤكل واحدةً واحدةً كالتمر، إذا كان معك جماعة فلا تأكل تمرتين جميعًا؛ لأن هذا يضرُّ بإخوانك الذين معك، فلا تأكل أكثر منهم إلا إذا استأذنت، وقلت: تأذنون لي أن آكل تمرتين في آنٍ واحدٍ، فإن أذنوا لك فلا بأس.

وكذلك ما جاء في العادة بأنه يؤكل أفرادًا، كبعض الفواكه الصغيرة التي يلتقطها الناس حبةً ويأكلونها.

فإن الإنسان لا يجمع بين اثنتين إلا بإذن صاحبه الذي معه، مخافة أن يأكل أكثر مما يأكل صاحبه.

أما إذا كان الإنسان وحده فلا بأس أن يأكل التمرتين جميعًا، أو الحبتين

---

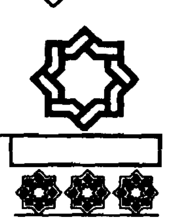
(٤٢) البخاري (٥٤٤٦)، مسلم (٢٠٤٥).

مما يؤكل أفرادًا جميعًا؛ لأنه لا يضر بذلك أحدًا، إلا أن يخشىٰ علىٰ نفسه من الشَّرَقِ أو الغصص، فإن العامة يقولون: من كبر اللقمة غُصَّ، فإذا كان يخشىٰ أنه لو أكل تمرتين جميعًا أو حبتين جميعًا مما يؤكل أفرادًا أن يغص فلا يفعل؛ لأن ذلك يَضرُّ بنفسه، والنفس أمانة عندك، لا يحل لك أن تفعل ما يؤذيها أو يضرها.

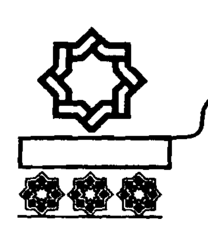
ثم ذكر النووي ما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن القران، يعني أن يقرن الإنسان بين تمرتين إلا أن يستأذن مَنْ كان معه، فإن أذنوا فلا بأس.

فوائد الحديث:

١- النهي عن القران بين ما يؤكل مفردًا.
٢- مراعاة حاجات الأصحاب.
٣- الإيثار علىٰ النفس وخاصة عند الحاجة.



ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع



عن وَحْشيّ بنِ حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أَصحابَ رسولِ الله ﷺ قالُوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّا نَأْكُلُ ولا نَشْبَعُ؟ قال: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ». قالُوا: نَعَمْ. قال: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ؛ يُبَارَكْ لَكُمْ فيه»(٤٣).

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث يبين ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع، ولذلك أسباب:

منها: أنه لا يسمِّي الله علىٰ الطعام؛ فإن الإنسان إذا لم يُسمِّ الله علىٰ الطعام أكل الشيطان معه، ونُزِعَتْ البركة من طعامه.

ومنها: أن يأكل من أعلىٰ الصحفة فإن ذلك أيضًا مما ينزع البركة من الصحفة؛ لأن النبي ﷺ نهىٰ أن يأكل الإنسان من أعلىٰ الصحفة فإن فيه البركة، فيأكل من الجوانب.

ومنها: التفرق علىٰ الطعام، فإن ذلك أيضًا من أسباب نزع البركة؛ لأن التفرق يستلزم أن كل واحدٍ يُجعل له إناءٌ خاصٌّ، فيتفرق الطعام، وتنزع بركته؛ وذلك لأنك لو جعلت لكل إنسانٍ طعامًا في صحن واحدٍ، أو في إناء واحدٍ لتفرق الطعام، لكن إذا جعلته كله في إناء واحد اجتمعوا عليه وصار في القليل بركة.

وهذا يدل علىٰ أنه ينبغي للجماعة أن يكون طعامهم في إناءٍ واحدٍ، ولو

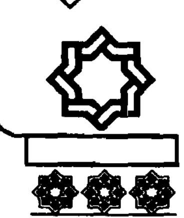
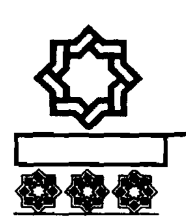
(٤٣) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٣١٩٩).

كانوا عشرة أو خمسة يكون طعامهم في صحن واحد بحسبهم، فإن ذلك من أسباب نزول البركة، والتفرق من أسباب نزع البركة.

فوائد الحديث:

١- التجمع علىٰ الأكل من أسباب وجود البركة في الطعام.

٢- التفرق في الأكل من أسباب نزع البركة.

الأمر بالأكل من جانب الأنية

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ؛ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، ولا تَأْكُلُوا مِن وَسَطِهِ»(٤٤).

وعن عبدِ الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه قال: كان لِلنبيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقالُ لَهَا: الْغَرَّاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجالٍ، فَلمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحى، أُتِي بتَلْكَ الْقَصْعَةِ - يعني: وقد ثُرِدَ فيها - فالتَفُّوا عليها، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رسولُ الله ﷺ فقالَ أَعرابِيٌّ: ما هذه الجِلْسةُ؟ قال رسولُ ﷺ: «إِنَّ الله جَعَلني عَبْدًا كَرِيمًا، ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبارًا عَنيدًا» ثُمَّ قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا؛ يُبارَكْ فيها»(٤٥).

معانى الكلمات:

قَصْعَةٌ: وعاء يؤكل فيه ويثرد، وكان يتخذ من الخشب غالبًا.

حَوَالَيْهَا: جوانبها.

ذِرْوَتَهَا: أعْلاهَا.

جثا: جلس علىٰ ركبتيه.

المعنى الإجمالي:

ينبغي للناس أن يأكلوا من حواف القصعة، يعني من جوانبها لا من وسطها، ولا من أعلاها.

---

(٤٤) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٣٢٠٦).

(٤٥) أخرجه أبو داود (٣٧٧٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث(٤٨٣٣).

ففي حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يدل علىٰ ذلك، وأن الإنسان إذا قُدِّمَ إليه الطعام فلا يأكل من أعلاه بل يأكل من الجانب، وإذا كان معه جماعة فليأكل مما يليه، ولا يأكل مما يلي غيره.

وقوله ﷺ: «**إن البركة تنزل في وسط الطعام**» يدل علىٰ أن الإنسان إذا أَكَلَ من أعلاه - أي من الوسط - نزعت البركة من الطعام.

قال أهل العلم: إلا إذا كان الطعام أنواعًا، وكان نوعٌ منه في الوسط، وأراد أن يأخذ منه شيئًا فلا بأس، مثل أن يُوضع اللحم في وسط الصحفة فإنه لا بأس أن تأكل من اللحم ولو كان في وسطها؛ لأنه ليس له نظير في جوانبها، فلا حرج وكما أن النبي ﷺ كان يتبع الدُّبَّاء يلتقطها من الصحفة كلها، والدباء هي القرع [(٤٦)].

وفي حديث عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليل علىٰ استحباب ركعتي الضحىٰ؛ لقوله: فلما سجدوا الضحىٰ؛ أي لما صلوا صلاة الضحىٰ، وصلاة الضحىٰ سُنَّة، ووقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح، يعني من ربع ساعة من طلوع الشمس إلىٰ قبيل الزوال يعني إلىٰ أن يبقىٰ علىٰ الظهر عشر دقائق، كل هذا وقت لها.

وهي سنة، ينبغي للإنسان أن يحافظ عليها؛ لأنها تُغني عن الصدقات التي تصبح علىٰ كل عضوٍ من أعضاء البدن، كما أخبر النبي ﷺ بأنه يصبح علىٰ كل سُلامىٰ من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس [(٤٧)] يعني كل عضو من أعضائك عليك به صدقة كل يوم.

---

(٤٦) انظر البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١).

(٤٧) أخرجه البخاري (٢٧٠٧)، ومسلم (١٠٠٩).

لكن ليست صدقة مال فقط، بل التسبيح صدقة، والتكبير صدقة، والتهليل صدقة، وقراءة القرآن صدقة، والأمر بالمعروف صدقة، والنهي عن المنكر صدقة، ومعونة الرجل علىٰ متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وإتيان الرجل زوجته صدقة، كل شيء يتقرب به العبد إلىٰ الله فهو صدقة، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحىٰ، وهذا يدل علىٰ أن سنة الضحىٰ سنة في كل يوم.

وفيه أيضًا دليل علىٰ أن الإنسان عند الأكل لا يأكل متكئًا، وإنما يأكل مستوفزًا؛ يعني: جاثٍ علىٰ ركبتيه حتىٰ لا يُكثر من الأكل؛ لقول النبي ﷺ في الإكثار من الأكل: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، فإن كان لا محالة: فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسِه**»(٤٨)، هذا هو الأكل النافع الطبيعي، وإذا جعت فَكُلْ، فالأمر ليس مقصورًا علىٰ ساعاتٍ معينةٍ.

ولو قال قائل: إن الإنسان لو اقتصر علىٰ ثلث وثلث وثلث، قد يجوع قبل أن يأتي وقت العشاء.

نقول: إذا جعت فَكُلْ، لكن كونك تأكل هذا الخفيف يكون أسهل للهضم وأسهل للمعدة، وإذا اشتهيت فَكُلْ، وهذا من الطب النبوي.

لكن لا بأس بالشِّبع أحيانًا؛ لأن النبي ﷺ أقرَّ أبا هريرة رضي الله عنه حينما سقاه اللبن وقال: «**اشرب، اشرب، اشرب**»، حتىٰ قال: والله، لا أجد له مساغًا(٤٩)؛ يعني لا أجد له مكانًا، فأقره النبي ﷺ علىٰ ذلك، وإنما الذي ينبغي أن يكون الأكثر في أكلك كما أرشد إليه النبي ﷺ ثلثٌ للطعام، وثلثٌ للشراب، وثلثٌ للنَّفَس.

---

(٤٨) أخرج الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

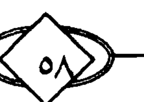
(٤٩) أخرجه البخاري (٥٣٧٥).

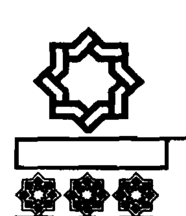
فوائد الحديث:

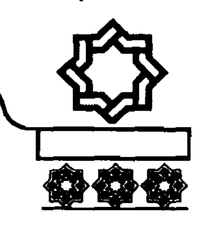
١- النهي عن الأكل من وسط الصَّفْحة.

٢- ما ملأ الإنسان وعاءً شرًّا من بطنه.

٣- لا بأس بالشِّبع أحيانًا.







استحباب الأكل بثلاث أصابع ولعق الأصابع والقصعة

عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا أَكلَ أَحدُكُمْ طَعَامًا؛ فَلا يَمسحْ أَصابِعَهُ حتى يلعَقَهَا أَو يُلْعِقَها»(٥٠).

وعن كَعْبِ بنِ مالك رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ يَأْكُلُ بِثلاثِ أَصابِعَ، فَإذا فَرغَ لَعِقَها(٥١).

وعن جابرٍ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ أمر بِلَعْقِ الأَصَابِعِ والصَّحْفَةِ، وقال: «إِنَّكُمْ لا تَدرُونَ في أَيِّ طعَامِكم البَرَكةُ»(٥٢).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وقعت لُقمَةُ أَحدِكُمْ، فَليَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ ما كان بها من أذًى وليَأْكُلْهَا، ولا يدَعْها للشَّيطَانِ، ولا يَمسَحْ يَدهُ بِالمِنْدِيلِ حتَّى يَلعقَ أَصَابِعَهُ، فإنه لا يَدرِي في أَيِّ طعامِهِ البركةُ»(٥٣).

وعنه أَن رسول الله ﷺ قال: «إن الشَّيطَانَ يَحضرُ أَحدَكُم عِند كُلِّ شَيءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حتى يَحْضُرَهُ عِندَ طعَامِهِ، فَإذا سَقطَتْ لُقْمةُ أَحَدِكم فَليَأْخذْهَا، فَلْيُمِطْ ما كانَ بِها مِن أَذى، ثُمَّ ليَأْكُلْهَا ولا يَدَعها للشَّيْطَانِ، فإذا فَرغَ فَلْيَلْعَقْ أَصابِعهُ؛ فإنَّه لا يدري في أَيِّ طعامِهِ البرَكَةُ»(٥٤).

---

(٥٠) البخاري (٥٤٥٦)، مسلم (٢٠٣١).

(٥١) أخرجه مسلم (٢٠٣٢).

(٥٢) أخرجه مسلم (٢٠٣٣).

(٥٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٣).

(٥٤) أخرجه مسلم (٢٠٣٣).

وعن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أَكَلَ طعَامًا لعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاثَ، وقالَ: «إذا سقَطَتْ لُقمةُ أَحدِكم فَلْيَأْخُذْها، ولْيُمِطْ عنها الأذى، وليَأْكُلْهَا، ولا يَدعْهَا للشَّيطَانِ» وأَمَرنَا أَن نَسلتَ القَصعةَ، وقال: «إِنَّكم لا تدْرُونَ في أَيِّ طَعَامِكم البَركَةُ»(٥٥).

وعن سعيد بنِ الحارث أَنَّه سأَل جابرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الوضوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، فقال: لا، قد كُنَّا زمنَ النبيِّ ﷺ لا نجدُ مثلَ ذلك الطعامِ إلاَّ قلِيلًا، فإذا نحنُ وجدناهُ، لَم يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلُ إلا أَكُفَّنَا وسَوَاعدنَا وأَقْدَامَنَا، ثُمَّ نُصَلِّي وَلا نَتَوَضَّأُ(٥٦).

معانى الكلمات:

يمط: ينحي ويدفع.

لعق: لحس.

المعنى الإجمالي:

هذه الأحاديث تضمنت مسائل متعددة تتعلق بآداب الطعام:

المسألة الأولى: أنه ينبغي للإنسان أن يأكل بثلاثة أصابع: الوسطى والسبابة والإبهام؛ لأن ذلك أدلُّ على عدم الشَّرَه، وأدل على التواضع، ولكن هذا في الطعام الذي يكفي فيه ثلاثة أصابع، أمَّا الطعام الذي لا يكفي فيه ثلاثة أصابع مثل الأرز، فلا بأس بأن تأكل بأكثر - إن لم تكن هناك ملعقة - لكن الشيء الذي تكفي فيه الأصابع الثلاثة يُقتصر عليها، فإن هذا سُنَّة النبي ﷺ.

---

(٥٥) أخرجه مسلم (٢٠٣٤).

(٥٦) أخرجه البخاري (٥٤٥٧).

المسألة الثانية: أنه ينبغي للإنسان إذا انتهىٰ من الطعام أن يلعق أصابعه قبل أن يمسحها بالمنديل، كما أمر بذلك النبي ﷺ؛ يَلْعَقُها أو يُلْعِقُها غيره، أما كونه يَلْعَقُها فالأمر ظاهر، وكونه يُلْعِقُها غيره فهذا أيضًا ممكن؛ فإنه إذا كانت المحبة بين الرجل وزوجته محبة قوية، يسهل عليه جدًّا أن تلعق أصابعه أو أن يلعق أصابعها، فهذا ممكن.

وقول بعض الناس: إن هذا لا يمكن أن يقوله النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه كيف يلعق الإنسان أصابع غيره؟ نقول: إن النبي عليه الصلاة والسلام لا يقول إلا حقًّا، ولا يمكن أن يقول شيئًا لا يمكن، فالأمر في هذا ممكن جدًّا.

وكذلك الأولاد الصغار، أحيانًا الإنسان يحبهم ويلعق أصابعهم بعد الطعام هذا شيء ممكن، فالسُّنة أن تَلعقها أو تُلعقُها غيرك، والأمر - والحمد لله - واسع، ما قال الرسول ﷺ: فليلعقها غيرَه حتىٰ نقول هذا إجبار للناس علىٰ شيءٍ يشق عليهم، العقْهَا أنت، أو ألعِقْهَا غيرك.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة**»، قد تكون البركة ونفع الطعام الكثير بهذا الجزء الذي تلعقه من أصابعك.

حتىٰ إنه ذكر لي بعض الناس عن بعض الأطباء، أن الأنامل - بإذن الله - تَفرز إفرازات عند الطعام تُعين علىٰ هضم الطعام في المعدة، وهذه من الحكمة ولكننا نفعلها سُنَّة، إن حصلت لنا هذه الفائدة الطيبة حصلت، وإن لم تحصل فلا يهمنا، الذي يهمنا امتثال أمر النبي عليه الصلاة والسلام.

المسألة الثالثة: أنه ينبغي للإنسان أن يلعق الصحن أو القِدْر أو الإناء الذي فيه الطعام، إذا انتهت فالْحسْ حافته كما أمر بهذا النبي عليه الصلاة والسلام، فإنك لا تدري في أي طعامك البركة.

ومع الأسف أن الناس يتفرقون عن الطعام بدون تنفيذ هذه السُّنَّة، فتجد حافات الآنية عليها الطعام كما هي. والسبب في هذا الجهل بالسُّنة، ولو أن طلبة العلم إذا أكلوا مع العامة وجَّهوهم إلىٰ هذه السُّنة وغيرها من سنن الأكل والشرب لانتشرت هذه السنن، لكن نسأل الله أن يعاملنا بعفوه، فنحن نتجاوز كثيرًا، ونتهاون في الأمر، وهذا خلاف الدعوة إلىٰ الحق.

المسألة الرابعة: أن الإنسان إذا سقطت منه اللقمةُ فلا يتركها، بل يأخذها، وإذا كان فيها أذًىٰ يمسحه، لا يأكل الأذىٰ؛ لأنَّ الإنسان ليس مجبرًا علىٰ أن يأكل شيئًا لا يشتهيه، يمسح الأذىٰ، كأن يكون فيها عود أو تراب، أو ما أشبه ذلك، امسحه ثم كلها، لماذا؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**ولا يدعها للشيطان**»؛ لأن الشيطان يحضر ابن آدم في كل شئونه، إن أراد أن يأكل حضره، وإن أراد أن يشرب حضره، وإن أراد أن يأتي أهله حضره، حتىٰ يشاركه، كما في الآية الكريمة: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤]، فهو يشارك أهل الغفلة.

فإذا قلت وأنت تأكل: بسم الله؛ منعته من الأكل، ما يقدر علىٰ الأكل معك وقد سمَّيت علىٰ الطعام أبدًا، إذا لم تقل: بسم الله، أكل معك، فإذا قلت: بسم الله، فإن الشيطان يترقب اللقمة إذا سقطت بالأرض، فإن رفعتها أنت فهي لك، وإن تركتها أكلها هو، فصار إذا لم يشاركك في الطعام شاركك فيما يسقط من الطعام، ولهذا فَضَيِّق عليه في ذلك أيضًا، فإذا سقطت اللقمة أو التمرة أو ما أشبه ذلك في الأرض فخذها، وإذا كان علق بها أذىٰ من تراب أو عيدان أو ما أشبه ذلك فأزل ذلك الأذىٰ ثم كلها ولا تدعها للشيطان.

المسألة الخامسة: الوضوء من الطعام المطبوخ الذي مسَّته النار، كالخبز والأرز والجريش وغيرها، هل يتوضأ الإنسان إذا أكله أم لا؟ قال بعض

العلماء: إنه يجب علىٰ مَنْ أكل شيئًا مطبوخًا علىٰ النار أن يتوضأ؛ لأن النبي ﷺ أمر بالوضوء مما مسَّت النار [٥٧]، ولكن الصحيح أنه لا يجب بل هو (سُنَّة)، يعني الأفضل أن تتوضأ حتىٰ ولو كنت علىٰ وضوء؛ إذا أكلت شيئًا مطبوخًا علىٰ النار فالأفضل أن تتوضأ، لكنه ليس بواجبٍ؛ لأن آخر الأمرين من النبي ﷺ ترك الوضوء مما مسَّت النار [٥٨]، يعني عدم الالتزام به.

ويدلُّ لهذا أيضًا أن النبي ﷺ سئل: نتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «**نعم**». قال: نتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «**إن شئت**» [٥٩]؛ لأن لحم الإبل إذا أكله الإنسان انتقض وضوؤه لو كان علىٰ وضوءٍ، فلابد أن يتوضأ، ولكن ما يجب غسل الفرج لأنه ما بال ولا تغوط، إنما يجب الوضوء، سواء كان اللحم نيئًا أو مطبوخًا، وسواء أكلت الهبر [٦٠] أو الكبد أو القلب أو الكرش أو الأمعاء، أيُّ شيءٍ تأكله من البعير فإنه يجب عليك أن تتوضأ؛ لأنه كله ناقض للوضوء، أما غيره فإذا أكلته مطبوخًا فالأفضل أن تتوضأ ولا يجب عليك ذلك.

فوائد الحديث:

١- مشروعية لعق أصابع اليد بعد الانتهاء من الأكل.

٢- الحفاظ علىٰ الطعام وعدم التهاون أو الإسراف فيه.

٣- تربص الشيطان بالإنسان في كل شئونه.

---

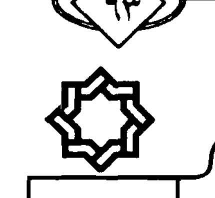
(٥٧) أخرجه مسلم (٣٥١).

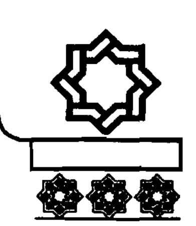
(٥٨) أخرجه أبو داود (١٩٢)، والنسائي (١٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٥٩) أخرجه مسلم (٣٦٠).

(٦٠) الهَبْرَةُ: القطعة من اللحم.







آداب الشراب

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كانَ يتنَفَّسُ في الشَّرَابِ ثَلاثًا[٦١].

وعن أبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى أن يُتَنَفَّسَ في الإِناءِ[٦٢].

وعن أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن رسول الله ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قد شِيب بمَاءٍ، وعَنْ يمِينِهِ أَعْرابِي، وعَنْ يَسارِهِ أَبو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَشَرِبَ، ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابيَّ وقال: «الأَيْمَنَ فالأَيْمنَ»[٦٣].

وعن سهل بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشرابٍ، فشرِبَ مِنْهُ وعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وعن يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فقال للغُلام: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هُؤلاءِ؟». فقال الغُلامُ: لا واللهِ، لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنكَ أَحَدًا، فَتلَّهُ رسول الله ﷺ في يدِهِ[٦٤]. قوله: «تَلَّه» أَيْ: وَضَعَهُ. وهذا الغُلامُ هو ابْنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

معاني الكلمات:

شِيب: خُلط.

أُوثِرُ: أُفضل.

تلَّه: وضعه.

---

(٦١) أخرجه البخاري (٥٦٣١)، مسلم (٢٠٢٨).

(٦٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٠)، مسلم (٢٦٧).

(٦٣) أخرجه البخاري (٥٦١٩)، ومسلم (٢٠٢٩).

(٦٤) أخرجه البخاري (٢٣٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).

المعنى الإجمالي:

الأكل والشرب من نعم الله - سبحانه وتعالىٰ - ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من حُرِمها، نسأل ألا يحرمنا إياها، فمن حرمها وذاق الجوع وذاق العطش عرف قدر نعمة الله تعالىٰ بالأكل والشرب، وهذه إحدىٰ الحكم من الصيام؛ أن الإنسان يمسك عن الأكل والشرب حتىٰ يعرف قَدْرَ نعمة الله عليه بتيسير الأكل والشرب.

وللشرب آداب، منها: أن يسمِّي الله عَزَّوَجَلَّ **إذا شرب، فيقول عند الشرب:** بسم الله.

ومنها: أن يتنفس في الشرب ثلاثًا؛ لقول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان النبي ﷺ إذا شرب تنفس في الشراب ثلاثًا. كيف يتنفس في الشراب ثلاثًا؟ يعني يشرب، ثم يفصل الإناء عن فمه، ثم يشرب ثم يفصله عن فمه، ثم يشرب الثالثة؛ ولا يتنفس في الإناء، لحديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: «**نهىٰ أن يتنفس الإنسان في الإناء**».

والحكمة من ذلك: أن النفس في الإناء مستقذرٌ علىٰ مَنْ يشرب من بعده، وربما تخرج مع النَّفَسِ أمراض في المعدة، أو في المريء، أو في الفم فتلتصق بالإناء، وربما يَشْرَقُ إذا تنفس في الإناء، فلهذا نهىٰ النبي ﷺ أن يتنفس الإنسان في الإناء، بل يتنفس ثلاثة أنفاس، كل نفس يُبعد فيه الإناء عن فمه. وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأن هذا أهنأ وأبرأ وأمرأ(٦٥)؛ أهنأ: لأنه يشرب بمهلة. وأبرأ: يعني أبرأ من العطش، وأسلم من المرض. وأمرأ: أسهل في

(٦٥) أخرجه مسلم (٢٠٢٨).

النزول إلىٰ الأمعاء.

ووجه ذلك: أن العطش عبارة عن حرارة المعدة لقلة الماء أو لغير ذلك، وأحيانًا يكون المرض، فإذا جاءها الماء دفعةً واحدةً ربما يضر، فإذا راسله الإنسان عليها مراسلةً كان هذا أبرأ في إزالة العطش، وفي السلامة من المرض والأثر الذي يحصل بورود الماء علىٰ المعدة دفعة واحدة.

ولهذا ينبغي أيضًا إذا شرب أن لا يعبَّ الماء عبًّا، وإنما يمصُّه مصًّا، لا يعبه عبًّا فيأخذ جرعات كبيرة، بل يمصُّه مصًّا، حتىٰ يأتي المعدة شيئًا فشيئًا، فيمصُّه في النفس الأول، ثم يطلق الإناء، ثم يمصه في النفس الثاني، ثم يطلق الإناء، ثم في النَّفَس الثالث، هذه هي السُّنة.

وأما التناول يعني: بمن يبدأ في إعطاء الإناء إذا أراد أن يعطي الشراب أحدًا؟ مثال ذلك: رجل دخل ومعه شراب؛ شاي أو قهوة بمن يبدأ؟ نقول: إذا كان أحد من الناس قد طلب الشراب فقال: هات الماء مثلًا، فإنه يبدأ به هو الأول، وإذا لم يكن أحد طلبه، فإنه يبدأ بالأكبر ثم الأكبر، يناوله مَنْ علىٰ يمينه.

وإذا كان لكل واحد إناء كالكئوس مثلًا، فيبدأ بالأكبر ثم يعطي الذي عن يساره؛ لأن الذي عن يساره هو الذي عن يمين الصابِّ، والصابُّ هو الذي سيناول، فيبدأ بمَنْ علىٰ يمينه، والذي علىٰ يمين الصابِّ هو الذي يسار الشارب؛ لأن الصابَّ مستقبل للشارب، فيكون مَنْ علىٰ يسار الشارب هو الذي علىٰ يمين الصابِّ.

مثال ذلك مثلًا: إنسان طلب الماء، فجيء إليه بالماء فشرب منه، وأراد أن يناوله أحدًا بعده، إن كان الذي جاء بالشراب واقفًا علىٰ رأسه يقول: أعطني الإناء إذا فرغت فيعطيه إياه، وإذا لم يكن فإنه إذا انتهىٰ يعطيه للذي علىٰ يمينه،

سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، شريفًا أو وضيعًا.

والدليل علىٰ هذا: أن النبي ﷺ أُتِيَ بلبن قد شيب بماء فشرب وعلىٰ يمينه رجل من الأعراب، وعلىٰ يساره أبو بكر وعمر، فلما فرغ النبي ﷺ ناوله الأعرابي، فقال عمر للأعرابي: هذا أبو بكر، يريد من الأعرابي أن يكرم أبا بكر، ويقول: خذه يا أبا بكر؛ لأن أبا بكر مشهور معروف بين الصحابة، أنه أخص أصحاب النبي ﷺ بالنبي، ولكن الأعرابي أخذ الإناء فشرب، فهنا نجد أن النبي ﷺ فضل المفضول علىٰ الفاضل؛ لأن أبا بكر أفضل من الأعرابي، لكن فَضَّله ﷺ عليه لأنه عن يمينه، وقال: «الأيمن فالأيمن».

والقصة الثانية: أُتي النبي ﷺ بشرابٍ فشرب منه، وعلىٰ يمينه غلام، وعلىٰ يساره الأشياخ الكبار، فلما شرب قال للذي علىٰ يمينه وهو غلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء**»؛ يعني: الأشياخ، فقال: والله يا رسول الله، ما أنا بالذي أوثر بنصيبي عليك أحدًا؛ يعني: ما أوثرهم عليَّ، أنا أحب أن أشرب فَضْلتك، «**فتلَّه رسول الله ﷺ في يده**»؛ يعني: أعطاه الإناء في يده.

فهذا دليل علىٰ أنه إذا كان الذي علىٰ اليمين أصغر سنًّا فإنه يفضل علىٰ الذي علىٰ اليسار ولو كان أكبر سنًّا، والأول يدل علىٰ أنه إذا كان الذي علىٰ اليمين أقل قدرًا، فإنه يُعطَىٰ ويقدَّم علىٰ الذي هو أعظم قدرًا إذا كان علىٰ اليسار؛ لقول الرسول: «**الأيمنون، الأيمنون، الأيمنون، ألا فيمنوا، ألا فيمنوا، ألا فيمنوا**»(٦٦). هكذا جاء الحديث. لكن هذا فيمن إذا شرب يريد أن يناول من علىٰ يمينه أو علىٰ يساره. أما ما يفعله الناس اليوم؛ يأتي الرجل بالإبريق ويدخل المجلس، فهنا يبدأ بالأكبر؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كانوا

---

(٦٦) أخرجه البخاري (٢٥٧١)، ومسلم (٢٠٢٩).

يبدؤون به فيعطونه أولًا، ولأنه لما أراد أن يناول عليه الصلاة والسلام المسواك أحد الرجلين اللذين وقفا، قيل له: «كبِّر كبِّر»[٦٧]، وقد ورد في ذلك أيضًا أحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، أنك إذا دخلت المجلس تبدأ بالأكبر لا بِمَنْ علىٰ اليمين.

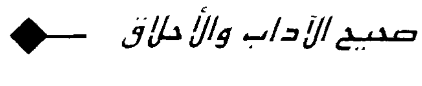
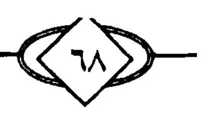
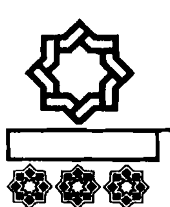
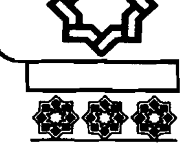
فوائد الحديث:

١- لا يتنفس الإنسان في فم الإناء.

٢- استحباب التيمن.

---

(٦٧) أخرجه البخاري (٢٤٦)، ومسلم (٢٢٧١).

كراهة الشرب من فم القربة ونحوها

عن أبي سعيدٍ الخدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَهَى رسول الله ﷺ عنِ اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ (٦٨).

يَعْنِي: أَنْ تُكسَرَ أَفْوَاهُها، وَيُشْرَب منها.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَهَى رسول الله ﷺ أَن يُشْرَبَ مِنْ في السِّقاءِ أَو القِرْبةِ (٦٩).

وعن أُمِّ ثابِتٍ كَبْشَةَ بِنْتِ ثَابتٍ أُخْتِ حَسَّانِ بْن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخَل عليَّ رسولُ الله ﷺ، فَشَربَ مِن في قِرْبةٍ مُعَلَّقةٍ قَائمًا، فَقُمْتُ إلى فِيهَا فَقطَعْتُهُ (٧٠).

وَإِنَّمَا قَطَعَتْها: لِتَحْفَظَ موْضِعَ فَم رسول الله ﷺ وَتَتَبَرَّكَ بِهِ، وَتَصُونَهُ عَن الابتِذالِ، وَهذا الحَدِيثُ مَحْمُول على بَيانِ الجوازِ، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل، والله أعلم.

معاني الكلمات:

اخْتِنَاثِ: اخْتَنَثَها: ثَنىٰ فاها إِلىٰ خارج فشَرِبَ منه.

المعنى الإجمالي:

من آداب الشرب: ألا يشربَ الإنسان من فم القربة أو السقاء؛ لأن النبي

(٦٨) البخاري (٥٦٢٥)، مسلم (٢٠٢٣).

(٦٩) أخرجه البخاري (٥٦٢٨).

(٧٠) أخرجه الترمذي (١٨٩٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث (١٥٤٢).

ﷺ نهىٰ عن ذلك، والحكمة من هذا: أن المياه فيما سبق ليست بتلك المياه النظيفة، فإذا صارت في القربة أو في السقاء، فإنه يكون فيها أشياء مؤذية؛ عيدان أو حشرات أو غير ذلك مما هو معروف لمن كانوا يستعملون هذا من قبل؛ فلهذا نهىٰ النبي ﷺ «عن اختناث الأسقية»؛ يعني: أن الإنسان يكسر أفواهها هكذا، ثم يشرب.

وذُكِرَ أن رجلًا شرب مرةً هكذا، فخرجت حيةٌ من القربة[٧١]، وهذا لا شك أنه علىٰ خطر، إما أن تلدغه أو تؤذيه؛ لهذا ينهي عن الشرب من فم القربة، وليس من ذلك الشرب من الصنبور، أو من الجِرَارِ التي يُخزَّن فيها الماء؛ لأن هذه معلومة ونظيفة، فهو كالشرب من الأواني، لكن إذا كان هناك حاجة فلا بأس أن يشرب الإنسان من فم القربة، مثل أن يكون محتاجًا إلىٰ الماء وليس عنده إناء، فإنه يشرب من في القربة، وعلىٰ هذا فيكون النهي عن ذلك كما قال النووي للكراهة وليس للتحريم.

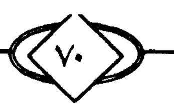
فوائد الحديث:

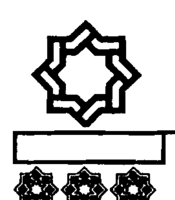
١- أنه يجوز أن يشرب الإنسان قائمًا إذا دعت الحاجة إلىٰ ذلك.

٢- جواز التبرك بآثار النبي ﷺ وهو كذلك، وقد كان الصحابة يتبركون بعرق النبي ﷺ، ويتبركون بريقه، ويتبركون بثيابه، ويتبركون بشَعَرِه، أما غيره ﷺ فإنه لا يتبرك بشيء من هذا منه، فلا يتبرك بثياب الإنسان ولا بشعره ولا بأظفاره، ولا بشيء من متعلقاته، إلا النبي ﷺ.

---

(٧١) أخرجه ابن ماجه (٣٤١٩)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.





كراهة النفخ في الشراب

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ النَّفخِ في الشَّرابِ، فقال رَجُلٌ: القذَاةُ أَراها في الإِناءِ؟. فقال: «أَهْرِقْهَا». قال: فإِني لا أُرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ؟. قال: «فَأَبِنِ القَدَحَ إذن عَنْ فِيكَ» (٧٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَن يُتنَفَّسَ في الإِنَاءِ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ (٧٣).

معاني الكلمات:

القذَاةُ: ما يقع في العين والشراب والماء من تراب وغير ذلك.

أَهْرِقْهَا: صبها.

أَبِنِ: افصل وأبعد.

المعنى الإجمالي:

في الحديثين: النهي عن النفخ في الشراب؛ وذلك لأن الإنسان إذا نفخ ربما يحصل من الهواء الذي يخرج منه، أشياء مؤذية أو ضارة كمرض ونحوه، فلهذا نهىٰ النبي ﷺ عن النفخ فيه، فسأله الرجل قال: يا رسول الله، القذاة - يعني تكون في الشراب - يعني مثل العود الصغير أو ما أشبه ذلك، فينفخه الإنسان من أجل أن يخرج، فقال النبي ﷺ: «أهرقها»؛ يعني: صب الماء الذي

(٧٢) أخرجه الترمذي (١٨٨٧)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة، حديث(٣٨٥).

(٧٣) أخرجه الترمذي (١٨٨٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث(٦٨٢٠).

فيه القذاة ولا تنفخ فيه.

ثم سأله: أنه لا يُروىٰ بِنَفَسٍ واحدٍ، فقال: «**أَبِنِ الإناء عن نفسك**»، المعنىٰ: أنه يشرب ويحتاج إلىٰ تنفُّس، فأمره النبي ﷺ أن يُبِين الإناء عن فمه يعني يفصله، ثم يتنفس، ثم يعود فيشرب، إلا أن بعض العلماء استثنىٰ من ذلك ما دعت الحاجة إليه، كما لو كان الشراب حارًّا ويحتاج إلىٰ السرعة، فرخص في هذا بعض العلماء، ولكن الأَوْلىٰ ألا ينفخ حتىٰ لو كان حارًّا، إذا كان حارًّا وعنده إناءٌ آخر، فإنه يصبه في الإناء ثم يعيده مرة ثانية حتىٰ يبرد.

وفي هذا: دليل علىٰ أن الشريعة الإسلامية كاملة من جميع الوجوه، كل شيء قد علمنا إياه رسول الله ﷺ، كما قال أبو ذر: «لقد تُوفِّي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا»(٧٤)، حتىٰ الطيور في السماء لنا منها علم بتعليم الله ورسوله إيانا.

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: علمكم نبيكم كل شيء حتىٰ الخراءة، يعني حتىٰ الجلوس علىٰ قضاء الحاجة لبول أو غائط. قال: أجل، وذكر ما علمه لنا النبي ﷺ في ذلك: ألا نستقبل القبلة بغائط ولا بول، وألا نستنجي باليمين، وألا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، وألا نستنجي برجيع أو عظم(٧٥).

فالمهم: أن شريعتنا - ولله الحمد كاملة - من كل وجهٍ، ليس فيها نقصٌ، ولا تحتاج إلىٰ أحدٍ يُكملها، وفيه ردٌّ علىٰ السفهاء الذين يزعمون أن الشريعة الإسلامية إنما تنظم العبادة بين الله وبين الخلق فقط، وأما المعاملات بين

---

(٧٤) أخرجه أحمد (٢١٤٧٧)، والطبراني في الكبير (١٦٤٧).

(٧٥) أخرجه مسلم (٢٦٢).

الناس بعضهم بعضًا، فإن الشريعة لا تعتني بها، فيقال لهؤلاء: تبًّا لكم، وسفهًا لعقولكم، أطول آية في كتاب الله العزيز كلها في المداينة، في التعامل بين الناس، وهل بعد هذا من اعتناء؟!

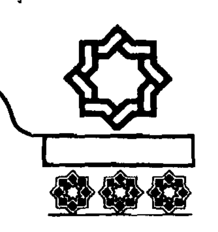
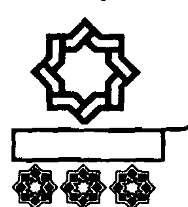
وما أكثر الآيات التي في القرآن الكريم في تنظيم المال وإصلاحه! وما أشبه ذلك، وكذلك في السُّنة، فالشريعة الإسلامية - ولله الحمد - كاملة من كل وجهٍ.

فوائد الحديث:

١- النهي عن النفخ في الإناء.

٢- النهي عن التنفس في الإناء.

٣- حرص النبي ﷺ على أمته.

بيان جواز الشرب قائمًا

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَقَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ(٧٦).

وعن النَّزَّال بنِ سبْرَةَ رضي الله عنه قال: أَتَى عَلِيٌّ رضي الله عنه بابَ الرَّحْبَةِ فَشَرِب قَائمًا، وقالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ فعل كما رَأَيْتُمُوني فَعَلْتُ(٧٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنَّا نَأْكُلُ عَلى عَهدِ رسُولِ اللهِ ﷺ ونحْنُ نَمْشي، ونَشْرَبُ وَنحْنُ قيامٌ(٧٨).

وعن أَنسٍ رضي الله عنه عن النَّبِي ﷺ أَنهُ نَهى أَنْ يشربَ الرّجُلُ قَائمًا. قال قتادة: فَقلْنَا لأنَس: فالأَكْلُ؟ قال: ذلكَ أَشَرُّ، أَو أَخْبثُ(٧٩).

وفي رواية له: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائمًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «لا يشْرَبَنَّ أَحدٌ مِنْكُمْ قَائمًا، فَمَنْ نَسِي، فَلْيَسْتَقِئ»(٨٠).

المعنى الإجمالي:

الأفضل في الأكل والشرب أن يكون الإنسان قاعدًا؛ لأن هذا هو هدي

---

(٧٦) البخاري (٢٦٣٧)، مسلم (٢٠٢٧).

(٧٧) أخرجه البخاري (٥٦١٥).

(٧٨) أخرجه الترمذي (١٨٨٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث (١٥٣٣).

(٧٩) أخرجه مسلم (٢٠٢٤).

(٨٠) أخرجه مسلم (٢٠٢٦).

النبي ﷺ، ولا يأكل وهو قائم، ولا يشرب وهو قائم.

أما الشرب وهو قائم: فإنه صحَّ عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن ذلك، وُسئل أنس بن مالك عن الأكل قال: ذاك أشرُّ وأخبث؛ يعني: أنه إذا نهىٰ عن الشرب قائمًا فالأكل قائمًا من باب أولىٰ.

لكن في حديث ابن عمر الذي أخرجه الترمذي وصححه قال: كنا في عهد النبي ﷺ نأكل ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام، فهذا يدل علىٰ أن النهي ليس للتحريم ولكنه لترك الأولىٰ، بمعنىٰ أن الأحسن والأكمل أن يشرب الإنسان قاعدًا وأن يأكل قاعدًا، ولكن لا بأس أن يشرب قائمًا وأن يأكل قائمًا.

زمزم: هي عين الماء التي حول الكعبة، وسببها: أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ترك هاجر أم إسماعيل وابنها إسماعيل في مكة وليس فيها أحدٌ، ليس فيها سكان، وليس فيها كعبة، بل وليس فيها زروعٍ، هي وادٍ غير ذي زرع، وجعل عندهما وعاء من تمر، وسقاء من ماء وانصرف؛ لأن الله أمره أن يبقيهما هنالك، فلما انصرف لحقته هاجر وقالت له: كيف تذهب وتتركنا؟ هل أمرك الله بذلك؟ قال: نعم، قالت: إذا كان الله أمرك بذلك فإنه لن يضيعنا، وهذا يدل علىٰ كمال إيمان هاجر رضي الله عنها.

فماء زمزم مبارك **«طعام طعم وشفاء سقم»**(٨١)، و**«ماء زمزم لما شُرِبَ له»**(٨٢) إن شربته لعطش رويت، وإن شربته لجوع شبعت، حتىٰ إن بعض العلماء أخذ من عموم هذا الحديث أن الإنسان إذا كان مريضًا وشربه للشفاء شُفي، وإذا كان كثير النسيان وشربه للحفظ صار حافظًا، وإذا شربه لأي غرض

---

(٨١) أخرجه مسلم (٢٤٧٣).

(٨٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢).

ينفعه، فعلىٰ كل حال هذا الماء ماء مبارك.

فالحاصل: أن الأكمل والأفضل أن يشرب الإنسان وهو قاعد، ويجوز الشرب قائمًا، وقد شرب عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه قائمًا، وقال: إن النبي ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت، فدل ذلك علىٰ أن الشرب قائمًا لا بأس به، لكن الأفضل أن يشرب قاعدًا.

بقي أن يقال: إذا كانت البرادة في المسجد ودَخَلَ المسجد، فهل يجلس ويشرب، أو يشرب قائمًا؟ لأنه إن جلس خالف قول النبي ﷺ: «**إذا دخل المسجد فلا يجلس حتىٰ يصلي ركعتين**»، وإن شرب قائمًا ترك الأفضل. فنقول: الأفضل أن يشرب قائمًا؛ لأن الجلوس قبل صلاة الركعتين حرام عند بعض العلماء، بخلاف الشرب قائمًا فهو أهون، وعلىٰ هذا فيشرب قائمًا ثم يذهب ويصلي تحية المسجد.

فوائد الحديث:

١- جواز الشرب قائمًا مع كراهيته.

٢- علىٰ الإنسان الأكل قاعدًا.

استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا

عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «سَاقِي القَوْمِ آخِرُهُمْ». يعني: شرْبًا(٨٣).

المعنى الإجمالي:

إن الذي يسقي القوم ماءً أو لبنًا أو قهوة أو شايًا، ينبغي أن يكون هو آخرهم شربًا؛ من أجل أن يكون مؤْثِرًا علىٰ نفسه، ومن أجل أن يكون النقص - إن كان - علىٰ نفس الساقي، وهذا لا شك أنه أحسن امتثالًا لأمر النبي ﷺ، وأخذًا بأدب النبي ﷺ، لكنه إذا كان لا يشتهي أن يشرب فليس بلازم أن يشرب بعدهم، إن شاء شرب، وإن شاء لا يشرب.

المهم: أن يكون هو الأخير إذا أراد أن يشرب، لما في ذلك من الإيثار وامتثال أمر النبي ﷺ، وفي هذا إشارة إلىٰ أنه ينبغي للإنسان أن يخدم إخوانه بسقيهم، وإذا كان صاحب البيت فليقدم إليهم الشراب أو الأكل، كما فعل إبراهيم- عليه الصلاة والسلام - ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٦، ٢٧].

فصاحب البيت يقرب الأكل ويناول الشراب، ويكون هو آخر القوم، ثم هل الأفضل أن يشاركهم في الطعام سواء كان غداءً أو عشاءً أو فطورًا، أو

---

(٨٣) أخرجه مسلم (٦٨١).

الأفضل أن ينصرف ولا يشاركهم؟ هذا يرجع إلىٰ عادة الناس، فإذا كانت مشاركته أطيب لقلوب الضيوف وأكثر إيناسًا فليأكل معهم، وإذا كان الأمر بالعكس وجرت العادة أنه لا يأكل الإنسان مع ضيوفه فلا يأكل.

فهذا أمر يرجع إلىٰ العرف؛ إن كان العرف أن من إكرام الضيف ألا تأكل معه وأن تجعله حرّاً يأكل ما شاء فلا تأكل، وإن كان الأمر بالعكس فَكُلْ، ولقد قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»(٨٤)، ولم يبين نوع الإكرام، فيرجع في ذلك إلىٰ ما جرىٰ به عُرْف الناس.

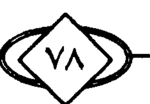
فوائد الحديث:

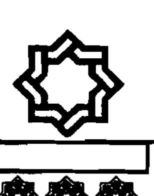
١- ساقي القوم آخرهم.

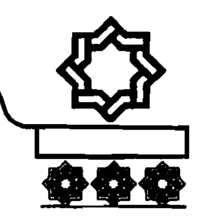
٢- استحباب أن يكون الأخ في خدمة إخوانه.

❊ ❊ ❊

(٨٤) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).







آداب العطاس والتثاؤب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يُحِبُّ الْعِطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَس أحدكُم وَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله. وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُو مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»(٨٥).

وعنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لله، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ -أَوْ صَاحِبُهُ-: يَرْحَمُكَ الله، فَإِذَا قَالَ لَه: يَرْحَمُكَ الله، فَلْيَقُل: يَهْدِيكُمُ الله وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»(٨٦).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «إذا عَطَس أحدُكُم فحمد الله؛ فَشَمِّتوه، فإنْ لَمْ يَحْمَدِ الله؛ فلا تُشمتوه»(٨٧).

وعن أنس رضي الله عنه قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ فَشَمَّتَ أحدهما ولَمْ يشمت الآخر، فقال الذي لَمْ يشمته: عطس فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ وَعطستُ فَلَم تُشَمتني؟ فقال: «هَذَا حَمِدَ الله، وَإِنَّك لَم تَحْمَدِ الله»(٨٨).

معاني الكلمات:

تشميت العاطس: أن يقال له: يرحمك الله.

---

(٨٥) أخرجه البخاري (٦٢٢٣).

(٨٦) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٨٧) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

(٨٨) أخرجه البخاري (٦٢٢٥)، ومسلم (٢٩٩١).

المعنى الإجمالي:

العُطاس من الله عز وجل، يحبه الله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب العطاس**»، والسبب في ذلك: أن العطاس يدل علىٰ النشاط والخفة؛ ولهذا تجد الإنسان إذا عَطَس نَشِط، والله - سبحانه وتعالىٰ - يحب الإنسان النشيط الجادَّ، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**»(٨٩)، والعطاس يدل علىٰ الخفة والنشاط؛ لهذا كان محبوبًا إلىٰ الله، وكان مشروعًا للإنسان إذا عطس أن يقول: الحمد لله؛ لأنها نعمة أُعطيها فليحمد الله عليها، فيقول: الحمد لله إذا عطس، سواء أكان في الصلاة أو خارج الصلاة في أي مكانٍ كان، إلا أن العلماء رحمهم الله يقولون: إذا عطس - وهو في الخلاء - فلا يقول بلسانه: «**الحمد لله**»، ولكن يحمد بقلبه؛ لأنهم يقولون - رحمهم الله -: إن الإنسان لا يذكر الله في الخلاء، فإذا عطس الإنسان وحمد الله كان حقًّا علىٰ كل مَنْ سمعه أن يقول له: «**يرحمك الله**»، فيدعو له بالرحمة جزاءً له علىٰ حمده لله عز وجل فإنه لما حمد الله كان من جزائه أن إخوانَه يدعون له بالرحمة.

و«**كان حقًّا علىٰ كل مَنْ سمعه**» ظاهره أنه يجب علىٰ كل السامعين بأعيانهم، ويؤيده قوله في الحديث الآخر: «**إذا عطس فحمد الله فَشَمِّتوه**».

وذهب بعض العلماء إلىٰ أن: تشميت العاطس فرض كفاية؛ يعني: إذا قال واحد من الجماعة: يرحمك الله، كفىٰ، لكن الاحتياط أن يشمتَه -أي يدعو له بالرحمة- كل مَنْ سمعه كما جاء في الحديث.

---

(٨٩) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

وأما التثاؤب: فإنه من الشيطان، ولهذا كان الله يكرهه، لماذا؟ لأن التثاؤب يدل علىٰ الكسل، ولهذا يكثر التثاؤب فيمن كان فيه نومٌ، ولأجل أنه يدل علىٰ الكسل كان الله يكرهه، ولكن إذا تثاءب فالأَوْلىٰ أن يرده - أي يرد التثاؤب - يكظمه ويتصبر، قال العلماء: وإذا أردت أن تكظمه فَعَض علىٰ شفتك السفلىٰ، لأجل أن تضمها حتىٰ لا ينفتح الفم، فالمهم أن تكظم سواء بهذه الطريقة أو غيرها، فإن عجزت عن الكظم فضع يدك علىٰ فمك، وما ذكره بعض العلماء رحمهم الله أنك تضع ظهرها علىٰ الفم فلا أصل له، وإنما تضع بطنها - هكذا - تسدُّ الفم، والسبب في ذلك أن الإنسان إذا تثاءب ضحك الشيطان منه؛ لأنه -أي الشيطان- يعرف أن هذا يدل علىٰ كسله وعلىٰ فتوره، والشيطان يحب من ابن آدم أن يكون كسولًا فتورًا - أعاذنا الله وإياكم منه - ويكره الإنسان النشيط الجاد الذي يكون دائمًا في حزم وقوة ونشاط، فإذا جاءك التثاؤب فإن استطعت أن تكظمه وتمنعه فهذا هو السُّنَّة، وهذا هو الأفضل، وإن لم تقدر فضع يدك علىٰ فمك.

ولكن هل تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؟ لا، لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، فالنبي ﷺ علمنا ماذا نفعل عند التثاؤب ولم يقل: قولوا كذا، وإنما قال: اكظموا، أو ردوا باليد، ولم يقل: قولوا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أما ما اشتهر عند بعض الناس أن الإنسان إذا تثاءب يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ فهذا لا أصل له، والعبادات مبنيَّة علىٰ الشرع لا علىٰ الهوىٰ، لكن قد يقول بعض الناس: أليس الله يقول: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وقد أخبر النبي ﷺ أن التثاؤب من الشيطان، فهذا نزغ، نقول: لا؛ فقد فهمت الآية خطأ، فالمراد من الآية: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يعني الأمر

بالمعاصي، أو بترك الواجبات فهذا نزغ الشيطان، كما قال تعالىٰ فيه، إنه ينزغ بين الناس وهذا نزغه، الأمر بالمعاصي والتضليل عن الواجبات، فإن أحسست بذلك فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أما التثاؤب: فليس فيه إلا سُنَّة فعليَّة فقط: وهي الكظم ما استطعت، فإن لم تقدر؛ فضعْ يدك علىٰ فمك.

ومن آداب العطاس: أنه ينبغي للإنسان إذا عطس أن يضع ثوبه علىٰ وجهه، قال أهل العلم: وفي ذلك حكمتان:

الحكمة الأولىٰ: أنه قد يخرج مع هذا العطاس أمراض تنتشر علىٰ مَنْ حوله.

الحكمة الثانية: أنه قد يخرج من أنفه شيء مستقذر تتقزز النفوس منه، فإذا غطىٰ وجهه صار ذلك خيراً. ولكن لا تفعل ما يفعله بعض الناس بأن تضع يدك علىٰ أنفك، فهذا خطأ، لأن هذا يحدُّ من خروج الريح التي تخرج من الفم عند العطاس، وربما يكون في ذلك ضرر عليك.

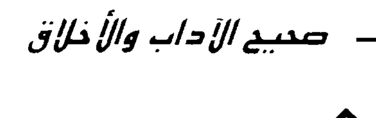
وفي هذه الأحاديث دليل علىٰ أن مَنْ عطس ولم يقل: الحمد الله؛ فإنه لا يقال له: يرحمك الله؛ لأن النبي ﷺ عطس عنده رجلان: أحدهما قال له النبي ﷺ: «**يرحمك الله**». والثاني لم يقل له ذلك، فقال الثاني: يا رسول الله، عطس فلان فقلت له: «**يرحمك الله**». وعطستُ فلم تقل لي ذلك؟ قال - أي: الرسول الكريم ﷺ -: «**هذا حَمِدَ الله، وإنك لم تحمد الله**». وعلىٰ هذا إذا عطس إنسان ولم يحمد الله فلا تقل له: يرحمك الله، ولكن هل نُذكِّره فنقول له قل: «الحمد الله»؟ لا؛ لأن هذا الحديث يدل علىٰ أنك لا تُذكِّره، فلم يقل النبي ﷺ في الحديث: إذا عطس ولم يحمد الله فذكِّروه. بل قال: «**لا تُشمِّتوه**» فنحن لا نقول: احمد الله، ولكن فيما بعد علينا أن نخبره أن الإنسان إذا عطس عليه أن يقول: «**الحمد الله**» ويكون ذلك من باب التعليم. ولابد أن يكون حمدُ العاطس

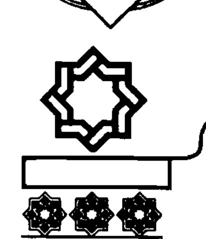
مسموعًا، كما أن العاطس إذا قيل له: يرحمك الله، يقول: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**»؛ أي: يصلح شأنكم، فتدعو له بالهداية وإصلاح الشأن، ويقول بعض العامة: «يهدينا ويهديكم الله» وهذا خلاف المشروع، المشروع أن يقول: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**» كما بينًّا. والله الموفق.

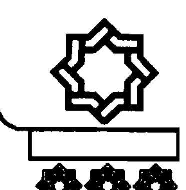
فوائد الحديث:

١- لا بد للعاطس أن يحمد الله.

٢- ينبغي تشميت العاطس إذا حمد الله.







آداب الخلاء

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قيل له: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ! قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ (٩٠).

معاني الكلمات:

اسْتَنْجىٰ: تطهر بالماء.

الرَّوْثِ: رجيع ذي الحافر.

المعنى الإجمالي:

سبب تحديثه رضي الله عنه بهذا الحديث أن رجلًا من المشركين قال له: علمكم نبيكم حتىٰ الخراءة؛ يعني: علمكم نبيكم كل شيء حتىٰ آداب قضاء الحاجة! قال: أجل؛ يعني: علمنا كل شيء، فالنبي ﷺ علَّم أمته كل شيء، ما من شيء تحتاجه الأمة في أمور دينها ودنياها إلا وعلمها إياه ﷺ ما من خير إلا دلهم عليه وحثهم عليه، وما من شرٍّ إلا بيَّنه وحذرهم منه صلوات الله وسلامه عليه حتىٰ ترك أمته بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك، قال أبو ذر رضي الله عنه: (لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منها علمًا)، حتىٰ الطيور في السماء ذكر الرسول ﷺ لأمته منها علمًا، فما من شيء يحتاجه الناس إلا بيَّنه

---

(٩٠) أخرجه مسلم (٦٢٩).

لهم حتىٰ الخراءة.

قال سلمان للرجل المشرك: نعم، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائطٍ أو بولٍ، فلا يحل للإنسان أن يستقبل القبلة حال قضاء الحاجة، ولا أن يستدبرها، قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وأن نستنجي باليمين؛ يعني: نهىٰ النبي ﷺ أن نستنجي باليمين سواء بالأحجار أو بالمناديل أو بالتراب أو بالماء، المهم أن لا تجعل اليد اليمنىٰ تباشر تنقية القُبل أو الدبر، وإنما يكون ذلك بأي شيء؛ باليد اليسرىٰ؛ لأن اليمنىٰ تُقدَّم علىٰ اليسرىٰ، واليسرىٰ للأذىٰ والقذر؛ ولذلك عندما يريد الإنسان أن يتمخَّض بأن يخرج ما في أنفه من الأذىٰ فلا يتمخض باليد اليمنىٰ بل باليد اليسرىٰ؛ لأن القاعدة عند العلماء أن اليسرىٰ تقدم للأذىٰ واليمنىٰ لما سواها؛ ولهذا نُهي الإنسان أن يأكل بالشمال، وأمر أن يأكل باليمين، ونُهي أن يعطي بالشمال ويأخذ بالشمال، بل يكون إعطاؤه وأَخْذه باليمين.

وقوله: (أن نستنجي باليمين وأن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار) هنا أطلق الاستنجاء وأراد به الاستجمار؛ يعني: نهىٰ الرسول أن يستجمر الإنسان بأقل من ثلاثة أحجار حتىٰ ولو أنقىٰ؛ يعني: لو أن إنسانًا مسح ذكره بعد انتهاء البول مرة ثم الثانية، وأنقىٰ ما بقي فيه رطوبة إطلاقًا، قلنا: لا بد أن يمسح الثالثة؛ لأن النبي ﷺ نهىٰ أن يستجمر بأقل من ثلاثة أحجار، فإذا مسح الثالثة ولم ينقِ زاد الرابعة، فإذا أنقىٰ في الرابعة قلنا له زد خامسة؛ لأن النبي ﷺ أمر بالاستجمار أن يكون علىٰ وترٍ، فقال: «إذا استجمر أحدكم فليوتر»، إذا أنقىٰ بأربع يزيد خامسة، وإذا أنقىٰ بستٍّ - مثلًا - يزيد سابعة ولا ينقص عن ثلاثة أحجار.

قوله: (وأن لا نستنجي برجيع أو عظم)؛ يعني: ونهىٰ أن نستنجي برجيع أو عظم، والرجيع: هو أرواث البهائم، ووجه ذلك: أن أرواث البهائم إن كانت نجسة كأرواث الحمير والبغال فإنَه لا يجوز الاستجمار بها؛ لأنها لا تزيد

الإنسان إلا نجاسةً، وإن كانت طاهرةً كبعر الإبل وسلق البقر وما أشبه ذلك فإنه لا يجوز الاستجمار بها؛ لأنها علف بهائم الجن، فإن الجن لما وفدوا إلىٰ الرسول ﷺ وكان منهم مسلمو الجن، ذكر الله تعالىٰ في سورة الجن أنهم أقسام، قسمٌ مسلمٌ، وقسمٌ كافرٌ، وقسمٌ صالحٌ، وقسمٌ دون ذلك، فهذه أربعة أقسام؛ مسلم كامل الإيمان، وكافر خالص، وصالح، ودون ذلك، فكما أن الإنس فيهم الكافر والفاسق والمؤمن، كذلك أيضًا الجن فيهم الصالحون وفيهم دون ذلك، فيهم الفاسقون وهم الكفار، وفيهم المسلمون، المهم الذين وفدوا من الجن إلىٰ رسول الله ﷺ آمنوا به وصدقوا، ولما اجتمعوا إليه قالوا: ﴿أَنصِتُواْ﴾ [الأحقاف:٢٩]؛ يعني: قال بعضهم لبعض: أنصتوا ليستمعوا إلىٰ القرآن ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩]. فانظر آداب الجن في حضور الذكر، تواصوا بالإنصات حتىٰ لا يفوتهم شيء من الكلام، وبقوا إلىٰ أن انتهىٰ الرسول ﷺ؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩]؛ يعني: ما قاموا قبل أن ينتهي الرسول ﷺ من الذكر؛ لأن الإنسان الذي يقوم من الذكر دون عذر؛ خطرٌ عليه أن ينصرف عن ذكر الله عز وجل بدون عذرٍ، أما إذا كان له عذر فلا بأس، لكن إذا حضرت مجالس الذكر لا تنصرف حتىٰ يقضي؛ لا يكون الجن أكثر منك أدبًا.

المهم، أنه لا يجوز أن يستجمر الإنسان بروث البهائم؛ إن كان نجسًا فلنجاسته، وإن كان طاهرًا فلاحترامه؛ لأنه علف بهائم الجن، والعظم كذلك لا يجوز للإنسان أن يستجمر به؛ إن كان من مذكاة - يعني عظم من شاة مذبوحة أو بعير أو بقرة أو غيره مما ذكي - فهو طاهر لكن لا يجوز الاستجمار به؛ لأنه زاد الجن، هذه العظام التي نرمي بها يجدها الجن مملوءة لحمًا، فإن النبي ﷺ قال للوفد الذي أتوه: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون

لحمًا، ولكم كل بعرة علف لدوابكم»؛ فلهذا فلو أن الإنسان استجمر ببعرة ثلاث مرات وأنقت تمامًا فإن ذلك لا ينفعه ولا يطهر المحل؛ وذلك لأنه استجمر بما نهىٰ عنه الرسول ﷺ، وكذلك يقال في العظام، فالعظام الطاهرة عرفنا أنها تكون لحمًا للجن، والعظام النجسة - كعظم الحمار - لا يجوز الاستجمار بها؛ لأنها نجس لا تزيد الانسان إلا نجاسة، ولا يمكن أن تستجيرَ من الرمضاء بالنار، فبهذا الحديث وبغيره من الأحاديث يتبين لنا أن الشريعة الإسلامية شاملة عامة لكل شيء، وفهمنا من هذا الحديث أن الاستجمار يجب أن يكون بشيءٍ طاهر، وأن يكون بغير محترم، فلا يجوز الاستجمار بالطعام، ولا بعلف البهائم، ولا بالأوراق التي فيها ذكر الله، أو فيها كلام أهل العلم الشرعي كالفقه، أما الأوراق التي ليس فيها إلا كلام لا طائل من ورائه فهذه لا حرمة لها، كذلك عند الاستجمار بالحجارة لا بد أن يكون الاستجمار بثلاثة أحجار فأكثر، فلا يجوز الاقتصار علىٰ حجر واحد، وإذا أنقىٰ الإنسان بما يجوز الاستجمار به وبالعدد المطلوب صار كمن غسل فرجه تمامًا، يعني كالماء تمامًا، لو ترطَّب المحل بعرقٍ أو بغيره فإنه لا ينجس الثياب؛ لأن بالاستجمار يكون طاهرًا تمامًا(٩١).

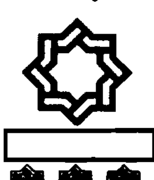
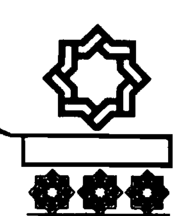
فوائد الحديث:

١- لا يجوز الاستنجاء باليمين.

٢- لا يجوز الاستنجاء بالروث أو العظم.

---

(٩١) الشرح المختصر علىٰ بلوغ المرام (٢/ ١٢٨).

اتقوا الملاعن الثلاث

عَنْ حَيْوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْحِمْيَرِيَّ حَدَّثَهُ قَالَ: كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَتَحَدَّثُ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَسْكُتُ عَمَّا سَمِعُوا، فَبَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ، فَقَالَ: وَاللهِ، مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا، وَأَوْشَكَ مُعَاذٌ أَنْ يَفْتِنَكُمْ فِي الْخَلاَءِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَلَقِيَهُ، فَقَالَ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ التَّكْذِيبَ بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ نِفَاقٌ، وَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ قَالَهُ، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا الْمَلاَعِنَ الثَّلاَثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَالظِّلِّ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ»(٩٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ»، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»(٩٣).

معاني الكلمات:

الملاعن: أمر جالب للَّعن وباعث عليه.

الموارد: المواضع التي يأتيها الناس.

قارعة الطريق: وسطه، يقرعه الناس بأرجلهم ونعالهم؛ أي: يدقونه ويمرون عليه.

---

(٩٢) أخرجه ابن ماجه (٣٢٨)، وصححه العلامة الألباني في الإرواء (٦٢).

(٩٣) أخرجه مسلم (٦٤١).

المعنى الإجمالي:

هذا أدبٌ جديدٌ في تجنب مواضع معينة في قضاء الحاجة، وتلك الأماكن نهىٰ النبي ﷺ عنها نهيًا مصحوبًا بالعقوبة؛ لأن في ذلك إيذاء للناس، فمن أدب قضاء الحاجة: ألا يؤذي الناس بحاجته، فقال: «اتقوا اللعانَيْن» بالتثنية، أو «اللعانِين» بالجمع.

واللعن: هو الدعوة بالطرد من رحمة الله، ولا يجوز لعن المعين ولو كان كافرًا؛ لأن اللعن معناه الطرد من رحمة الله، وما يُدريك لعلَّ عناية الله تُدرك الكافر فيؤمن، فأين تذهب اللعنة حينئذٍ؟ ومما جاء في النهي عن اللعن أن اللعنة إذا خرجت من إنسانٍ صعدت إلىٰ السماء، فتغلق دونها أبواب السماء، فتعود إلىٰ الأرض، فإن وجدت أن مَنْ توجهت إليه أهلًا لها وجبت عليه، وإن لم تجده أهلًا لها رجعت علىٰ من قالها فتبعته (٩٤).

حكمة إسناد اللعن إلىٰ الموطن المتخلىٰ فيه:

ثم فسر اللَّعانَيْن فقال: (الذي يتخلىٰ في طريق الناس وظلهم).

الرسول ﷺ أسند اللعن هنا للبراز في الطريق والظل، والطريق والظل ليسا محلاً للعن، قال العلماء: معنىٰ ذلك أن المتسبب في ذلك جلب اللعنة علىٰ نفسه ممن يأتي تلك الأماكن بفعله؛ لأن قارعة الطريق محل للناس يقرعونها بأقدامهم، فإذا قضىٰ حاجته علىٰ الطريق آذاهم.

وكذلك الظل، والمراد به خصوص الظل الذي يستظل الناس فيه، بخلاف الظل في الخلاء، كأن تكون شجرة في الخلاء وظلها كثير، وليست طريقًا مسلوكة

(٩٤) أخرجه أبو داود (٤٩٠٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود.

فلا مانع أن يقضي حاجته تحتها؛ لأنه ليس موضعًا يأوي إليه الناس، أما إذا كان الظل على الطريق والمسافر يستظل فيه تحتها، فداخلة في معنى الظل.

قال العلماء: إسناد اللعن إلى الطريق والظل من المجاز العقلي؛ لأنه بفعله تسبب في أن الغير هو الذي يلعنه، كما جاء الحديث في تقبيح أن يسب الرجل أباه وأماه: قالوا: وهل يسب الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه، ويسب أمه فيسب أمه» (٩٥)، فيكون كأنه هو الذي سبَّ أباه؛ لأنه تسبب في ذلك.

ومثله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]؛ أي: أنتم تتسببون في أنهم يسبون الله؛ لأنكم سببتم آلهتهم أو سببتموهم.

ويؤخذ من قوله: «اتقوا اللاعنين»: أنه لا يجوز قضاء الحاجة في موارد الناس كما جاء لفظ أبي داود، وكذلك قارعة الطريق: وهي الجزء المعين بقرع الأقدام في المسير، والظل: هو الظل الذي يحتاجه الناس ويستظلون به، سواء كان في الحضر أو السفر، والموارد التي يردها الناس ليستقوا من الماء، فهذا أيضًا مورد للناس، فإذا قضى إنسان حاجته في تلك الموارد تسبب في لعنه؛ لأنه آذى الناس.

ما يلحق بالمواطن الثلاثة من المرافق العامة والأسواق:

وعلى هذا يكون من آداب قضاء الحاجة: ألا يؤذي الإنسان غيره بأن يقضي حاجته فيما يحتاجون إليه من مرافق عامة، كالطرق والظل وموارد المياه.

وإذا كان هناك موارد أخرى كأن يكون هناك سوق يَرِده الناس في النهار، وفي الليل لا يوجد أحدٌ، فلا يجوز له أن يقضي حاجته في هذا السوق، فمثلًا

---

(٩٥) أخرجه مسلم (٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

سوق الخضار الموجود هو عبارة عن محلات مكشوفة ليست محجوزة كالدكاكين، فلا يجوز لأحد أن يقضي حاجته فيها.

كذلك مواقف السيارات، وإن كان في الليل لا يوجد فيها سيارة، لكن الصباح تكون الساحة مملوءة بالسيارات والمسافرين ونحو ذلك، فكل ما كان موضعًا لتجمع الناس فلا ينبغي لإنسانٍ قطُّ أن يقضي حاجته فيه.

وبعضهم يزيد علىٰ ذلك موطنًا وهو عند أبواب المساجد؛ لأن هذا أيضًا من ضمن الموارد، ونقول أيضًا: أمام المعارض، والدكاكين، والمحلات التي يردها الناس لقضاء حوائجهم.

إذًا، قوله ﷺ: «اتقوا اللاعنَين - أو اللاعِنِين -» يشمل كل ما كان مرفقًا عامًّا يرده الناس، سواء كان للسير أو للظل أو للماء أو للسفر أو غيرها، حتىٰ ولو كان المكان خاليًا وقت قضاء حاجته، لكن من شأنه أن يشغل بالناس فيما بعد، فلا يجوز له أن يقضي حاجته فيه؛ لأنه يتسبَّب لنفسه باللعن مِنَ الذين يتأذَّون من هذا العمل في هذا المكان. والله تعالىٰ أعلم(٩٦).

فوائد الحديث:

١- اتقاء الملاعن الثلاث.

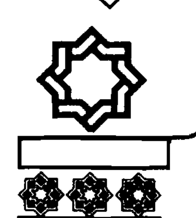
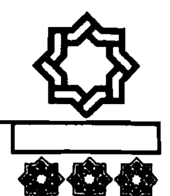
٢- النهي عما يجلب علىٰ الإنسان اللعن.

٣- مراعاة شعور الآخرين وتجنب أذيتهم.

٤- حرص الإسلام علىٰ النظافة العامة.

---

(٩٦) شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم (٢٧/ ١٨).



النهي عن استقبال القبلة واستدبارها

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا»(٩٧).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَتَيْتُم الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلَا غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا».

المعنى الإجمالي:

لقد نهانا ﷺ أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وهذا من آداب قضاء الحاجة أن لا تُستقبل القبلة بغائطٍ ولا بولٍ لا في البنيان؛ يعني: في البر ولا في البلد؛ يعني: في المراحيض لا بغائط ولا بول؛ لأن القبلة تجاه بيت الله، وإذا كان الله قد أوجب على كل مصلٍّ أن يصلي إلى القبلة فهذا يدل على تعظيم هذه القبلة، واستقبالها بالبول أو الغائط ينافي التعظيم؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أن يستقبل الإنسان القبلة بغائط أو بول، فمثلًا إذا كانت وجهته القصيم فإنه يتجه إلى الجنوب أو إلى الشمال، وإذا كانت المدينة يتجه إلى الشرق أو الغرب؛ لأن النبي ﷺ قال لأهل المدينة: «لا تستقبلوا القبلة بغائط أو بول، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا»، فلما بين لهم ﷺ الجهات الممنوعة، بيَّن لهم الجهات الجائزة؛ لأن هذه من عادة الرسول إذا ذكر الممنوع ذكر الجائز من أجل أن يسهل عليهم ترك الممنوع، إذًا يحرم على الإنسان أن يستقبل القبلة بغائط أو

---

(٩٧) أخرجه البخاري (١٤٤).

بول، لا في الفضاء ولا في البنيان، والدليل حديث سلمان وحديث أبي أيوب الذي أخرجه السبعة الأئمة الحفاظ المخرجين للحديث عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها بغائط ولا بول، ولكن شرقوا أو غربوا»، قال أبو أيوب: فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بُنِيت نحو الكعبة فننحرف عنها ونستغفر الله، وهذا دليل علىٰ أن استقبال القبلة لا يجوز لا في الفضاء ولا في البنيان، وعليه فمن كان مرحاضه متجهًا إلىٰ القبلة وجب عليه أن يغيره، يكسر الكرسي ويصرفه إلىٰ جهة اليمين أو الشمال وإلَّا كان عاصيًا لله من حين أن يجلس إلىٰ أن ينتهي، ويكون هذا من كفران النعمة، الله يمن عليك أن تجلس علىٰ هذا الكرسي تُخرج الأذىٰ من بطنك؛ بول أو غائط، وأنت مقيم علىٰ معصيته، هذا ينافي الشكر، والله تعالىٰ يقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

أما الاستدبار فهذا مختلف فيه، يعني مثلًا إذا جلس الإنسان مستدبر القبلة فإذا كان في الفضاء فهو حرام لا شك فيه، ولذلك يجب عليك إذا كنت في الفضاء - يعني في البر - وأردت أن تقضي حاجتك لا بد أن لا تكون القبلة أمامك ولا وراءك، بل عن يمينك أو شمالك، فإذا كنت في البر حرم عليك الاستقبال والاستدبار، وإذا كنت في مراحيض مبنية حرم عليك الاستقبال لحديث أبي أيوب: (فوجدنا مراحيض قد بُنِيت نحو الكعبة فننحرف عنها ونستغفر الله)، وأما الاستدبار مثل أن يكون المرحاض إذا جلس الإنسان علىٰ الكرسي تكون القبلة وراءه، فهذا مختلف فيه؛ فمن العلماء من قال: إنه جائزٌ، ومنهم من قال: إنه ممنوع، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ قال: إنه لا يجوز استدبار القبلة ولو كنت في البنيان؛ لعموم حديث أبي أيوب: «لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، بغائط ولا بول»، ولا شك أن قوله أحوط، لكن الظاهر الجواز، يعني

استدبار القبلة في البنيان لا بأس به، والدليل قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رقيت يومًا على بيت حفصة فرأيت النبي ﷺ يقضي حاجته مستقبل الشام، مستقبل الكعبة، وفعل الرسول ﷺ يخصص عموم قوله؛ لأن الفعل سُنَّة والقول سُنَّة، فإذا كان الرسول ﷺ يقضي حاجته مستدبر الكعبة مستقبل الشام في البنيان أمكن الجمع، قد يقول قائل مثلًا: إنه لا يجوز؛ لأننا لا ندري هل النهي قبل ذلك أو بعد ذلك، قد يكون النهي عن الاستقبال والاستدبار بعد أن كان الرسول يستدبرها لا ندري؟ فيقال: إن العموم والخصوص لا يشترط فيهما العلم بالتقدم أو التأخر بمعنى أنه يخصص العام بما يخصصه، سواء سبق أو لحق[٩٨].

فوائد الحديث:

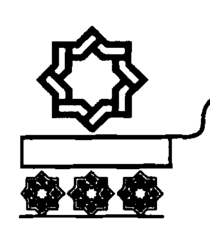
١- النهي عن استقبال القبلة عند قضاء الحاجة.

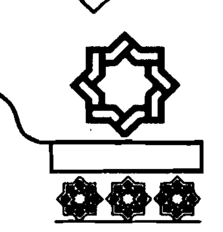
٢- وجوب احترام كل ما عظَّمه الله.

---

(٩٨) الشرح المختصر على بلوغ المرام (٢/ ١٢٥).







ما يقال ويفعل عند الدخول والخروج من الخلاء

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ»[٩٩].

وفي رواية له عند مسلم: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كان إذا دخل الْكَنِيفَ قال: «اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»[١٠٠].

معاني الكلمات:

الْخُبُثِ: ذكور الجن.

وَالْخَبَائِثِ: إناث الجن.

المعنى الإجمالي:

الخلاء والكنيف والمرحاض كلها موضع قضاء الحاجة، وقوله: «إذا دخل» معناه إذا أراد الدخول، وكذا جاء مصرحًا به في رواية البخاري، قال: «كان إذا أراد أن يدخل»، وأما «الخبث» فبضم الباء وإسكانها، وهما وجهان مشهوران في رواية هذا الحديث، ونقل القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ: أن أكثر روايات الشيوخ الإسكان، وقد قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالىٰ: «الخبث» بضم الباء جماعة الخبيث، و«الخبائث» جمع الخبيثة، قال:

---

(٩٩) أخرجه البخاري (١٤٢).

(١٠٠) أخرجه مسلم (٣٧٥).

يريد ذكران الشياطين وإناثهم.

وهذا الأدب مجمع علىٰ استحبابه، ولا فرق فيه بين البنيان والصحراء، والله أعلم[١٠١].

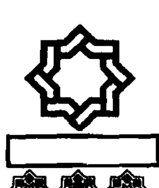
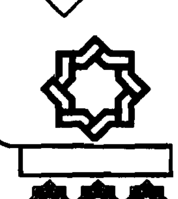
فوائد الحديث:

الذكر عند دخول الخلاء.

ذكر الله حصن حصين من أذىٰ الشياطين.

---

[١٠١] شرح النووي علىٰ مسلم (٤/ ٧١).

البول قائمًا وقاعدًا

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ، مَا كَانَ يَبُولُ إِلَّا جَالِسًا (١٠٢).

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ نَتَمَاشَى، فَأَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ، فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ، فَبَالَ، فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ (١٠٣).

معاني الكلمات:

سُبَاطَةَ: الكناسة والموضع الذي تُرمىٰ فيه الكناسة والتراب.

انْتَبَذْتُ: اعتزل وتنحىٰ.

المعنى الإجمالي:

الأصل في البول أن يكون من قعود، قالت عائشة رضي الله عنها: (مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ، مَا كَانَ يَبُولُ إِلَّا جَالِسًا). وذلك لأن البائل قائماً لا يسلم عادةً من تلوث في بدنه وثوبه، ولكن إن دعت الحاجة إلىٰ البوم واقفاً فلا بأس بذلك، لما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ نَتَمَاشَىٰ، فَأَتَىٰ سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ، فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ، فَبَالَ، فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّىٰ فَرَغَ). ولا منافاة بين حديث حذيفة، وبين قول عائشة رضي الله عنها فكلام عائشة

---

(١٠٢)أخرجه الترمذي (١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(١٠٣)أخرجه البخاري (٢٢٣).

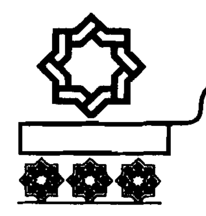
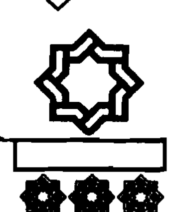
يُحمل علىٰ الأغلب من عادة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وقلنا ذلك لثبوت بوله قائمًا ﷺ. وحمل العلماء بول النبي ﷺ قائمًا، علىٰ أن ذلك لبيان الجواز، أو أنه كان في مكان لا يستطيع معه البول جالسًا (١٠٤).

فوائد الحديث:

١- النهي عن اعتياد البول واقفًا.

٢- وجوب التستر عند قضاء الحاجة.

(١٠٤) انظر: كتاب الآداب، باب آداب التخلي، لفؤاد بن عبد العزيز الشلهوب.

كراهة الاستنجاء ومس الفرج باليمين

عنْ أَبِي قتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فلا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بيَمِينِهِ، ولا يَسْتَنْجِ بيَمِينِهِ، ولا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ»(١٠٥).

المعنى الإجمالي:

الاستنجاء: تطهير القُبل أو الدُّبر من الحدث، من البول أو الغائط، ويكون بالاستجمار، ويكون بالماء، يعني يكون بالحجارة، أو ما ينوب عنها من الخِرق والخشب والتراب وغير ذلك، أو بالماء. ولكن الاستجمار بالحجارة له شروط، ذكرها العلماء رحمهم الله.

وأما الماء: فشرطه أن يُزيل أثر النجاسة، وأثر النجاسة معلومٌ، فإذا زال الأثر وعاد المحل كما كان، فهذا هو الطهارة.

وحديث أبي قتادة أن النبي ﷺ، قال: «لا يستنج أحدكم بيمينه» - يعني لا يمسك الذكر باليمين فيغسله - لأن اليد اليمنىٰ مُكرمة؛ ولهذا قال العلماء رحمهم الله: اليمنىٰ هي المقدمة إلا في مواضع الأذىٰ، فاليسرىٰ تقدم للأذىٰ، واليمنىٰ لما سواه.

وعلىٰ هذا: فيستنجىٰ باليسار، ويصب الماء باليمين؛ لأن النبي ﷺ نهىٰ عن الاستنجاء باليمين، ثم قال ﷺ: «ولا يتمسَّح من الخلاء بيمينه»؛ يعني: كذلك بالأحجار، إذا أراد أن يمسح محل الغائط؛ فإنه لا يمسك الحجر بيمينه،

---

(١٠٥) أخرجه البخاري (١٥٣)، ومسلم (٢٦٧).

وإنما يمسكه باليسرىٰ.

ولا يُتنفس في الإناء؛ يعني: إذا شرب فالسُّنة أن يتنفس ثلاث مرات، يشرب أولًا ثم يقطع، ثم يشرب ثانيًا ثم يقطع، ثم يشرب ثالثًا، هكذا هي السُّنة وهو أنفع للبدن وأنفع للمعدة؛ لأن العطش التهاب في المعدة وحرارة، فإذا جاءها الماء دفعة واحدة، أثر عليها، وإذا كان يمصُّهُ مصًّا ويتنفس ثلاثًا؛ فهو أهنأ وأبرأ وأمرأ، ما قال النبي ﷺ[١٠٦]، لكن إذا تنفَّس لا يتنفس في الإناء، يزيل فمه عن الإناء ثم يتنفس؛ لأن التنفس بالإناء فيه ضرر علىٰ الشارب؛ لأن النفَس يكون صاعدًا، والماء يكون نازلًا فيلتقيان فيحصل الشَّرق، وفيه أيضًا أذىٰ لمن بعده؛ لأنه قد يخرج مع نَفَسه أمراض، التي يسمونها (ميكروبات) فتكون في الماء فتؤثر علىٰ مَنْ شرب من بعده؛ فلذلك نهىٰ النبي ﷺ عن أن يتنفس الإنسان في الإناء. والله الموفق.

فوائد الحديث:

تكريم اليد اليمنىٰ.

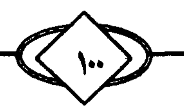
النهي عن إمساك الذكر باليمين عند البول.

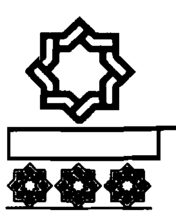
النهي عن الاستنجاء باليمين.

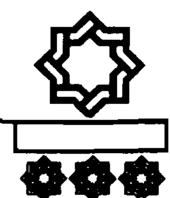
النهي عن التنفس باليمين.

---

(١٠٦) أخرجه مسلم (٢٠٢٨).







كراهية الكلام في الخلاء

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا مَرَّ وَرَسُولُ الله ﷺ يَبُولُ فَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ(١٠٧).

المعنى الإجمالي:

في الحديث: أن المسلم في هذه الحال لايستحق جوابًا، وهذا متفق عليه، ويكره أن يسلم علىٰ المشتغل بقضاء حاجة البول والغائط، فإن سلَّم عليه كره له رد السلام، ويُكره للقاعد علىٰ قضاء الحاجة أن يذكر الله تعالىٰ بشيءٍ من الأذكار، فلا يسبح، ولا يهلل، ولا يرد السلام، ولا يشمت العاطس، ولا يحمد الله تعالىٰ إذا عطس، ولا يقول مثل ما يقول المؤذن، قالوا: وكذلك لا يأتي بشيء من هذه الأذكار في حال الجماع، وإذا عطس في هذه الأحوال يحمد الله تعالىٰ في نفسه ولا يحرك به لسانه، وهذا الذي ذكرناه من كراهة الذِّكر في حال البول والجماع هو كراهة تنزيه لا تحريم، فلا إثم علىٰ فاعله، وكذلك يكره الكلام علىٰ قضاء الحاجة بأي نوع كان من أنواع الكلام، ويستثنىٰ من هذا كله موضع الضرورة، كما إذا رأىٰ ضريرًا يكاد ان يقع في بئر، أو رأىٰ حية، أو عقربًا، أو غير ذلك يقصد إنسانًا أو نحو ذلك، فإن الكلام في هذه المواضع ليس بمكروهٍ، بل هو واجبٌ(١٠٨).

فوائد الحديث:

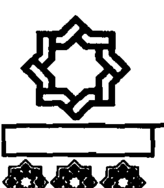
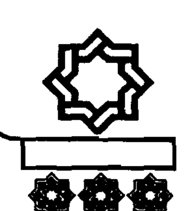
١- عدم الكلام لمن أراد قضاء الحاجة.

---

(١٠٧) البخاري (٣٣٠)، مسلم (٣٧٠).

(١٠٨) شرح النووي علىٰ مسلم (٤/ ٦٥).



آداب النوم

عن الْبَراءِ بن عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ رسول الله ﷺ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمنِ، ثُمَّ قال: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ، وَوجَّهْتُ وَجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إلَيْكَ، وَأَلجَأْتُ ظهْري إلَيْكَ، رَغْبَةً وَرهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجأ ولا مَنْجى مِنْكَ إلا إلَيْكَ، آمَنْتُ بِكتَابكَ الذي أَنْزلتَ، وَنَبيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ». رواه البخاري بِهذا اللفظ في كتاب الأدب من «صحيحه»(١٠٩)، ومسلم(١١٠).

وعنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذَا أَتَيْتَ مَضْجَعكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ.. وذَكَرَ نَحْوَهُ، وفيه: «واجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقول»(١١١).

وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النَّبِيُّ ﷺ إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا». وإذا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَحْيَانَا بعْدَ مَا أَمَاتَنَا وإليه النُّشُورُ»(١١٢).

المعنى الإجمالي:

النوم من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ الدالة على كمال قدرته ورحمته وحكمته، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [الروم:٢٣] وهو

(١٠٩) أخرجه البخاري (٦٣١١).
(١١٠) أخرجه مسلم (٢٧١٠).
(١١١) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).
(١١٢) أخرجه البخاري (٦٣١٤).

نعمة من الله تعالىٰ علىٰ العبد؛ لأنه يستريح فيه من تعبٍ سابقٍ، وينشط فيه لعملٍ لاحقٍ، فهو ينفع الإنسان فيما مضىٰ وفيما يُستقبل، وهو من كمال الحياة الدنيا؛ وذلك لأن الدنيا ناقصة، فتكمل بالنوم لأجل الراحة. لكنه نقص من وجهٍ آخر بالنسبة للقيوم عَزَّوَجَلَّ وهو الله، فإن الله تعالىٰ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] لكمال حياته، فهو لا يحتاج إلىٰ النوم، ولا يحتاج إلىٰ شيءٍ، وهو الغني الحميد عَزَّوَجَلَّ.

لكن الإنسان في هذه الحياة الدنيا بشرٌ ناقصٌ يحتاج إلىٰ تكميلٍ، والنوم عبارة عن أن الله سبحانه وتعالىٰ يقبض النفس حين النوم، لكنه ليس القبض التام الذي تحصل به المفارقة التامة، ولذلك تجد الإنسان حيًّا ميتًا في الحقيقة لا يحس بما عنده؛ لا يسمع قولًا، ولا يبصر شخصًا، ولا يشم رائحة، ولكن لم تخرج نفسه من بدنه الخروج الكامل. قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وهذه الوفاة الكبرىٰ ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ يتوفَّاها في منامها ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ وهي الأولىٰ ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وهي النائمة، يعني يطلقها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر:٤٢]؛ لأن كل شيء عند الله تعالىٰ بمقدار، وكل شيء عنده بأجلٍ مسمىٰ، كل فعله جل وعلا حكمة في غاية الإتقان.

فهذا النوم من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، تأتي القوم مثلًا في حجرة أو في سطح أو في بر، وهم نيام كأنهم جثث موتىٰ لا يشعرون بشيء، ثم هؤلاء القوم يبعثهم الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام:٦٠].

ثم إن الإنسان يعتبر بالنوم اعتبارًا آخر وهو إحياء الأموات بعد الموت، فإن القادر علىٰ ردِّ الرُّوح حتىٰ يصحو الإنسان ويستيقظ ويعمل عمله في الدنيا، قادر علىٰ أن يبعث الأموات من قبورهم، وهو علىٰ كل شيء قدير.

ومن آداب النوم: أن ينام الإنسان علىٰ الشق الأيمن؛ لأن هذا فعل النبي ﷺ وأمره، فالبراء بن عازب رضي الله عنه روىٰ أن النبي ﷺ كان يضطجع علىٰ شقه الأيمن، والنبي ﷺ أمر البراء بن عازب أن ينام علىٰ شقه الأيمن، هذا هو الأفضل، سواءٌ كانت القبلة خلفك أو أمامك أو عن يمينك أو عن شمالك، النوم علىٰ الشق الأيمن هو المهم لأمر النبي ﷺ به.

بعض الناس اعتاد أن ينام علىٰ الجنب الأيسر ولو نام علىٰ الأيمن ربما لا يأتيه النوم، لكن عليه أن يعوِّدَ نفسه؛ لأن المسألة ليست بالأمر الهين، ثبتت من فعل الرسول ﷺ وأمره، فأنت إذا نمت علىٰ الجنب الأيمن تشعر بأنك متبع للرسول ﷺ حيث كان ينام علىٰ جنبه الأيمن، وممتثل لأمره حيث أمر به ﷺ فعوِّد نفسك وجاهدها علىٰ ذلك يومًا أو يومين أو أسبوعًا حتىٰ تستطيع النوم وأنت ممتثل لسُنَّة نبيك ﷺ.

ومن السنن أيضًا: إذا تيسر أن تضع يدك اليمنىٰ تحت خدك الأيمن، لأن هذا ثبت من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن تيسر لك ذلك فهو جيِّدٌ وأفضل، وإن لم يتيسَّر فليس هو بالتأكيد كمثل النوم علىٰ الجنب الأيمن.

ومن ذلك أيضًا: أن تقول هذا الذكر الذي قاله النبي ﷺ وأمر به: «**اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت**»، واجعل هذا آخر ما تقول - يعني بعد الأذكار مثل: «**اللهم بك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»(١١٣)، وما أشبه ذلك.

(١١٣) أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

المهم اجعل هذا الذكر الذي علمه النبي ﷺ البراء بن عازب آخر ما تقول.

وقد أمر النبي ﷺ البراء بن عازب أن يعيد عليه هذا الذكر، فأعاده لكن قال: وبرسولك الذي أرسلت، فقال له النبي ﷺ: «**لا، قل: وبنبيِّك الذي أرسلت، ولا تقل وبرسولك**».

قال أهل العلم: وذلك لأن «الرسول» يُطلق علىٰ الرسول البشري والرسول الملكي «جبريل»، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠].

و«النبي»؛ للنبي البشري، وأنت إذا قلت: نبيك الذي أرسلت، جمعت بين الشهادة للرسول ﷺ بالنبوة والرسالة، فكان هذا اللفظ أولىٰ من قولك: وبرسولك الذي أرسلت؛ لأنك لو قلت: وبرسولك الذي أرسلت؛ يمكن أن يكون جبريل عليه السلام ؛ لأن جبريل رسول أرسله الله إلىٰ الأنبياء بالوحي.

فينبغي عليكم أن تحفظوا هذا الذِّكْر، وأن تقولوه إذا اضطجعتم علىٰ فُرُشكم، وأن تجعلوه آخر ما تقولون امتثالًا لأمر النبي ﷺ، واتباعًا لسنته وهديه هذه من آداب النوم.

ومن حكمة الله عز وجل ورحمته أنك لا تكاد تجد فعلًا للإنسان إلا وجدته مقرونًا بذكر؛ اللباس له ذِكْر، الأكل له ذِكْر، الشرب له ذِكْر، النوم له ذِكْر، حتىٰ جماع الرجل لامرأته له ذِكْر، كل شيء له ذِكْر. وذلك من أجل ألا يغفل الإنسان عن ذِكْر الله، يكون ذكر الله علىٰ قلبه دائمًا، وعلىٰ لسانه دائمًا، وهذه من نعمة الله التي نسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا شكرها، وأن يعيننا عليها.

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: أنه ينبغي أن يضع الإنسان يده تحت خده. ومعلوم أنها اليد اليمنىٰ تكون تحت الخد الأيمن، وهذا ليس علىٰ سبيل

الوجوب، ولكن علىٰ سبيل الأفضلية، فإن تيسر لك هذا وإلا فالأمر واسع، ولله الحمد.

فكان النبي ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «**باسمك أموت وأحيا**» يعني: أنني أموت وأحيا بإرادة الله عَزَّوَجَلَّ، والمراد بالموت هنا - والله أعلم: موت النوم، لأن النوم يُسمَّىٰ وفاةً، أو أنه الموت الأكبر الذي هو مفارقة الرُّوح للبدن، ويكون كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

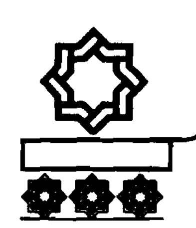
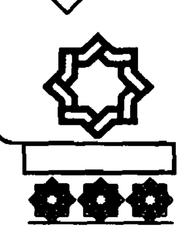
وإذا قام قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**» وهذا يؤيد أن المراد بالموت في قوله: «**باسمك أموت وأحيا**»: يعني موت النوم، وهو الموت الأصغر.

فوائد الحديث:

١- استحباب الاضطجاع علىٰ الجانب الأيمن.

٢- استحباب قول هذا الدعاء.

٣- وجوب اتباع سُنَّة النبي ﷺ وعدم التحريف فيها.

الصلاة من الليل

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصلِّي مِن اللَّيْلِ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، فَإذا طلَع الْفَجْرُ صَلَّى ركْعَتيْنِ خَفِيفتيْنِ، ثمَّ اضْطَجَعَ على شِقِّهِ الأَيْمَن حَتَّى يَجِيءَ المُؤَذِّنُ فيُوذِنَه(١١٤).

المعنى الإجمالي:

أخبرت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصلي من الليل إحدىٰ عشرة ركعة، وهذا أكثر ما كان يصلي؛ إما إحدىٰ عشرة، وإما ثلاثة عشر، وقد ينقص عن ذلك، حسب ما تكون حاله ﷺ من النشاط وعدم النشاط.

ثم كان إذا طلع الفجر صلىٰ ركعتين خفيفتين، وهما سُنَّة الفجر، فإن السُّنَّة أن يخففها، فيقرأ في الأولىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(١١٥)، أو في الأولىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:١٣٦] إلىٰ آخر الآية في سورة البقرة، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾(١١٦) في آل عمران.

والمهم: أن يخففهما؛ فيخفف الركوع والسجود والقيام والقعود، لكن بشرط ألا يخلَّ بالطُّمأنينة، لأنه لو أخلَّ بالطُّمأنينة لفسدت، ثم يضطجع علىٰ جنبه الأيمن ﷺ بعد أن يصلي الركعتين سُنَّة الفجر، يضطجع علىٰ الجنب

---

(١١٤) أخرجه البخاري (٦٣١٠)، ومسلم (٧٣٦).
(١١٥) أخرجه مسلم (٧٢٦).
(١١٦) أخرجه مسلم (٧٢٧).

الأيمن حتىٰ يؤذنه، يعني حتىٰ يُعْلمه بأن وقت الإقامة قد جاء، فيخرج ويصلي.

فوائد الحديث:

ففي هذا الحديث فوائد:

منها: أن من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ أن أطْلعنا علىٰ ما كان النبي ﷺ يعمله في السرِّ في الليل بواسطة زوجاته، وهذا من الحكمة في كثرة تعدد زوجات النبي ﷺ؛ فإنه مات عن تسع نسوة، ومن فوائد ذلك: أن كل امرأة منهن تأتي بسُنَّة لا يطلع عليها إلا هي.

ومنها: أن النبي ﷺ يصلي في الليل إحدىٰ عشرة ركعة، وكان يطيل القيام ﷺ كان يقوم إذا انتصف الليل، وأحيانًا بعد ذلك حسب نشاطه، وكان ﷺ إذا قام من نصف الليل ينام في آخر الليل، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديث آخر، وإلا صلىٰ إلىٰ الفجر إذا تأخر، فإذا طلع الفجر صلىٰ ركعتين، ثم اضطجع علىٰ جنبه الأيمن.

وفيه دليل: علىٰ أنه يُسَنُّ تخفيف ركعتي الفجر كما فعل النبي ﷺ وفيه: أن الأفضل للإمام ألا يحضر إلىٰ المسجد إلا عند إقامة الصلاة، وأن يجعل صلاة الرواتب في بيته، كما كان النبي ﷺ يفعل، أما المأموم فإنه يتقدم، لكن الإمام لما كان يُنتَظَر ولا يَنتَظِر كانت السُّنَّة أن يتأخر في بيته حتىٰ يصلي النوافل المشروعة ثم يأتي.

وفيه دليل علىٰ استحباب الاضطجاع علىٰ الجنب الأيمن بعد سُنَّة الفجر لمن تطوع في بيته كما فعل النبي ﷺ. واختلف العلماء رحمهم الله في هذه الضجعة.

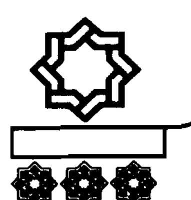
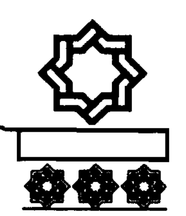
فمنهم من قال: إنها سُنَّة بكل حال. ومنهم من قال: إنها ليست بسُنَّة إلا إذا

كان الإنسان صاحب صلاةٍ في آخر الليل، فإنه يضطجع ليعطي بدنه شيئًا من الراحة.

ومنهم مَنْ شدَّد فيها حتىٰ جعلها بعض العلماء من شروط صلاة الفجر، وقال: مَنْ لم يضطجع بعد السُّنَّة فلا صلاة له، لكنَّ هذا قول شاذٌّ، وإنما ذكرناه لنبين لكم أن بعض العلماء يأتون بأقوال شاذة بعيدة من الصواب.

والصواب: أنها سُنَّة لمن كان له تهجُّد من الليل وصلاة وطول قيام، فهذا يضطجع حتىٰ يُؤَذَّنَ بالصلاة، وهذا في حق الإمام ظاهر، أما المأموم فإنه ربما لو اضطجع يقيمون الصلاة، فيفوته شيء منها وهو لا يشعر، لأن المأموم يَنتَظر ولا يُنْتَظر، لكن الإمام هو الذي ينتظره الناسُ، فإذا اضطجع بعد سُنَّة الفجر في بيته، فإن هذا من السُّنة إذا كان ممن يجتهد في التهجد، أما مَنْ لا يقوم إلا متأخرًا أو لا يقوم إلا مع أذان الفجر فهذا لا حاجة إلىٰ أن يضطجع بعد سُنَّة الفجر.

❊ ❊ ❊

كراهية النوم على البطن

عن يَعِيشَ بنِ طخْفَةَ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال أبي: بينما أنَا مضْطَجِعٌ في الْمَسَجِدِ عَلَى بَطْنِي إذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي بِرِجْلِهِ، فقال: «إنَّ هذِهِ ضَجْعَةٌ يُبْغِضُهَا الله» قال: فَنَظرْتُ، فإذَا رسول الله ﷺ (١١٧).

معاني الكلمات:

يبغضها: يكرهها.

المعنى الإجمالي:

في حديث يعيش بن طخفة الغفاري أنه قال: حدثني أبي أنه كان نائمًا في المسجد على بطنه، فإذا رجل يركضه برجله ويقول: «**إن هذه ضجعة يبغضها الله**» فنظرت فإذا رسول الله ﷺ.

ففي هذا الحديث: دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن ينام على بطنه لا سيما في الأماكن التي يغشاها الناس؛ لأن الناس إذا رأوه على هذه الحال فهي رؤية مكروهة، لكن إذا كان في الإنسان وجع في بطنه وأراد أن ينام على هذه الكيفية لأنها أَرْيح له، فإن هذا لا بأس به، لأن هذه حاجة.

وفي هذا: دليل على جواز ركض الإنسان بالرِّجْل يعني: نخسه برجله؛ لأن النبي ﷺ فعل ذلك وهو أشد الناس تواضعًا، ولا يعدُّ هذا من الكبر، اللهمَّ إلا أن يكون في قلب الإنسان شيءٌ من كِبْرٍ فهذا شيء آخر، لكن مجرد أن تركض

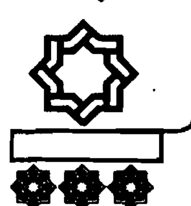
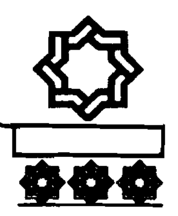
(١١٧) أخرجه أبو داود (٥٠٤٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٥٠٤٠).

الرجل برجلك لا يعتبر هذا كبرًا، إلا أنه ينبغي مراعاة الأحوال إذا كنت تخشىٰ أن الرجل الذي تركضه برجلك يرىٰ أنك مستهين به، وأنك محتقر له فلا تفعل، لأن الشيء المباح إذا ترتب عليه محظور فإنه يمنع.

فوائد الحديث:

١- لا ينبغي للإنسان أن ينام علىٰ بطنه.

٢- جواز ركض الإنسان بالرِّجْل.

ذكر الله عند النوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيهِ مِنَ الله تِرةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لا يَذْكُرُ الله فِيهِ كَانَتْ عَلْيه مِن الله تِرةٌ» (١١٨).

معاني الكلمات:

تِرةٌ: النقص والخسارة.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث أن الرجل الذي يجلس مجلسًا لا يذكر الله فيه، أو يضطجع مضطجعًا لا يذكر الله فيه، كان عليه من الله ترةٌ، والتِّرة هي الخسارة.

وفيه دليل: علىٰ أنه ينبغي للإنسان أن يُكثر من ذكر الله؛ قائمًا وقاعدًا وعلىٰ جنبه، وكذلك إذا اضطجعت مضطجعًا لم تذكر اسم الله فيه فإنه يكون عليك من الله ترة أي خسارة.

فأكثرْ من ذكر الله دائمًا وأبدًا، كن كمن قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١]، **لتكون ممتثلًا لقول الله تعالىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

---

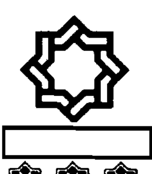
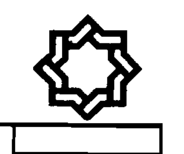
(١١٨) أخرجه أبو داود (٤٨٥٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٨٤٥٦).

[الأحزاب:٤١-٤٢] أعاننا الله على ذكره وشكره وحسن عبادته.

فوائد الحديث:

١- أهمية ذكر الله عند النوم.

٢- ينبغي للإنسان أن يذكر الله عند كل حال.

آداب اللباس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ لِيَكُنِ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ»(١١٩).

معاني الكلمات:

انْتَعَلَ: أي لبس النعل.

نَزَعَ: خلَعَ.

المعنى الإجمالي:

يوضح الحديث الشريف حث النبي الكريم ﷺ على التيمن واستحباب البداءة باليمين فيما طريقه التكريم، وتقديم اليسار فيما طريقه الأذى والقذر؛ كالاستنجاء والاستجمار وما أشبه ذلك، وقد تواترت الأحاديث عنه ﷺ في ذلك فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ)(١٢٠). وعنها قالت: (كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلَائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى)(١٢١).

الْبُدَاءَة بِالْيَمِينِ مَشْرُوعَة فِي جَمِيع الْأَعْمَال الصَّالِحَة لِفَضْلِ الْيَمِين حِسًّا

---

(١١٩) أخرجه البخاري (٥٥١٧) ومسلم (٢٠٩٧).

(١٢٠) أخرجه البخاري (١١٦).

(١٢١) حديث صحيح رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

فِي الْقُوَّة، وَشَرْعًا فِي النَّدْب إِلَىٰ تَقْدِيمهَا.

فالْبُدَاءَة بِالْيَمِينِ فِي كُلِّ مَا كَانَ مِنْ بَاب التَّكْرِيم أَوِ الزِّينَة، وَالْبُدَاءَة بِالْيَسَارِ فِي ضِدِّ ذَلِكَ كَالدُّخُولِ إِلَىٰ الْخَلَاء، وَنَزْع النَّعْل وَالْخُفِّ وَالْخُرُوج مِنَ الْمَسْجِد وَالِاسْتِنْجَاء وَغَيْره مِنْ جَمِيع الْمُسْتَقْذَرَات.

قال النووي: هذه قاعدة مستمرة في الشرع،وهي إنما كان من باب التكريم والتشريف، كلبس الثوب، والسراويل، والخف، ودخول المسجد، والسواك، والاكتحال، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، وترجيل الشعر وهو مشطه، ونتف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، وغسل أعضاء الطهارة، والخروج من الخلاء، والأكل والشرب، والمصحافحة وإستلام الحجر الأسود، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه. وأما ما كان بضده كدخول الخلاء، والخروج من المسجد، والامتخاط، والاستنجاء، وخلع الثوب، والسرواويل، والخف وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها والله أعلم [١٢٢].

فوائد الحديث:

١- استحباب بدء الانتعال باليمين، والنزع بالشمال، وهذا يدل علىٰ أن الكرامة تكون لليمين.

٢- استحباب التيامن في الوضوء والطعام الشراب ولبس الثياب، واليد اليسرىٰ لإزالة الأذىٰ وفي بدء نزع الثياب والنعال.

---

(١٢٢) شرح صحيح مسلم المجلد الثاني (٣/ ١٣١).

أفضل الثياب

وعن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ البَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِن خَيْرِ ثِيابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيها مَوْتَاكُمْ»(١٢٣).

وعن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «الْبَسُوا البَيَاضَ، فَإِنَّهَا أَطْهرُ وأَطيبُ، وكَفِّنُوا فِيها مَوْتَاكُمْ»(١٢٤).

وعن البراءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ مَرْبُوعًا، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ في حُلَّةٍ حَمْراءَ ما رأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ(١٢٥).

وعن أبي جُحَيْفَةَ وهْبِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بمَكَّةَ وَهُوَ بِالأَبْطَحِ في قُبَّةٍ لَهُ حَمْراءَ مِنْ أَدَمٍ، فَخَرَجَ بِلالٌ بِوَضوئِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ ونَائِلٍ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، كَأَنِّي أَنْظرُ إلى بَيَاضِ ساقَيْهِ، فَتوضَّأَ وَأَذَّنَ بِلالٌ، فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هاهُنَا وهاهُنَا، يقولُ يَمِينًا وشِمَالًا: حَيَّ عَلى الصَّلاةِ، حَيَّ على الفَلاحِ. ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الكَلْبُ وَالحِمَارُ لا يُمْنَعُ(١٢٦).

وعن أبي رِمْثة رفاعَةَ التَّمِيْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأَيت رسُولَ اللهِ ﷺ وعلَيْه ثوبان أَخْضَرانِ(١٢٧).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وعَلَيْهِ عِمامةٌ

---

(١٢٣) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٣٤٦٢).

(١٢٤) أخرجه النسائي (١٨٩٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن النسائي، حديث (٤٩١٥).

(١٢٥) أخرجه البخاري (٥٨٤٨)، ومسلم (٢٣٣٧).

(١٢٦) أخرجه البخاري (٦٣٣)، ومسلم (٥٠٣).

(١٢٧) أخرجه أبو داود (٤٠٦٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٣٤٣٠).

سوْداءُ (١٢٨).

معانى الكلمات:

الحُلة: الثوب الجديد.

العنزة: بفتح النونِ - رمح في طرفه حديدة.

المعنى الإجمالي:

حَثَّ النبي ﷺ علىٰ لبس الثياب البيض، وقال: «**إنها من خير ثيابكم**» وقال: «**كفِّنوا فيها موتاكم**». وصدق النبي ﷺ فإن الثوب الأبيض خير من غيره، من جهة الإضاءة والنور، ومن جهة أنه إذا اتَّسخ أدنىٰ اتساخ ظهر فيه، فبادر الإنسان إلىٰ غسله.

أما الثياب الأخرىٰ فربما تتراكم فيها الأوساخُ، والإنسان لا يشعر بها ولا يغسلها، وإذا غسلها فلا يدري؛ هل تنظَّفت أم لا؟ فلهذا قال النبي ﷺ: «**إنها من خير ثيابكم، وكفِّنوا فيها موتاكم**».

وهو شامل للبس الثياب البيض: القمص، والأُزُر، والسراويل، كلها ينبغي أن تكون من البياض، فإنه أفضل، ولكن لو أنه لبس من لونٍ آخر فلا بأس، بشرط ألا يكون مما يختصُّ لبسه بالنساء، فإن كان مما يختص لبسه بالنساء فإنه لا يجوز أن يلبسه الرجل؛ لأن النبي ﷺلعن المتشبِّهين من الرجال بالنساء (١٢٩)، وكذلك بشرط ألا يكون أحمر؛ لأن الأحمر قد نهىٰ عنه النبي ﷺ إذا كان أحمر خالصًا، فإن كان أحمر وفيه بياض فلا بأس.

---

(١٢٨)أخرجه مسلم (١٣٥٨).

(١٢٩)أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

وعلىٰ هذا يحمل الحديث الثالث الذي ذكره النووي أن النبي ﷺ كان مربوعًا، وأنه كان عليه حُلَّة حمراء، هذه الحلة الحمراء ليس معناها أنها كلها حمراء، لكن معناها: أن أعلامها حمر، مثل ما تقول الشماغ أحمر وليس هو كله أحمر، بل فيه بياض كثير، لكن نقطه ووشمه الذي فيه أحمر، كذلك الحلة الحمراء يعني أن أعلامها حمر، أما أن يلبس الرجل أحمر خالصًا ليس فيه شيء من البياض، فإن النبي ﷺ نهىٰ عن ذلك.

رأىٰ أبو جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبيَّ ﷺ في قبةٍ له حمراء، وذلك في الأبطح في حجة الوداع، فإن النبي ﷺ لما قدم مكة في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، قَدِمَها ضحىٰ يوم الأحد، الرابع من ذي الحجة، ونزل إلىٰ المسجد الحرام فطاف وسعىٰ ثم خرج إلىٰ الأبطح، فنزل فيه إلىٰ اليوم الثامن وكان في هذه القبة التي ضُرِبَتْ له ﷺ.

يقول: فخرج، يعني حين زالت الشمس، فخرج النبي ﷺ وعليه حلة حمراء كأني أنظر إلىٰ بياض ساقيه. وهذه الحلة حلة حمراء يعني أن أعلامها حمر ليست سودًا ولا خضرًا؛ لأن الأحمر الخالص قد ثبت نهي النبي ﷺ عن لبسه، فتُحْمل هذه علىٰ أن المراد أن أعلامها يعني خطوطها ونقشها حمر.

خرج بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بوضوء النبي ﷺ يعني بما بقي من مَائِه الذي توضأ به، فجعل الناس يأخذون منه من ناضحٍ ونائلٍ، يعني بعضهم أخذ كثيرًا وبعضهم أخذ قليلًا؛ يتبرَّكون بفضل وضوئه ﷺ، فخرج النبي ﷺ من هذه القبة، وأذَّن بلال، ثم رُكِزت العنزة لرسول الله ﷺ، والعنزة: رمح في طرفه زج، يعني رمح في طرفه حديدة، كان النبي ﷺ يصحبها معه في السفر، رُكِزَتِ العَنَزةُ من أجل أن يصلي إليها، لأن الإنسان إذا كان في السفر فإنه ينبغي أن يصلي إلىٰ شيء قائم؛ كعصا يركزها في الأرض، أو ما أشبه ذلك.

يقول: فتقدم فصلىٰ الظهر ركعتين والعصر ركعتين، وهذا يدل علىٰ جواز الجمع للمسافر وإن كان نازلًا، لكن الأفضل ألا يجمع إلا من حاجةٍ؛ كما لو كان سائرًا يمشي أو كان نازلًا ولكن يحتاج إلىٰ راحة؛ فيجمع جمع تأخير أو جمع تقديم، وإلا فالأفضل للنازل ألا يجمع.

ثم ذكر وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة كيف كان أذان بلال؛ يقول: جعلت أتتبع فاه ههنا وههنا؛ يعني: يمينًا وشمالًا، يقول: حي علىٰ الصلاة حي علىٰ الفلاح.

واختلف العلماء رحمهم الله: هل يقول: «حي علىٰ الصلاة» علىٰ اليمين، «حي علىٰ الصلاة» علىٰ اليسار، ثم «حي علىٰ الفلاح» علىٰ اليمين، «حي علىٰ الفلاح» علىٰ اليسار، أم أنه يجعل «حي علىٰ الصلاة» كلها علىٰ اليمين، و«حي علىٰ الفلاح» كلها علىٰ اليسار؟ والأمر في هذا واسع، وإن فعل هذا أو هذا فكله علىٰ خير ولا بأس به.

ثم ذكر حديثين آخرين؛ أحدهما: أن النبي ﷺ كان عليه لباس أخضر، والثاني: كان عليه عمامة سوداء، وهذا يدل أيضًا علىٰ جواز لباس الأخضر ولباس الأسود.

فوائد الحديث:

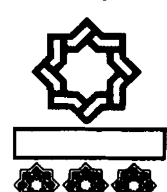
١- استحباب البيض من الثياب.

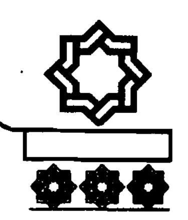
٢- النهي عن التشبه بالنساء.

٣- النهي عن لبس الثوب الأحمر للرجل.

٤- جواز لبس الأخضر والأسود من الثياب.







استحباب التوسط في اللباس

عن عمرو بن شُعَيبٍ عن أَبيه عَنْ جدِّهِ رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِن الله يُحِبُّ أَنْ يَرى أَثَر نِعْمَتِهِ عَلى عبْده»[١٣٠].

المعنى الإجمالي:

يجب علىٰ أن الإنسان يقتصد في جميع أحواله؛ في لباسه، وطعامه، وشرابه، ولكن لا يجحد النعمة، فإن الله تعالىٰ يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده، إذا أنعم علىٰ عبده نعمة فإنه يحب أن يرىٰ أثر هذه النعمة عليه، فإن كانت مالًا؛ فإنه يحب سبحانه وتعالىٰ أن يُرىٰ أثر هذا المال علىٰ مَنْ أنعم الله عليه به بالإنفاق، والصدقات، والمشاركات في الإحسان، والثياب الجميلة اللائقة به وغير ذلك، وإذا أنعم الله علىٰ عبده بعلمٍ؛ فإنه يحب أن يُرىٰ أثر هذه النعمة عليه بالعمل بهذا العلم، فالعبادة وحسن المعاملة، ونشر الدعوة، وتعليم الناس وغير ذلك.

وكلُّ ما أنعم الله عليك من نعمة فأَرِ الله تعالىٰ أثر هذه النعمة عليك، فإن هذا من شكر النعمة.

وأما مَنْ أنعم الله عليه بالمال وصار لا يُرىٰ عليه أثر النعمة؛ يخرج إلىٰ الناس بلباسٍ رَثٍّ وكأنه أفقر عباد الله، فهذا في الحقيقة قد جحد نعمة الله عليه، كيف ينعم الله عليك بالمال والخير وتخرج إلىٰ الناس بثيابٍ كلباس الفقراء أو

---

[١٣٠] أخرجه الترمذي (٢٨١٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث (٢٢٦٠).

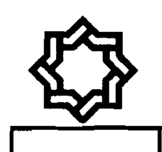
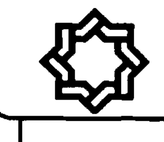
أقل، وكذلك ينعم الله عليك بالمال ثم تمسك ولا تنفق لا فيما أوجب الله عليك، ولا فيما ندب لك أن تنفق فيه، يُنعم الله عليك بالعلم فلا يُرىٰ أثر هذه النعمة عليك، لا بزيادة عبادة أو خشوع أو حسن معاملة، ولا بتعليم الناس ونشر العلم.

كل هذا نوع من كتمان النعمة التي يُنعم الله بها علىٰ العبد، الإنسان كلما أنعم الله عليه بنعمة؛ فإنه ينبغي أن يظهر أثر هذه النعمة عليه حتىٰ لا يجحد نعمة الله.

فوائد الحديث:

١-الاقتصاد في الأمر لا يعني إنكار النعمة.

٢- إن الله يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده.

آداب الذكر والدعاء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢].

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»(١٣١).

معاني الكلمات:

طيب: مقدس منزه عن النقائص والعيوب.

لا يقبل: من الأعمال والأموال.

إلا طيبًا: وهو من الأعمال ما كان خاليًا من الرياء والعجب، وغيرهما من المفسدات، ومن الأموال الحلال الخالص.

بما أمر به المرسلين: من الأكل من الطيبات والعمل الصالح.

أشعث: جعد الرأس.

أغبر: مغبر اللون لطول سفره في الطاعات.

يمد يديه: يرفعها بالدعاء إلى الله تعالى.

---

(١٣١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

فأنّىٰ يُستجاب له: من أين يستجاب لمن هذه صفته. والمراد أنه ليس أهلًا للإجابة، وهذا ليس صريحًا في استحالتها بالكلية.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث أصل من أصول الدين، يعني أن كثيرًا من الأحكام تدور عليه، وهذا الحديث فيه الأمر بالأكل من الطيِّب، وأنه سمة المرسلين، وسمة المؤمنين بالمرسلين، وأثر ذلك الأكل الطيب من الحلال علىٰ عبادة المرء، وعلىٰ دعائه، وعلىٰ قَبول الله - جل وعلا - لعمله.

قوله: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ»؛ يعني: أنه جل وعلا منزَّه عن النقائص والعيوب، وأنه جل وعلا له أنواع الكمالات في القول والفعل، فكلامه جل وعلا أطيب الكلام، وأفعاله جل وعلا كلها أفعال خير وحكمة، والشر ليس إلىٰ الله جل وعلا، فالله سبحانه طيب بما يرجع إلىٰ ذاته، وإلىٰ أسمائه، وإلىٰ صفاته جل وعلا، ومن أوجه كونه طيبًا أنه جل وعلا هو المستحق للعبادة وحده دونما سواه، وهو المستحق؛ لأنْ يُسلم المرء وجهه وقلبه إليه سبحانه دونما سواه، ولكونه جل وعلا طيبًا لا يقبل إلا طيباً، فقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا».

ومعنىٰ قوله: «لَا يَقْبَلُ»؛ يعني: لا يرضىٰ، ولا يحب إلا الطيب، وأيضًا يعني لا يثيب، ولا يأجر إلا علىٰ الطيب.

فإنَّ كلمة «لا يَقْبَلُ» هذه في نظائرها مما جاء في السُّنَّة:

١- قد تتوجه إلىٰ إبطال العمل.

٢- وقد تتوجه إلىٰ إبطال الثواب.

٣- وقد تتوجه إلىٰ إبطال الرضا بالعمل، وهو مستلزِم في الغالب لإبطال

الثواب والأجر؛ يعني: أن العمل قد يقع مُجْزئًا ولا يكون مقبولًا، كما جاء في الحديث: «لا يقبل الله صلاة عبدٍ إذا أبق حتىٰ يرجع»، و«مَنْ أتىٰ كاهنًا أو عرَّافًا لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة» وأشباه ذلك.

فتقرَّر أن كلمة: «لَا يَقْبَلُ» هذه تتجه إلىٰ نفي أصل العمل، يعني: إلىٰ إبطاله، كما في قوله: «لا يَقْبَلُ الله صَلاَةَ حائِضٍ إلاَّ بِالخِمارِ»، «لاَ يَقْبَلُ الله صَلاَةَ أحَدِكُم إذَا أحْدَثَ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ»، هذه فيه إبطال العمل إلا بهذا الشرط، وقد تتجه إلىٰ إبطال الرضا به، أو الثواب عليه، فهذه ثلاثة أقسام.

هنا: «إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا» تحتمل بحسب العمل:

- أن يكون المنفي الإجزاء.
- أو أن يكون المنفي الأجر والثواب.
- أو أن يكون المنفي الرضا به والمحبة له، يعني لهذا العبد حين عمل هذا العمل.

فقال: «لَا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا» يعني الذي يُوصف بأنه مجزئ، وأنه مرضي عنه عند الله جل وعلا، وأنه يثاب عليه العبد هو الطيب، وأما غير الطيب فليس كذلك، فقد يكون غير مرضي، أو غير مثاب عليه، وقد يكون غير مجزئ أصلًا، بحسب تفاصيل ذلك في الفروع الفقهية.

إذا تقرَّر هذا، فقوله عليه الصلاة والسلام هنا: «لَا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا» هذا فيه أنَّ الله جل وعلا إنما يقبل الطيب علىٰ الحصر، والطيب جاءت النصوص ببيان أن الطيب يرجع إلىٰ الأقوال، وإلىٰ الأعمال، وإلىٰ الاعتقادات، فحصل أن الله جل وعلا من آثار أنه طيب أنه لا يقبل من الأقوال إلا الطيب، ولا يقبل من الأعمال إلا الطيب، ولا يقبل من الاعتقادات إلا الطيب.

ما هو القول الطيب، والعمل الطيب، والاعتقاد الطيب؟ فسَّرْنا الطيب -

أولًا- بأنه هو المبرأ من النقائص والعيوب، وكذلك القول والعمل والاعتقاد هو المبرأ من النقص والعيب، يعني الذي صار بريئًا من خلاف الشريعة.

فالطيب هو الذي وُوفِقَ فيه الشرع، فالقول الطيب هو الذي كان علىٰ منهاج الشريعة، والعمل الطيب هو الذي كان علىٰ منهاج المصطفىٰ ﷺ، والاعتقاد الطيب ما كان عليه الدليل من الكتاب ومن السُّنَّة، فهذا هو الطيب من الأقوال والأعمال والاعتقادات، وإذا صار قول المرء طيبًا فإنه لا يكون خبيثًا، والخبيث لا يستوي والطيب، كما في آية المائدة: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة:١٠٠]، وكذلك في الأعمال والاعتقادات، فنتج من ذلك أن العبد إذا تحقق بالطيبِ في قوله وعمله واعتقاده صار طيبًا في ذاته، والطيب له دار الطيبين، كما قال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل:٣٢]، ومن صار عنده خبث في بدنه وروحه، نتيجة لخبث قوله، أو خبث عمله، أو خبث اعتقاده، ولم يغفر الله جل وعلا له، فإنه يُطَهَّر بالنار حتىٰ يدخل الجنة طيبًا؛ لأن الجنة طيبة لا يصلح لها إلا الطيب.

وهذا في الحقيقة فيه تحذير شديد، ووعيد وتخويف من كل قول أو عمل أو اعتقاد خبيث، يعني لم يكن علىٰ وَفْقِ الشريعة، فالطيب هو المبرأ من النقص، وأعظم النقص في العمل، أو من أعظم ما ينقص العمل أن يتوجه به إلىٰ غير الله جل وعلا، وأن تُقْصَد به الدنيا.

قال عليه الصلاة والسلام: «وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»: المرسلون أُمِرُوا، وأتباع المرسلين الذين هم المؤمنون أُمروا أيضًا بما أُمر به المرسلون، فقال جل وعلا في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]، في آية المؤمنون، وقال جل وعلا في أمره للمؤمنين في آية البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، فأمر

المؤمنين بأن يأكلوا من الطيبات، وأمر المرسلين بأن يأكلوا من الطيبات، وأمر الجميع بأن يعملوا صالحًا، وهذا يدل علىٰ أثر أكل الطيبات في العمل الصالح؛ لأن الاقتران في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]؛ لأن الاقتران يدل علىٰ أن بينهما صلة، والصلة ما بين أكل الطيب والعمل الصالح هي تأثير الأكل الطيب في العمل الصالح، ولهذا قال كثيرٌ من أهل العلم: إن العملَ لا يكون صالحًا حتىٰ يكون من مال طيب.

فالصلاة لا تكون صلاة صالحة مقبولة حتىٰ يكون فيها الطيب من الأقوال، ويكون لباس المرء طيبًا، ويكون تخلَّص من الخبيث من النجاسات وغيرها، إلىٰ آخر ذلك.

ذكر عليه الصلاة والسلام مثالًا من أمثلة تأثير الأكل الطيب في بعض الأعمال الصالحة، وأثر أكل الحرام في بعض الأعمال الصالحة، فقال أبو هريرة ﷺ: (ثُمَّ ذَكَرَ -يعني النبي عليه الصلاة والسلام- الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ؛ يَاَ رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لذلك): ذكر هذه الصفات؛ لأن هذه الصفات مظنة الإجابة؛ فالسفر من أسباب إجابة الدعاء، قد جاء في الحديث الحسن أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يستجاب لهم...» وذكر منهم المسافر، فالسفر من أسباب الإجابة، وهذا قد تعرَّض لسببٍ من أسباب الإجابة وهو السفر، ووصفه بقوله: «يُطِيلُ السَّفَرَ»، وإطالة السفر تعطي كثيرًا من الاغتراب، وفيه انكسار النفس، وحاجة النفس إلىٰ الله جل وعلا إذا كان السفر للحاجة، قد يطيل السفر، يعني مِنْ حاجته يحتاج إلىٰ السفر في معيشته، يحتاج إلىٰ السفر في أموره، وإلا فإن المرء لا يختار إطالة السفر إلا لحاجة.

قال: «يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ» وهاتان الصفتان تدلان علىٰ ذِلَّته، وعلىٰ

استكانته، وهذه يحبها الله جل وعلا، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لبس شيئا خَلِقًا، ولم يتزين، وإنما صار أشعث، ثم توجه في خلوةٍ، ودعا اللهِ جل وعلا وقال: إنه أقرب للإجابة؛ لما في هذه الصفة من انتفاء الكبر، وقرب التذلل والاستكانة، وهذه يكون معها الاضطرار والرغب، وعدم الاستغناء.

فذكر عليه الصلاة والسلام هذه الصفة، فقال: «أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ»، وهذه الصفة أيضـًا ثالثة، في أنه يمد يديه إلىٰ السماء في رغب أن يكون أتىٰ بما يُجَابُ معه دعاء، ورفع اليدين في الدعاء سُنَّة، يقول: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ؛ ياَ رَبِّ» وذكره هنا «ياَ رَبِّ» مكررة، ويجوز أن تقول: يا رَبِّ علىٰ حذف الياء، أو يا ربْ علىٰ القطع، في تكريرها ذكر لصفة الربوبية، ومعلوم أن إجابة الدعاء من آثار ربوبية الله جل وعلا علىٰ خلقه؛ ولهذا لم تكن إجابة الدعاء للمؤمن دون الكافر، بل قد يُجاب للكافر، ويجاب للمارد، وقد أجيب لإبليس؛ وذلك لأن إجابة الدعاء من آثار الربوبية، كرزق الله جل وعلا لعباده، وكإعطائه لهم، وكإصحاحه إياهم، وإمدادهم بالمطر، وأشباه ذلك مما قد يحتاجون إليه، فقد يدعو النصراني ويستجاب له، وقد يدعو المشرك ويستجاب له، إلىٰ آخر ذلك، وتكون هنا الاستجابة لا لأنه متأهل لها؛ ولكن لأنه قام بقلبه الاضطرار والاحتياج لربه جل وعلا، والربوبية عامة للمؤمن وللكافر.

ذكر هنا (يَا رَبِّ؛ يَا رَبِّ) وهذا من آداب الدعاء العام، وذكر هذا بلفظ الربوبية أيضـًا من أسباب إجابة الدعاء. قال في وصف حاله مع أنه تعرض لهذه الأنواع مما يجاب معه الدعاء قال في وصف حاله: «وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ» بالتخفيف، فغلط من يقولها بالتشديد: (غُذِّيَ)، لا، هي «غُذِيَ» من الغذاء، «غُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لذلك»؛ يعني: فبعيد ويتعجب أن يستجاب لذلك، وهو علىٰ هذه الحال، فمن كان ذا مطعم حرام،

وذا مشرب حرام، وذا ملبس حرام، وغُذِي بالحرام، فهذه يستبعد أن يستجاب له، وقد جاء في «معجم الطبراني» بإسناد ضعيف: أنَّ النبي ﷺ قال له سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله، ادع الله لي أن أكون مجاب الدعاء. فقال: «يا سعد، أَطِبْ مطعمك تكن مستجاب الدعوة»، وهذا في معنىٰ هذا الحديث، فإن إطابة المطعم من أسباب الإجابة، فهذا تعرض لأنواع كثيرة من أسباب الإجابة، ولكنه لم يأكل طيبـًا؛ بل أكل حرامـًا، فمُنِعَ الإجابة، واستُغْرِب أن يجاب له.

وقد جاء أيضـًا في بعض الآثار الإلهية أن موسىٰ عليه السلام طلب من ربِّه أن يجيب لقومه دعاءهم، فقال: «يا موسىٰ، إنهم يرفعون أيديهم، وقد سفكوا بها الدم الحرام، وأكلوا بها الحرام، واستعملوها في حرام، فكيف يُجابون؟».

وهذا لا شك أنه مما يخيف المؤمن؛ لأن حاجته للدعاء أعظم حاجة، فدل هذا علىٰ أنَّ إطابة المطعم من أعظم أسباب إجابة الدعاء، وأنه إذا تخلف هذا السبب ولو وُجدت الأسباب الأخرىٰ فإنها لا تجاب الدعوة غالبًا؛ لقوله: «فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لذلك».

فوائد الحديث:

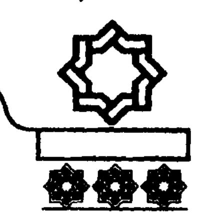
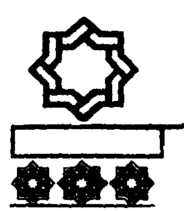
١- الأمر بإخلاص العمل لله عز وجل.

٢- الحث علىٰ الإنفاق من الحلال.

٣- النهي عن الإنفاق من غيره.

٤- أن الأصل استواء الأنبياء مع أممهم في الأحكام الشرعية، إلا ما قام الدليل علىٰ أنه مختص بهم.

٥- أن التوسع في الحرام يمنع قبول العمل وإجابة الدعاء.

بسط يديه ورفعها حذو منكبيه

عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا» (١٣٢).

معاني الكلمات:

يَرُدَّهُمَا: يرجعهما.

صِفْرًا: خاليتين.

المعنى الإجمالي:

يُشرع رفع اليدين عند كل دعاء، فإن رفع اليدين من مظنة استجابته، أو من أسباب إجابة الدعاء أيًا كان ذلك الدعاء الذي هو سؤال وطلب، فإذا دعا الإنسان ربَّه سؤالاً لمغفرةٍ أو لرحمةٍ أو لجنةٍ أو لنجاةٍ من عذابٍ أو نحو ذلك، شرع له أن يرفع يديه؛ لأن ذلك يدل على ابتهاله وعلى استجدائه وطلبه من ربه أن يغفر له، وأن يعطيه ما طلبه، فهذا الدعاء مع رفع اليدين مظنة الإجابة، قال ﷺ: «إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفْرًا» يعني خاليتين.

موضعه أن يرفعهما إلى الصدر، أو إلى محاذاة الوجه، أو أنزل من الوجه قليلًا، ويجمع يديه كأنه يسأل، ويجعل بطونهما إلى السماء كأنه يطلب من ربه

---

(١٣٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

أن يعطيه فيهما خيرًا [١٣٣].

قوله: «إن ربكم» هذا لفظ أبي داود، وللترمذي والبيهقي: «إن الله حيِي» بِكسر الياء الأولىٰ وتشديد الثانية فعيل من الحياء؛ أي: كثير الحياء، ووصفه تعالىٰ بالحياء يحمل علىٰ ما يليق له كسائر صفاته، نؤمن بها ولا نُكيِّفها، «كريم» هو الذي يعطي من غير سؤالٍ فكيف بعده. وقيل: الكريم هو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه وهو الكريم المطلق «يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه»، ولفظ الترمذي والبيهقي: «يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صِفْرًا» بكسر الصاد المهملة وسكون الفاء أي خاليتين فارغتين، يقال: صفِر الشيء - بكسر الفاء - أي: خلا [١٣٤].

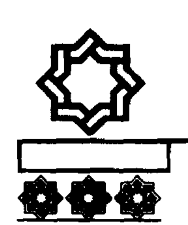
فوائد الحديث:

١- مشروعية رفع اليدين في الدعاء.

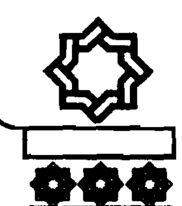
---

(١٣٣) شرح عمدة الأحكام (٢١ / ٦).

(١٣٤) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧ / ٣٦٣).



العزيمة في الدعاء



عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ، لِيَعْزِم المَسْأَلَةَ، فَإنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ»(١٣٥).

وفي رواية لمسلم: «وَلكِنْ لِيَعْزِمْ وَلْيُعَظِمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»(١٣٦).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا دَعَا أحَدُكُمْ فَلْيَعْزِم المَسْأَلَةَ، وَلاَ يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ»(١٣٧).

معاني الكلمات:

فَلْيَعْزِم: يطلب بإصرار.

المعنى الإجمالي:

من المعلوم أن الإنسان لا ملجأ له إلا الله عز وجل في طلب الخير ودفع الشر، وإذا كان الله تعالىٰ هو المقصود وهو الذي يريده العباد ويلجئون إليه ويعتمدون عليه؛ فإنه لا ينبغي للإنسان أن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، بل هذا حرام؛ لأن قول القائل: إن شئت، كأنه يقول: إن شئت اغفر لي وإلا ما يهمني، كأنه يقول: أنا في غنىٰ عنك، كما تقول لصاحبك:

---

(١٣٥) أخرجه البخاري (٥٩٨٠)، ومسلم (٢٦٧٩).

(١٣٦) أخرجه مسلم (٢٦٧٩).

(١٣٧) أخرجه البخاري (٥٩٧٩)، ومسلم (٢٦٧٨).

إن شئت فزرني؛ يعني: وإن شئت فلا تزرني، فأنا لست في حاجة إليك؛ ولهذا كان قول القائل: اللهم اغفر لي إن شئت، حرامًا، فقول النووي: كراهة قول الإنسان: اللهم اغفر لي إن شئت؛ يعني: كراهة التحريم، وكذلك لا يقول: اللهم ارحمني إن شئت، بل يعزم؛ لأنه يسأل جوادًا كريمًا غنيًّا حميدًا عَزَّوَجَلَّ، ولأنه مفتقر إلىٰ الله فليكن عازمًا في الدعاء، يقول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، بدون «إن شئت»، وكذلك لا يقول: اغفر لي إن شاء الله، أو يقول الإنسان: غفر الله لك إن شاء الله، هداك الله إن شاء الله، كل هذا لا يُقال، وإنما يجزم الإنسان ويعزم.

وبيَّن النبي ﷺ ذلك لأن فيه محظُورَيْن، الأول: قال: «وليعزم المسألة؛ **فإن الله لا مُكره له**»؛ يعني: الله عَزَّوَجَلَّ إن غفر لك فمشيئته، أو رحمك فمشيئته، لا أحد يكرهه علىٰ ذلك، فهو يفعل ما يشاء ويختار عَزَّوَجَلَّ، لا مُكره له حتىٰ تقول: إن شئت. كذلك أيضًا يقول الإنسان: إن شئت، كأنه يتعاظم الشيء؛ فيقول: إن شئت فأت به وإن شئت فلا تأت، والله تعالىٰ لا يتعاظمه شيء أعطاه، مهما عظم الشيء؛ فإن الله تعالىٰ غني كريم يعطي الكثير عَزَّوَجَلَّ ويترك القليل.

والحاصل: أنه لا يحل لك أن تقول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم أدخلني الجنة إن شئت، اللهم ارزقني أولادًا إن شئت، اللهم ارزقني زوجة صالحة إن شئت، كل هذا لا يجوز، اعزم المسألة ولا تقل فيها المشيئة.

ومن ذلك أيضًا: ما يقوله بعض الناس -وأظنهم من الصوفية-: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه. فإن هذا حرام، كيف لا تسأل الله رد القضاء؟! وهل يرد القضاء إلا الدعاء، كما جاء في الحديث: «لا يرد

القضاء إلا الدعاء»(١٣٨) . وكأنك إذا قلت: اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه، كأنك تقول: يا ربي عذبني ولكن ارفق بي، يا رب أهلك أحبابي ولكن ارفق، وما أشبه ذلك، كل هذه الأدعية يجب علىٰ الإنسان أن يَتوخَّىٰ فيها ما جاء في الكتاب والسُّنَّة وما كان بمعنىٰ ذلك.

نقول بناءً علىٰ حسن نغمة الدعاء وسجعه فهذا لا يجوز، فصار عندنا الآن مسألتان؛ **الأولىٰ**: لا يَقُلْ: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم ارزقني إن شئت، اللهم اهدني إن شئت، قُلِ الدعاء ولا تقل إن شئت. **والثانية**: لا تَقُلْ: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه، ولكن قل: اللهم ارفق بي، اللهم اكفني الشر، وما أشبه ذلك.

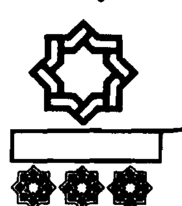
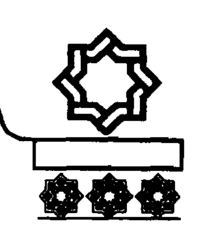
وأما قول الرسول ﷺ لمن وجده مريضًا: **«لا بأس طهور إن شاء الله»**(١٣٩) فهذا من باب الرجاء وهو خبر؛ يعني أرجو أن يكون طهورًا. وأيضًا لم يكن بلفظ المخاطبة، ما قال: إن شئت، قال: إن شاء الله، واللفظ بغير المخاطبة أهون وَقْعًا من اللفظ الذي يأتي بالمخاطبة، والله أعلم.

فوائد الحديث:

- ضرورة الإصرار والصبر والجد في الدعاء.
- لا مستكره لله جل وعلا.
- ضرورة الثقة بالله وصدق اللجوء إليه.

---

(١٣٨) رواه الترمذي (٢١٣٩)، وابن ماجه (٤٠٢٢)، والحديث ذكره الشيخ الألباني في الصحيحة (١٥٤).
(١٣٩) أخرجه البخاري (٥٦٥٦).

لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لا يَزالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإِثْمٍ، أَوْ قَطيعَةِ رحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»، قيل: يَا رسولَ اللهِ، مَا الاستعجال؟ قَالَ: «يقول: قَدْ دَعوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أرَ يسْتَجِب لي، فَيَسْتحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»[١٤٠].

معاني الكلمات:

فَيَسْتحْسِرُ: يعيا ويتعب.

يَدَعُ: يترك.

المعنى الإجمالي:

هذا من جهل الإنسان؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ لا يمنعك ما دعوته به إلا لحكمةٍ، أو لوجود مانعٍ يمنع من إجابة الدعاء، ولكن إذا دعوت الله فادع الله تعالىٰ وأنت مُغَلِّبٌ للرجاء علىٰ اليأس حتىٰ يحقق الله لك ما تريد، ثم إن أعطاك اللهُ ما سألت فهذا المطلوب، وإن لم يعطك ما سألت؛ فإنه يرفع عنك من البلاء أكثر، وأنت لا تدري، أو يدخر ذلك لك عنده يوم القيامة، فلا تيأس ولا تستحسر، ولكن ادعُ ما دام الدعاء عبادة، فلماذا لا تكثر منه، استجاب الله لك أو لم يستجب، ولا تستحسر ولا تسيء الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ فإن الله تعالىٰ حكيم، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ

---

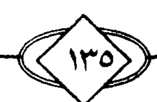
(١٤٠) أخرجه مسلم (٢٧٣٥).

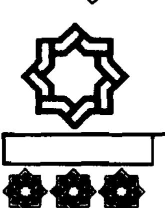
شَرٌّ لَّكُمْ ﴾[البقرة: ٢١٦]. والله الموفق.

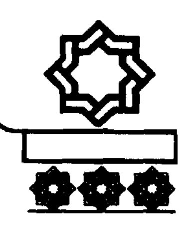
فوائد الحديث:

١- ضرورة الصبر علىٰ إجابة الدعاء.

٢- عدم الدعاء بالإثم.







الجوامع من الدعاء

عنْ عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَحِبُّ الجوَامِعَ مِن الدُّعَاءِ وَيَدَعُ ما سِوَى ذلكَ(١٤١).

المعنى الإجمالي:

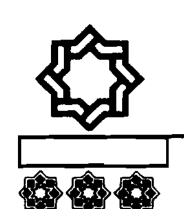
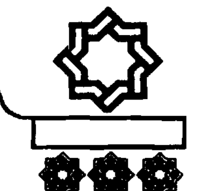
كان النبي ﷺ يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك؛ يعني أنه إذا دعا يختار من الدعاء أجمعه، كلمات جامعة عامة، ويدع التفاصيل، وذلك لأن الدعاء العام أبلغ في العموم والشمول من التفاصيل، فمثلًا إذا أراد أن يدعو الإنسان ربه أن يُدخله الجنة قال: اللهم أدخلني الجنة، ولا يحتاج إلى أن يفصل ويقول فيها كذا وكذا؛ لأنه قد يكون هناك أشياء لا يعلمها، فيكون هذا التفصيل كالحاصل لها، فإذا دعا دعاءً عامًّا كان هذا أشمل وأجمل.

فوائد الحديث:

١- استحباب الدعاء بجوامع الكلم.

---

(١٤١) أخرجه أبو داود (١٤٨٢) وأحمد (٢٥٥٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٤٩).

آداب اللقاء

عن أبي الخطاب قتادة قال: قلْت لأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أكَانتِ الْمصافَحةُ في أصْحابِ رسول الله ﷺ؟ قال: نَعَمْ(١٤٢).

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لَمَّا جَاءَ أَهْلُ اليَمنِ قال رسول الله ﷺ: «قَدْ جَاءَكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، وَهُمْ أولُ مَنْ جَاءَ بالمُصَافَحَة»(١٤٣).

وعن البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصافَحَانِ؛ إلا غُفر لَهما قبل أن يفترقا»(١٤٤).

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رسول الله، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَديقَهُ أينْحني لَهُ؟ قال: «لا». قال: أفَيَلتزمه ويقبله؟ قال: «لا». قال: فَيَأْخُذُ بِيَده وَيُصَافِحُهُ؟ قال: «نَعَم»(١٤٥).

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تَحقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوف شَيْئًا وَلَو أن تلقى أخاك بوجه طَلْقٍ»(١٤٦).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قبَّل النبيُّ ﷺ الحسنَ بن على رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فقال الأقْرَعُ بن حَابس: إنَّ لي عَشَرةً مِنَ الْوَلَد ما قَبَّلتُ مِنهُمْ أحَدًا. فقال رسول الله

---

(١٤٢) أخرجه البخاري (٦٢٦٣).

(١٤٣) أخرجه أبو داود (٥٢١٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٧٦٥٦)، وقال: إلا أن قوله: «وهم أول...» مدرج فيه من قول أنس.

(١٤٤) أخرجه أبو داود (٥٢١٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث(٥٥٧).

(١٤٥) أخرجه أبو داود (٥٢٢٣)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث (٢٧٢٨).

(١٤٦) أخرجه البخاري (٢٦٢٦).

ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»(١٤٧).

معانى الكلمات:

المُصافَحةُ: الأخذ باليد.

فاعتنقه: جعل يديه علىٰ عنقه.

المعنى الإجمالي:

يُسَنُّ للرجل إذا لقي أخاه أن يصافحه؛ لأن هذا من آداب الصحابة رضي الله عنهم كما سأل قتادة أنس بن مالك رضي الله عنه: هل كانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم. ويصافحه باليد اليمنىٰ، وإذا حصل ذلك، فإنه يُغْفَر لهما قبل أن يفترقا، وهذا يدل علىٰ فضيلة المصافحة إذا لاقاه، وهذا إذا كان لاقاه ليتحدث معه أو ما أشبه ذلك، أما مجرد الملاقاة في السوق، فيكفي أن يُسَلِّم عليه، وإذا كنت تقف إليه دائمًا وتتحدث إليه بشيءٍ فصافحه، ثم ينبغي أن نعرف أن بعض الناس إذا سَلَّم من الصلاة إذا كانت فرضًا صافح أخاه، وأحيانًا يقول له: «تقبَّل الله» أو «قبول.. قبول» وهذا من البدع؛ فما كان الصحابة يفعلون هذا، وإنما يكفي أن يُسَلم المصلِّي عن يمينه وعن يساره: «السلام عليكم ورحمة الله».

وأما الانحناء عند الملاقاة أو المعانقة والالتزام، فإن النبي ﷺ سئل عن ذلك: أَيَنْحَنِي، قال: «لا». قال السائل: أيلتزمه ويعانقه؟ قال: «لا». فإذا لاقاه؛ فإنه لا يلتزمه - أي: لا يَضُمُّه إليه - ولا يعانقه ولا ينحني له، والانحناء أشد وأعظم؛ لأن فيه نوعًا من الخضوع لغير الله لا بمثل ما يُفعل لله في الركوع؛ فهو منهيٌّ عنه، ولكنه يصافحه وهذا كافٍ، إلا إذا كان هناك سبب، فإن المعانقة أو

(١٤٧) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

التقبيل لا بأس به، كأن كان قادمًا من سفرٍ أو نحو ذلك، فإن قال قائل: كيف يكون قول الرسول ﷺ لا ينحني له مع قول الله تعالىٰ في إخوة يوسف لما دخلوا عليه: ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ٩٩، ١٠٠].

فالجواب عن هذا: أنه في شريعةٍ سابقةٍ، وشريعتنا الإسلامية قد نسختْه، ومنعتْ منه، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد، وإن لم يرد بذلك العبادة، أو ينحني، فإن الانحناء منع منه الرسول ﷺ. فإذا قابلك أحدٌ يجهل هذا الأمر وانحنىٰ لك، فانصحه وأرشده، قل له: هذا ممنوعٌ لا تنحنِ، ولا تخضع إلا لله وحده، وتقبيل اليد لا بأس به إذا كان الرجل أهلًا لذلك. والله الموفق.

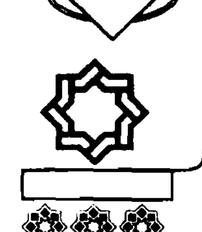
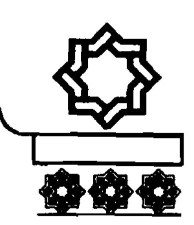
فوائد الحديث:

١- من آداب اللقاء المصافحة والمعانقة.

٢- لايجوز الانحناء عند تحية الآخرين.

٣- مشروعية تقبيل أيدي العلماء.



آداب الاستئذان

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الاستِئْذان ثَلاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلا فَارْجِع»(١٤٨).

وعن سهلِ بنِ سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الاستئذان مِنْ أَجْلِ البَصَر»(١٤٩).

وعن رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ قال: حدَّثنا رَجُلٌ من بَنِي عَامرٍ أَنَّهُ استأذَنَ على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: ألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادِمِهِ: «اخْرُج إلى هذا فَعَلِّمْهُ الاستئذَانَ، فَقُل لَهُ: قُل: السَّلامُ عَلَيكُم، أأدْخُلُ؟». فَسَمِعهُ الرَّجُلُ، فقال: السَّلام عَلَيكم، أأدخُلُ؟ فَأذن له النبي ﷺ فَدَخَلَ(١٥٠).

معاني الكلمات:

جعل: شرع.

ألِج: أدخل.

المعنى الإجمالي:

الاستئذان: طلب الإذن، أن تطلب من صاحب البيت أن يأذن لك في الدخول، فإن أذن لك فادخل، وإن لم يأذن لك فلا تدخل حتىٰ لو قال لك

---

(١٤٨) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، مسلم (٢١٣٥).

(١٤٩) أخرجه البخاري (٦٢٤٢)، مسلم (٢١٦٥).

(١٥٠) أخرجه أبو داود (٥١٧٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٤٣١٢).

صراحةً: ارجع، فارجع كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]، وأنت يا صاحب البيت لا تستحي أن تقول: ارجع، وأنت أيها المستأذن لا تغضب عليه إذا قال لك ارجع؛ لأن الإنسان قد يكون في حاجةٍ، وقد يكون غير مستعدٍّ لاستقبال الناس، فلا يمكن أن تحرجه، وإذا رجعت بعد أن قال لك: ارجع، فإن الله يقول أن ذلك هو أزكىٰ لك ﴿فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي: أزكىٰ لقلوبكم وأطهر.

وللاستئذان آداب بيَّنها الله تعالىٰ في آيتين في كتابه العزيز، وهما:

الآية الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ ومعنىٰ الاستئناس: الاستئذان، أو أن تعلموا علم اليقين أن صاحبكم مستعد لدخولكم، ومن ذلك: إذا واعدك الإنسان، قال لك مثلًا: ائتني بعد صلاة الظهر، فإذا وجدت الباب مفتوحًا فهو إذنٌ. فأنت إذا أتيت لا حاجةَ لأنْ تستأذن؛ لأن صاحب البيت قال لك: ائتني في الموعد المحدد، فإذا وجدتَ الباب مفتوحًا فهذا إذنٌ، فالإذن لا فرق بين أن يكون سابقًا أو لاحقًا، ما دام قد علمت أن الرجل لم يفتح بابه إلا من أجل أن تدخل، وبينك وبينه موعد فادخل، ولكن لا بأس - بل الأولىٰ بلا شك - أن تسلم عند الدخول لو لم يكن في ذلك إلا أن تُحصِّل أجر السلام وثوابه والدعاء من أخيك حيث يقول لك: وعليك السلام.

أما الآية الثانية: فهي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إذا بلغوا الحُلُم يعني: بلغوا بالإنزال، لكن كُنِّي عنه بالحلم؛ لأن الغالب أن الإنسان لا يخرج منه المنيُّ أول ما يخرج إلا بالاحتلام، وإن كان بعض الناس يبلغ بدون احتلام لكن الغالب أنه يحتلم، فإذا بلغ الطفل الحلم فإنه لا يدخل البيت إلا باستئذانٍ، أما قبل ذلك فأمره هينٌ،

لكن هناك ثلاث عورات لابد من الاستئذان فيها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾.

الأولىٰ: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾.

والثانية: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾.

والثالثة: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾.

هذه الأوقات لابد أن نستأذن فيها، حتىٰ الصغار لابد وأن يستأذنوا؛ لأن الإنسان في هذه الأوقات الثلاثة قد يكون متهيئًا للنوم وعليه ثياب لا يحب أن يطلع عليه أحد، فلذلك لابد من الاستئذان في هذه الساعات الثلاث.

وأما بالنسبة للنظر - نظر الطفل للمرأة -: فليس مقيدًا بالبلوغ، بل هو مقيد بما إذا عُرف من الطفل أنه ينظر إلىٰ المرأة نظر شهوةٍ، فإذا علم ولو لم يكن له إلا عشر سنوات فإنه يجب عليها أن تحتجب عنه؛ لأن الله قال: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[النور: ٣١]؛ يعني: أزواجهن، إلىٰ أن قال: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾.

والحاصل: أنه إذا بلغ الطفل الحلم فلا يدخل البيت إلا باستئذان، وإذا اطلع علىٰ عورات النساء وصار يتكلم فيهن وينظر إليهن بشهوةٍ، فإنه يجب أن تستتر عنه المرأة - ولو لم يتم له إلا عشر سنوات - والله الموفق.

أي: شرع من أجله؛ لأن المستأذن لو دخل بغير إذن لرأىٰ بعض ما يكره من يدخل إليه أن يطلع عليه، وقد ورد التصريح بذلك فيما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» وأبو داود والترمذي وحسَّنه من حديث ثوبان رفعه: «لا يحل لامريء

مسلم أن ينظر إلىٰ جوف بيت حتىٰ يستأذن، فإن فعل فقد دخل»[١٥١]، أي: صار في حكم الداخل، ولأبي هريرة بسندٍ حسنٍ رفعه: «إذا دخل البصر فلا إذن»[١٥٢].

وصفة الاستئذان أن تقول: سلام عليكم أأدخل؟ أو السلام عليكم، لا يزيد عليه. رواه يحيىٰ عن ابن نافع. وروىٰ عيسىٰ بن دينار عن ابن القاسم أن الاستئذان: أن تسلم ثلاثًا، فإن أذن لك وإلا فانصرف، فإن أذن لك عند باب الدار فلا تستأذن عند باب البيت، وقد أذن لك مرة[١٥٣].

فوائد الحديث:

١- الاستئذان يكون مرةً أو مرتين أو ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع.

٢- من آداب الاستئذان غض البصر.

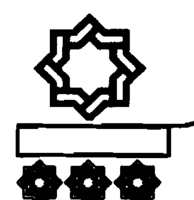
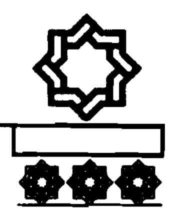
٣- بيان لطريقة الاستئذان.

---

(١٥١) ضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الأدب المفرد» (٢٦٢).

(١٥٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (٥١٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(١٥٣) المنتقىٰ شرح الموطأ (جـ٤/ ص٤٠٢).

تسمية الإنسان نفسه عند الاستئذان

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديثه المشهور في الإسراء قال: قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ صَعِدَ بِي جِبْرِيلُ إلى السَّماء الدُّنيا فاستفتح، فقيل: منْ هذا؟ قال: جبْريلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَك؟ قال: مُحَمَّدٌ، ثمَّ صَعِدَ إلى السَّماء الثَّانية فاستفتح، قيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمَّدٌ، والثَّالثة والرَّابعة وَسَائرهنَّ، وَيُقالُ في باب كل سماء: مَنْ هذا؟ فيقُولُ: جبريل»(١٥٤).

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتَيتُ النبي ﷺ، فَدَقَقْتُ الباب، فقال: «من هذا؟». فقلت: أنا، فقال: «أنا أنا؟» كأنهُ كَرِهَهَا(١٥٥).

معاني الكلمات:

فاستفتح: طلب أن يُفتح.

المعنى الإجمالي:

يحث الحديث علىٰ تسمية الإنسان نفسه عند الاستئذان فلا يقل المستأذن (أنا) إذا قيل من هذا . وسبب ذلك أن قول المستأذن (أنا) ليس فيه تعريف بالمستأذن، فالإبهام باقٍ علىٰ حاله، وقوله (أنا) لم تفد شيئًا .

وكراهة ذلك تؤخذ من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (أتَيتُ النبي ﷺ، فَدَقَقْتُ الباب، فقال: «من هذا؟». فقلت: أنا، فقال: «أنا أنا؟» كأنهُ كَرِهَهَا).

---

(١٥٤) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، مسلم (١٦٢).

(١٥٥) أخرجه البخاري (٦٢٥٠)، مسلم (٢١٥٥).

ولا بأس أن يقول المستأذن: أنا فلان . فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خرج النبي ﷺ إلىٰ المسجد وأبو موسىٰ يقرأ، فقال: (من هذا) ؟ فقلت: أنا بريدة جُعلتُ فداك فقال: (قد أعطي هذا مزماراً من مزامير آل داود) [(١٥٦)].

ولا بأس أن يقول المستأذن: أنا أبو فلان. روىٰ البخاري: أن أم هانئ ذهبت إلىٰ النبي ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره. قالت:فسلمت عليه فقال: من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب... الحديث [(١٥٧)].

ولا بأس أن يقول أنا القاضي فلان أو الشيخ فلان إذا لم يحصل التعريف بالاسم لخفائه [(١٥٨)].

تنبيه: إذا كان اسم المستأذن لا يحصل به التعريف، لاشتراك شخص آخر معه في نفس الاسم،ولم يمكن تمييز الصوت، فإنه يستحب للمستأذن أن يزيل هذا الإبهام ليحصل التعريف، ويتضح المراد بالحديث الآتي :لما خطب النبي ﷺ في النساء في يوم العيد انصرف إلىٰ منزله. قال الراوي:(فلما صار إلىٰ منزله جاءت زينب امرأة ابن مسعود تستأذن عليه، فقيل: يا رسول الله، هذه زينب . فقال: (أي الزيانب؟)فقيل: امرأة ابن مسعود. قال: (نعم، ائذنوا لها)، فأذن لها .. الحديث [(١٥٩)][(١٦٠)].

فوائد الحديث:

١- يُكره أن تقول لمن يسأل عن اسمك حال استئذانك عليه: أنا أنا.

---

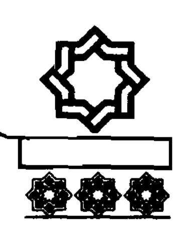
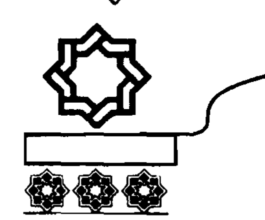
(١٥٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٩٣) وصححه العلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد.

(١٥٧) أخرجه البخاري (٣٥٧) ، ومسلم (٣٣٦).

(١٥٨) شرح مسلم حديث رقم (٢١٥٥).

(١٥٩) أخرجه البخاري (١٤٦٢).

(١٦٠) انظر: كتاب الآداب، باب آداب الاستئذان، لفؤاد بن عبد العزيز الشلهوب .

آداب الزيارة

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُؤَمُّ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُجْلَسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»(١٦١).

معاني الكلمات:

التكرمة: مكان الرجل الذي قد هيأه للجلوس.

المعنى الإجمالي:

لايؤم الزائر صاحب البيت، ولا يجلس علىٰ فراشه إلا بإذنه. وذلك لأن الرجل في بيته أحق من غيره، فكانت إمامة الصلاة، والجلوس علىٰ فراشه المعد له، لا يكون إلا بإذنه.

قال النووي: صاحب البيت والمجلس وإمام المسجد أحق من غيره، وإن كان ذلك الغير أفقه وأقرأ وأورع وأفضل منه، وصاحب المكان أحق فإن شاء تقدم وإن شاء قدم من يريده، وإن كان الذي يقدمه مفضولاً بالنسبة إلىٰ باقي الحاضرين لأنه سلطانه فيتصرف فيه كيف شاء (١٦٢).

وقوله: «ولا يؤم الرجل في بيته»: إذا كان الرجل في منزله فهو أحق وأولىٰ بالإمامة من غيره إذا كان عنده علم بأحكام الصلاة، وعنده حفظ شيء من القرآن، ويستطيع أن يؤم الناس ويقرأ القراءة السليمة، فما دام في بيته فهو المقدم، ولكنه إذا قدم غيره فله ذلك، ولا يلزم أن يكون هو الذي يصلي

---

(١٦١) أخرجه الترمذي (٢٧٧٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(١٦٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (المجلد الثالث / ٥/ ١٤٢) (ح٦٧٣).

بالناس، ولكن الأحقية هي له.

قوله: «ولا في سلطانه»؛ يعني: أن الوالي هو الذي يكون الأحق بالإمامة، فهو أحقُّ من غيره حيث يكون أهلًا لذلك، وحيث يكون متمكنًا من الإمامة فإنه يكون أولىٰ من غيره ما دام أنه هو السلطان؛ ولهذا كان الولاة هم الذين يتولون الصلاة في الجُمع والجماعات، وكذلك في الأعياد كانوا يؤمُّون الناس، والأمراءُ كانوا يتقدمون الناس ويصلُّون بهم، وقد جاء في الأحاديث ما يتعلق بالصلاة وراء الأمراء، فالوالي هو المقدَّم علىٰ غيره، وهو الأحق.

قوله: «ولا يجلس علىٰ تكْرمته إلا بإذنه»: التكرمة: مكان الرجل الذي قد هيَّأه للجلوس، أو الفراش الذي فُرش، فهو الأحق في وضع الناس بها وإجلاس الناس عليها، فما كل إنسان يأتي ويختار له مكانًا دون أن يكون الرجوع في ذلك إلىٰ صاحب المكان؛ لأنه قد يكون هناك أماكن يريد أن يخصَّ بها بعض الناس، وهذا حقُّه، فله أن يُقدِّم، وله أن يؤخِّر مَنْ شاء، فلا يجلس علىٰ تكرمته إلا بإذنه؛ لكيلا تكون الأمور فوضىٰ، إلا إذا قال له صاحب البيت: تفضل اجلس في هذا المكان. فإنه يأتي ويجلس في المكان الذي يُجلِسه فيه [(١٦٣)].

فوائد الحديث:

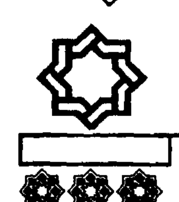
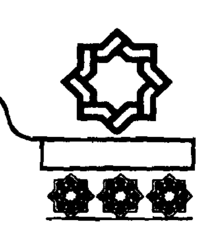
١- يجوز إمامة الزائر بإذن صاحب المكان.

٢- احترام صاحب البيت وتقديمه.

٣- استحباب عرض الإمامة علىٰ الزائر.

---

(١٦٣) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (جـ٤ / ص ٣٣).

آداب الضيافة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»(١٦٤).

وفي رواية: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قال: حَدَّثَنِي سَعِيدٌ الْمَقْبُرِيُّ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ، قال: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النبي ﷺ فقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، قال: مَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهْوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(١٦٥).

معاني الكلمات:

جَائِزَتُهُ: قدر ما يَجُوز به المسافر من مَنْهَلٍ إلىٰ منهلٍ.

يَصْمُتْ: يسكت.

المعنى الإجمالي:

الأحاديث التي تدل علىٰ إكرام الضيف وقِرَاه كثيرة، ومن ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم

(١٦٤) البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(١٦٥) البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (٤٦١٠).

ضيفه»، وهذا من باب الحث والإغراء علىٰ إكرام الضيف؛ يعني: أن إكرام الضيف من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر، ومن تمام الإيمان بالله واليوم الآخر، وذلك أن الذي يكرم ضيفه يثيبه اللهُ تعالىٰ يوم القيامة، وربما أثابه يوم القيامة وفي الدنيا، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورىٰ:٢٠]، فيثيبه الله في الدنيا بالخلف، وفي الآخرة بالثواب؛ ولهذا قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، وإكرام الضيف يختلف بحسب أحوال الضيف؛ فمن الناس من هو من أشراف القوم ووُجهاء القوم فيكرم بما يليق به، ومن الناس مَنْ هو مِنْ سَقَطِ القوم فيُكرم بما يليق به، ومنهم مَنْ هو دون ذلك، فالمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام أطلق الإكرام فيشمل كل الإكرام فمن الناس إذا نزل بك ضيفًا لا يرضيه أن تأتي له بطعام عليه دجاجتان وما أشبه ذلك، يحتاج إلىٰ أن تأتي بطعام عليه ذبيحة، ويكون من إكرامه أيضًا أن تدعو جيرانك وما أشبه ذلك، ومن الناس مَنْ هو دون ذلك، المهم أن النبي ﷺ لم يقيد الإكرام بشيء، بل أطلق، فيكون راجعًا إلىٰ ما يعدُّه الناسُ إكرامًا. قال: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»، وفي حديثٍ آخر: «فليصل رحمه»، الرحم هم الأقارب، وكلما كان القريب إليك أقرب كان حقه أوجب، فعلىٰ المرء أن يصل رحمه، ولم يبين النبي ﷺ بماذا يصله؟ فيرجع أيضًا إلىٰ العرف، فمن الأقارب مَنْ تصله بالزيارة والإكرام البدني، ومن الأقارب مَنْ تصله بإعطاء المال لحاجته لذلك، ومن الأقارب مَنْ تكرمه بالطعام والكسوة، كلٌّ بحسب حاله، المهم أكرم أقاربك بما يُعدُّ إكرامًا، فمثلًا إذا كان قريبك غنيًّا كريمًا فهذا لا يمكن أن ترسل إليه طبقًا من طعام، إنما تكرمه بالزيارة والكلام الليِّن وما أشبه ذلك، أما إذا كان قريبك فقيرًا فطبق الطعام أحب إليه من غيره، فترسل له طبقًا من الطعام، أما إذا كان قريبك

يحتاج إلىٰ المال فالأفضل أن ترسل إليه المال وهلمَّ جرًّا، فكل إنسان يُكرَم بما يليق بحاله.

الثالث: قال: «مَنْ كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»، ويا ليتنا نسير علىٰ ذلك في حياتنا، مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، وقد يكون نفس الكلام خيرًا، وقد يكون الخير في المقصود منه. فمثلًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم مسألةٍ من مسائل العلم والدين، الكلام هنا خير في نفسه، والكلام الآخر الذي ليس في نفسه خيرٌ من حيث هو، لكن تتكلم به من أجل أن تُدخل الأُنس علىٰ مُجَالسك، وتنشرح صدره، هذا أيضًا خير، وإن كان نفس الكلام ليس مما يُتقرَّب به إلىٰ الله، لكنه ليس إثمًا، وتقصد بذلك أن تُوسع صدرَ جليسك، وأن تُدخل عليه الأُنس والسرور، فهذا أيضًا من الخير، وعُلِم من هذا أن مَنْ لم يقل الخير فإن إيمانه بالله واليوم الآخر يكون ناقصًا، فكيف بمن يقول الشر؟! وكيف بمن أصبح يأكل لحوم الناس - والعياذ بالله - ويسعىٰ بينهم بالنميمة ويكذب ويغش؟! بل كيف من أصبح يؤلب علىٰ أهل العلم ويسب أهل العلم ويذمهم بأمرٍ هم فيه أقرب إلىٰ الصواب مما يظن؟! فإن هذا أعظم وأعظم؛ لأن الكلام في أهل العلم ليس كالكلام في عامَّة الناس، الكلام في عامَّة الناس رُبما يجرح الرجل نفسه، لكن الكلام في أهل العلم جرحٌ في العلماء، وجرحٌ فيما يحملونه من الشريعة؛ لأن الناس لن يثقوا بهم إذا كثر القول فيهم والخوض فيهم، ولهذا يجب عند كثرة الكلام وخوض الناس في أمرٍ من الأمور أن يحرص الإنسان علىٰ كفِّ لسانه، وعدم الكلام إلا فيما كانت مصلحته ظاهرة، حتىٰ لو سئل فإنه يقول: نسأل الله الهداية، نسأل الله أن يهدي الجميع، أما أن يتكلم ويُطلق لسانه في أمورٍ ليس لها أصل البتة فهذا من عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، ولا يكفر الإنسان

بهذا، لكن إيمانه يكون ناقصًا؛ لأن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»، وكما قيل: إذا كان الكلام من فضةٍ فالسكوت من ذهبٍ، وقيل أيضًا في الحكمة: الصمت حكمة، وقليلٌ فاعلُه، وقيل أيضًا: مَنْ صمت نجا، ومَنْ تكلم فإنه علىٰ خطرٍ؛ فلذلك الزم الصمت في شيءٍ ترىٰ أنه خير من الكلام.

فوائد الحديث:

١- إكرام الضيف واجب، وذلك لأن النبي ﷺ أمر به، وجعله دلالةً علىٰ الإيمان بالله واليوم الآخر.

٢- مدة الضيافة ثلاثة أيام، وما زاد صدقة وتفضل وإحسان.

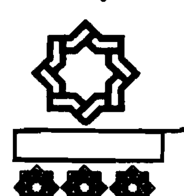
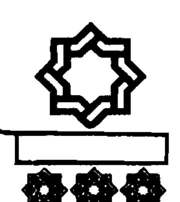
٣- يستحبُّ من الضيف التخفيف حتىٰ لا يوقع المضيف في الإثم إذا بقي عنده ولم يجد ما يقدمه له من واجب الضيافة.

٤- دعوة الشريعة إلىٰ رعاية الآداب بين المؤمنين.

٥- الحث علىٰ صلة الرحم.

٦- ترك الكلام فيما لا يعني.

٧- الإحسان إلىٰ الجار من علامات الإيمان.

جواز أكل الطعام عند المضيف

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ زَارَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَطَعِمَ عِنْدَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بِسَاطٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُمْ (١٦٦).

معاني الكلمات:

نُضِحَ: النَّضْح: رش الماء.

بِسَاطٍ: ضرب من الفُرش يُنسَج من الصوف.

المعنى الإجمالي:

من تمام الزيارة: إطعام الزائر ما حضر، وإتحافه بما تيسَّر، وذلك من كريم الأخلاق، وهو مما يثبت المودة ويؤكد المحبة. وفيه: أن الزائر إذا أكرمه المزور أنه ينبغي له أن يدعو له ولأهل بيته، ويبارك في طعامهم وفي رزقهم (١٦٧).

قوله: (زار أهل بيت من الأنصار) أهل بيت عتبان بن مالك. قوله: (فطعِم) بكسر العين؛ أي: أكل، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب:٥٣]، وقد يكون بمعنىٰ ذاق، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة:٢٤٩]. قوله: (فنضح له)؛ أي: رشَّ، ويقال: نضح له لما شك فيه، وقيل:

---

(١٦٦) أخرجه البخاري (٥٧٣٠).

(١٦٧) شرح صحيح البخاري لابن بطال (جـ٩/ ص ٢٧٥).

صبَّ الماء عليه صبًّا، فيكون كالغسل. قوله: (علىٰ بساط) أراد به هنا الحصير، كما جاء في حديث آخر، قوله: (ودعا لهم): فيه أن الزائر إذا أكرمه المزورُ ينبغي له أن يدعو له ولأهل بيته (١٦٨).

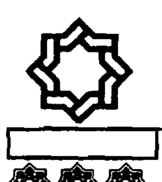
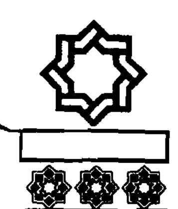
فوائد الحديث:

١- إطعام الزائر وإكرامه بما تيسر.

٢- دعاء الزائر للمزور.

٣- نفع الزائر للمزور بما استطاع من أفعال الخير.

(١٦٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (جـ٣٢ / ص ٢٧٢).

مدة الضيافة

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(١٦٩).

المعنى الإجمالي:

إكرام الضيف واجب والأحاديث قاضية بوجوب إكرام الضيف والندب إليه.

والضِّيَافَة: الاهْتِمَام بِالضيف فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة، وَإِتْحَافه بِمَا يُمْكِن مِنْ بِرٍّ وَإِلْطَاف، وَأَمَّا فِي الْيَوْم الثَّانِي وَالثَّالِث فَيُطْعِمهُ مَا تَيَسَّرَ، وَلَا يَزِيد عَلَىٰ عَادَته، وَأَمَّا مَا كَانَ بَعْد الثَّلَاثَة فَهُوَ صَدَقَة وَمَعْرُوف، إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ.

قَالُوا: وَقَوْله ﷺ: «وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقِيم عِنْده حَتَّىٰ يُؤْثِمهُ» [زيادة في رواية مسلم]، مَعْنَاهُ: لَا يَحِلُّ لِلضَّيْفِ أَنْ يُقِيم عِنْده بَعْد الثَّلَاث حَتَّىٰ يُوقِعهُ فِي الْإِثْم؛ لأنه قَدْ يَغْتَابهُ طُول مَقَامه، أَوْ يُعَرِّض بِمَا يُؤْذِيه، أَوْ يَظُنُّ بِهِ مَا لَا يَجُوز، وَقَدْ قَالَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وَهَذَا كُلّه مَحْمُول عَلَىٰ مَا إِذَا أَقَامَ بَعْد الثَّلَاث مِنْ غَيْر اسْتِدْعَاء مِنْ الْمُضِيف، أَمَّا إِذَا

---

(١٦٩) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٤٨).

اسْتَدْعَاهُ وَطَلَبَ زِيَادَة إِقَامَته، أَوْ عِلْم أَوْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يُكْرَه إِقَامَته فَلَا بَأْس بِالزِّيَادَةِ؛ لِأَنَّ النَّهْي إِنَّمَا كَانَ لِكَوْنِهِ يُؤْثِمهُ، وَقَدْ زَالَ هَذَا الْمَعْنَىٰ، وَالْحَالَة هَذِهِ فَلَوْ شَكَّ فِي حَال الْمُضِيف هَلْ تُكْرَه الزِّيَادَة وَيَلْحَقهُ بِهَا حَرَج أَمْ لَا تَحِلُّ الزِّيَادَة إِلَّا بِإِذْنِهِ لِظَاهِرِ الْحَدِيث.

وَأَمَّا قَوْله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِن بِاللهِ وَالْيَوْم الْآخِر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»: فِيهِ: التَّصْرِيح بِأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ الْإِمْسَاك عَنِ الْكَلَام الَّذِي لَيْسَ فِيهِ خَيْر وَلَا شَرٌّ؛ لأنه مِمَّا لَا يَعْنِيه، وَمِنْ حُسْن إِسْلَام الْمَرْء تَرْكه مَا لَا يَعْنِيه، وَلِأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الْكَلَام الْمبَاح إِلَىٰ حَرَام. وَهَذَا مَوْجُود فِي الْعَادَة وَكَثِير(١٧٠).

فوائد الحديث:

١- إكرام الضيف واجب، وذلك لأن النبي ﷺ أمر به وجعله دلالة على الإيمان بالله واليوم الآخر.

٢- مدة الضيافة ثلاثة أيام، وما زاد صدقة وتفضل وإحسان.

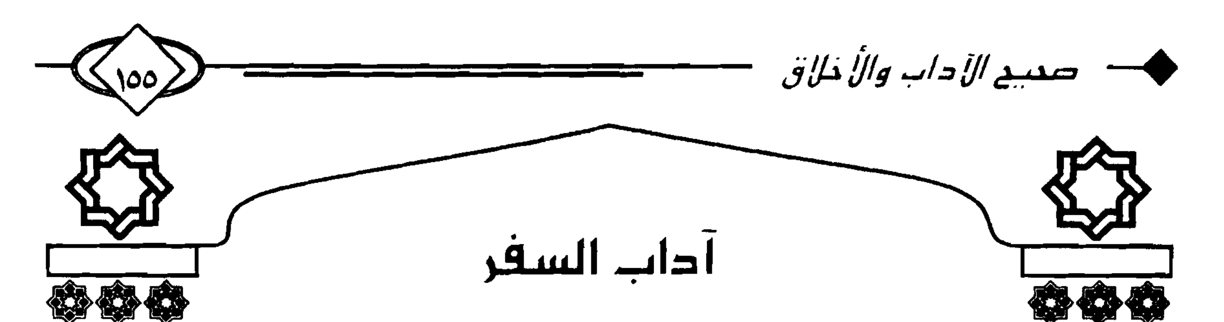
٣- يستحب من الضيف التخفيف حتىٰ لا يوقع المضيف في الإثم إذا بقي عنده ولم يجد ما يقدمه له من واجب الضيافة.

٤- دعوة الشريعة إلىٰ رعاية الآداب بين المؤمنين.

٥- ترك الكلام فيما لا يعني.

---

(١٧٠) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٢/ ٣١).



آداب السفر

عن كعبِ بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تبُوكَ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الخَمِيس (١٧١).

وفي رواية في «الصحيحين»: «لقلَّما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ إلاَّ في يوم الخَمِيسِ».

وعن صخْرِ بنِ وَدَاعَةَ الغامِدِيِّ الصَّحابيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِها». وكَان إذا بعثَ سَرِيَّةً أَوْ جيشًا بعَثَهُم مِنْ أَوَّلِ النَّهارِ، وَكَان صخْرٌ تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعثُ تِجارتهُ أَوَّلَ النَّهار، فَأَثْرى وكَثُرَ مالُهُ (١٧٢).

المعنى الإجمالي:

السفر: هو مفارقة الوطن، أن يخرج الإنسان من وطنه إلىٰ وطنٍ آخر، وسُمِّي سفرًا؛ لأنه من الإسفار، وهو الخروج.

وينبغي للإنسان أن يتحرىٰ السفر في الأوقات التي تكون أسهل، وأنسب، من ذلك أن يكون في آخر الأسبوع كما كان النبي ﷺ في أكثر أسفاره يخرج يوم الخميس، وربما خرج في غيره؛ فقد خرج ﷺ في آخر سَفْرةٍ سافرها -وهي حجة الوداع- يوم السبت، لكن دائمًا كان إذا سافر -ولا سيما إذا كان في غزوٍ- كان ذلك يوم الخميس، والحكمة من ذلك -والله أعلم- أنه يومٌ تُرفع فيه الأعمال وتُعرض علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ فكان يحب ﷺ أن يُعرض علىٰ الله عمله في ذلك اليوم، وكان ﷺ يحب أن يخرج من أول النهار لما في ذلك من استقبال

---

(١٧١) أخرجه البخاري (٢٩٤٩).

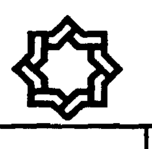
(١٧٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث(١٣٠٠).

النهار؛ لأنه ربما يفاجأ الإنسان في سفره طولًا وقد تجهَّز قليلًا فيصعب عليه التخلص منه، وهذا في الأسفار التي كانت في عهد الرسول ﷺ علىٰ الدواب والأرجل، أما اليوم فكما تشاهدون الناس لا يجدون صعوبةً في أول النهار أو آخره، ثم إن السفر في الوقت الحاضر مرتبط بطائراتٍ ومواعيد، علىٰ كل حال، إذا خرج في أول النهار وفي يوم الخميس فهو أفضل، وإن لم يتيسر له ذلك فلا بأس - والحمد لله -.

ثم ذكر حديث صخر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» -أي: في أول النهار- فدعا النبي ﷺ أن يبارك الله في أول النهار فيه لأمته؛ لأنه مستقبل العمل؛ فإن النهار كما قال الله تعالىٰ معاش: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١] فإذا استقبله الإنسان من أوله صار في ذلك بركة، وهذا شيء مشاهد، أن الإنسان إذا عمل في أول النهار وجد في عمله بركة، لكن وللأسف أكثرنا اليوم ينامون في أول النهار ولا يستيقظون إلا في الضحىٰ، فيفوت عليهم أولُ النهار الذي فيه بركة، وقد قال العامة: أمير النهار أوله؛ يعني: أن أول النهار هو الذي يتركز عليه العمل، وكان صخر يبعث بتجارته أول النهار فأثرىٰ وكثُر ماله من أجل دعاء النبي ﷺ بالبركة لهذه الأمة في بكورها. والله الموفق.

فوائد الحديث:

١-استحباب الخروج يوم الخميس.

استحباب طلب الرفقة وتأميرهم على أنفسهم واحدًا يطيعونه

عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوحْدةِ ما أَعَلمُ، ما سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وحْدَهُ»(١٧٣).

وعن عمرو بن شُعَيْبٍ، عن أَبيه، عن جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرَّاكِبُ شَيطَانٌ، والرَّاكِبان شَيطَانانِ، والثَّلاثَةُ رَكبٌ» (١٧٤).

وعن أَبِي سعيدٍ وأَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالا: قَال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا خَرَج ثَلاثَةٌ في سفَرٍ فليُؤَمِّرُوا أَحدهم» (١٧٥).

معاني الكلمات:

يؤمروا أحدهم: يجعلوه أميرًا عليهم.

المعنى الإجمالي:

ينبغي للإنسان أن يكون معه رفقة في السفر وألا يسافر وحده، ولهذا قال النبي ﷺ: «لو يعلم الناس ما الوحدة ما سار راكبٌ بليل قط وحده»؛ يعني: معناه أن الإنسان لا ينبغي أبدًا أن يسير وحده في السفر؛ لأنه ربما يصاب بمرض أو إغماء، أو يتسلَّط عليه أحد، أو غير ذلك من المحظورات فلا يكون

---

(١٧٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٨).

(١٧٤) أخرجه أبو داود (٢٦٠٧)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث (٣٥٢٤).

(١٧٥) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث(٥٠٠).

معه أحد يدافع عنه أو يخبر عنه، أو ما أشبه ذلك، وهذا في الأسفار التي تتحقق فيها الوحدة، وأما ما يكون في الخطوط العامرة التي لا تكاد تمر فيها دقيقة واحدة إلا وتمر بك فيها سيارة فهذا - وإن كان الإنسان في سيارة وحده - فليس من هذا الباب - يعني ليس من السفر وحده - لأن الخطوط الآن عامرة من محافظة لأخرىٰ، ومن مدينة لثانية. وما أشبه ذلك، فلا يدخل في النهي.

ثم بين النبي ﷺ في حديث عمرو بن شعيب أن الراكب شيطان، والراكبين شيطانان، والثلاثة رَكبٌ؛ يعني: من يسافر وحده شيطان، والذي يسافر وليس معه سوىٰ واحدٍ شيطانان، والثلاثة ركب - يعني: ليسوا من الشياطين - بل هم ركب مستقل، وهذا أيضًا علىٰ الحذر والتنفير من سفر الوحدة، وكذلك من سفر الاثنين، والثلاثة لا بأس، وهذا - كما قلت - مقيدٌ بالأسفار التي لا يكون فيها ذاهبٌ وآتٍ.

ثم ذكر حديث أبي سعيدٍ وأبي هريرة أن الرسول ﷺ أمر المسافرين إذا سافروا أن يؤمِّروا أحدهم؛ يعني: يؤمِّرون واحدًا منهم يتولَّىٰ تدبيرهم، يقول: نذهب، ونجلس، نتوضأ، نتناول العشاء، وما أشبه ذلك؛ لأنهم إذا لم يؤمِّروا واحدًا صار أمرهم فوضىٰ، ولهذا قيل: لا يصلح الناس فوضىٰ لا سراةَ لهم، لابد من أميرٍ يتولَّىٰ أمرهم، وظاهر الحديث: أن هذا الأمير إذا رضُوه وجبت طاعته فيما يتعلق بمصالح السفر؛ لأنه أمير، أمَّا ما لا يتعلق بأمور السفر؛ فلا تجب طاعته كالمسائل الخاصة بالإنسان، إلا أنه لا يعني ذلك أن هذا الأمير يستبدُّ بل يكون كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فعليه أن يشاورهم في الأمور التي يخفىٰ فيها جانب المصلحة، ولا يستبدُّ برأيه، أما الأمور الواضحة فلا حاجة للمشورة فيها. والله الموفق.

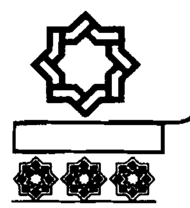
فوائد الحديث:

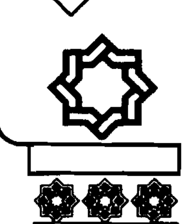
١- ينبغي للإنسان أن يكون معه رفقةٌ في السفر.

٢- استحباب الصحبة والجماعة.

٣- استحباب أن يجعل المسافرون عليهم من أنفسهم أميرًا.







استحباب السفر بالليل والنهي عن التفرق في السفر

وعنْ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: قال رسولُ الله ﷺ: «عَلَيْكُم بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيلِ» (١٧٦).

وعنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كانَ النَّاسُ إذا نَزَلُوا مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا في الشِّعابِ والأَوْدِيةِ. فقالَ رسول الله ﷺ: «إن تَفَرُّقَكُمْ في هَذِهِ الشِّعابِ وَالأَوْدِيةِ إِنَّما ذلكُمْ منَ الشَّيْطان، فَلَمْ ينْزلُوا بعْدَ ذلك منْزلًا إلاَّ انْضَمَّ بَعضُهُمْ إلى بعْضٍ» (١٧٧).

معاني الكلمات:

«الدُّلْجَة»: السَّيْرُ في اللَّيْلِ.

الشِّعْب: انفراج بين جبلين، والجمع: شعاب.

الوادي: كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام، والجمع: أودية.

المعنى الإجمالي:

أرشد النبي ﷺ أمته إلىٰ أن يسيروا في الليل، وأخبر أن الأرض تُطوىٰ للمسافر إذا سافر في الليل؛ يعني: أنه يقطع في الدلجة - الليل - ما لا يقطعه في النهار؛ وذلك لأن الليل وقت بَرَاد، فهو أنشط للرواحل وأسرع في سيرها،

---

(١٧٦) أخرجه أبو داود (٢٥٧١)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث(٤٠٦٤).

(١٧٧) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٢٢٨٨).

ولهذا عبَّر النبي ﷺ عن ذلك بأنه تطوىٰ الأرض للمسافر إذا مشىٰ في الليل.

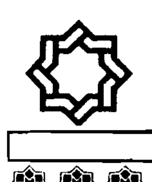
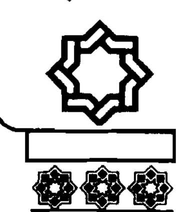
ومن الآداب أيضًا: أنه ينبغي للجماعة ألا يتفرَّقوا إذا نزلوا منزلًا، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا نزلوا منزلًا تفرَّقوا في الأودية والشعاب، فقال النبي ﷺ: «**إنما ذلكم من الشيطان**»؛ يعني: تفرقكم، فما نزلوا بعد ذلك منزلًا إلا اجتمعوا جميعًا؛ لأن ذلك أقوىٰ لهم وأحفظ، ولو تسَلَّط عليهم عدوٌّ في هذا الليل - وكانوا جميعًا - أمكنهم المدافعة، لكن إذا تفرقوا توزعوا وفشلوا.

فوائد الحديث:

١- عدم التفرق عند نزول المنازل.

٢- أفضلية السفر في الليل.

❊ ❊ ❊

عدم تحميل الدواب فوق ما تطيق

عَنْ سَهْلِ بنِ عمرو - وَقِيلَ: سَهْلِ بن الرَّبيعِ بن عَمرو الأنْصَارِيِّ- المَعروفِ بابنِ الحنْظَليَّةِ، وهُو منْ أهْلِ بَيْعةِ الرِّضوان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: مرَّ رسول اللهِ ﷺ ببعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ ببطْنِهِ، فقال: «اتَّقُوا اللهَ في هذه البهَائِمِ الْمُعْجمةِ فَارْكَبُوها صَالِحَةً، وكُلُوها صالحَة»[١٧٨].

وعن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كُنَّا إذا نَزَلْنَا مَنْزِلًا، لا نُسَبِّحُ حَتَّى نَحُلَّ الرِّحَالَ[١٧٩].

معاني الكلمات:

حط الرحال: إنزالها.

«لا نُسَبِّحُ»، أَيْ: لا نُصلِّي النَّافلَةَ، ومعناه: أَنَّا - مَعَ حِرْصِنا على الصَّلاةِ - لا نُقَدِّمُها عَلى حطِّ الرِّحال وإِرَاحةِ الدَّوابِّ.

المعنى الإجمالي:

أمر النبي ﷺ بالرفق بالبهائم، وأنه يجب على الإنسان أن يعاملها معاملةً حسنةً، فلا يكلفها ما لا تطيق، ولا يقصر عنها في أكل أو شرب.

وفيه أيضًا: أن الإنسان يركب الراحلة وحده، وله أن يُردف غيره لكن بشرط أن تكون الراحلة مُطيقة لذلك، فإن لم تكن مطيقة لضعفها أو نحو ذلك؛ فإنه لا يحل له أن يكلفها ما لا تطيق؛ لأن هذه البهائم تتعب كما يتعب الإنسان،

---

(١٧٨) أخرجه أبو داود (٢٥٤٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث (٦٠٤).
(١٧٩) أخرجه أبو داود (١٧٢٨)، وصححه العلامة الألباني في المشكاة، حديث (٣٩١٧).

هي مكونة مما كُوِّن منه الإنسان: لحم وعظم ودم، فإذا كان الإنسان يتعب إذا حُمِّل ما لا يطيق، أو حُمِّل عملًا يُتعبه، كذلك هذه البهائم، ولهذا أمر النبي ﷺ أن نتقي الله عَزَّوَجَلَّ فيها وألا نقصر في حقها.

دخل النبي ﷺ ذات يوم حائط رجلٍ من الأنصار، فإذا بجمل، فلما رأىٰ النبي ﷺ - أي: الجمل رأىٰ النبي ﷺ - جاء يجرجر وعيناه تذرفان، يشكو صاحبه إلىٰ النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «مَنْ ربُّ هذا الجمل؟» فجاء رجل من الأنصار فقال: إنه لي يا رسول الله. فأخبره ﷺ أن الجمل يشكو إليه صاحبه بأنه يجيعه ويحمله ما لا يطيق، وأمره أن يتقي الله تعالىٰ فيه(١٨٠).

وهذا من آيات النبي ﷺ أن البهائم العُجْم تشكو إليه إذا رأته ﷺ؛ لأن هذا من آيات الله التي يؤيد الله بها رسولَه ﷺ فإن الله تعالىٰ ما أرسل رسولًا إلا أعطاه آيات تدل علىٰ نبوته لئلا يكذبه الناس؛ لأن الناس إذا جاء إليهم رجل، وقال: أنا رسول الله لكم بدون آيةٍ ما صدقوه، لكن الله تعالىٰ يؤتي رسلَه آياتٍ تدل علىٰ أنهم صادقون، وأعظم آيات أعطيها الأنبياء ما أُعطيه النبي ﷺ، وقد ذكر ابن كثير: في «البداية والنهاية» وغيره أيضًا أنه ما من آيةٍ لنبيٍّ من السابقين إلا كان لرسول الله ﷺ مثلها أو أعظم منها. إما له شخصيًّا وإما لأتباعه، وذكر علىٰ ذلك أمثلة وشواهد كثيرة، لكن لم يُعْطَ أحدٌ من الأنبياء مثل ما أعطي النبي ﷺ من هذا الوحي -القرآن- ولهذا قال: «إنما الذي أوتيته وحي أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعًا يوم القيامة»(١٨١)؛ لأن هذا الوحي باقٍ إلىٰ يومنا هذا، والناس كلما قرأوه ازدادوا إيمانًا بالله ورسوله؛ لما فيه من

---

(١٨٠) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(١٨١) أخرجه البخاري (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢).

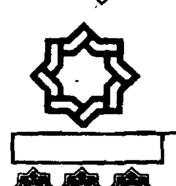
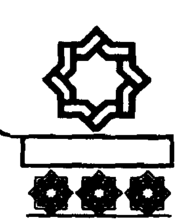
الآيات العظيمة الدالة على أن رسول الله ﷺ رسولُ الله حقًّا. والله الموفق.

فوائد الحديث:

الرفق بالحيوان.

مدى رحمة النبي ﷺ.

❊

أعطوا الإبل حظها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ بِاللَّيْلِ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهَوَامِّ بِاللَّيْلِ»[١٨٢].

معاني الكلمات:

أعطوا الإبل حظها من الأرض: أي ارفقوا بها في السير لترعىٰ في حال سيرها.

التعريس: النزول في آخر الليل.

الخصب: الأرض الخيرة الطيبة خلاف الجدب.

الهوام: ما يكون من المؤذيات في الليل.

المعنى الإجمالي:

هذا الْحَدِيث يتناول أدبًا من آداب السير والسفر وفي الْحَدِيث: الْحَثُّ عَلَىٰ الرِّفْق بِالدَّوَابِّ، وَمُرَاعَاة مَصْلَحَتهَا، فَإِنْ سَافَرُوا فِي الْخِصْب قَلَّلُوا السَّيْر وَتَرَكُوهَا تَرْعَىٰ فِي بَعْض النَّهَار، وَفِي أَثْنَاء السَّيْر، فَتَأْخُذ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْض بِمَا تَرْعَاهُ مِنْهَا، وَإِنْ سَافَرُوا فِي الْقَحْط عَجَّلُوا السَّيْر لِيَصِلُوا الْمَقْصِد، وَفِيهَا بَقِيَّة مِنْ قُوَّتهَا، وَلَا يُقَلِّلُوا السَّيْر فَيَلْحَقهَا الضَّرَر؛ لِأَنَّهَا لَا تَجِد مَا تَرْعَىٰ فَتَضْعُف، وَيَذْهَب نِقْيهَا، وَرُبَّمَا كَلَّتْ، وَوَقَفَتْ، وَقَدْ جَاءَ فِي أَوَّل هَذَا الْحَدِيث فِي رِوَايَة مَالِك فِي «الموطَّأ» «أَنَّ الله رَفِيق يُحِبُّ الرِّفْق».

---

(١٨٢) رواه مسلم (١٩٢٦).

وفي قَوْله ﷺ: «وَإِذَا عَرَّسْتُمْ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيق، فَإِنَّهَا طُرُق الدَّوَابِّ، وَمَأْوَىٰ الْهَوَامِّ بِاللَّيْلِ»، قَالَ أَهْل اللُّغَة: التَّعْرِيس: النُّزُول فِي أَوَاخِر اللَّيْل لِلنَّوْم وَالرَّاحَة، هَذَا قَوْل الْخَلِيل وَالْأَكْثَرِينَ، وَقَالَ أَبُو زَيْد: هُوَ: النُّزُول أَيَّ وَقْت كَانَ مِنْ لَيْل أَوْ نَهَار.

وَالمرَاد بِهَذَا الْحَدِيث هُوَ الْأَوَّل، وَهَذَا أَدَب مِنْ آدَاب السَّيْر وَالنُّزُول، أَرْشَدَ إِلَيْهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْحَشَرَات وَدَوَابَّ الْأَرْض مِنْ ذَوَات السُّمُوم وَالسِّبَاع تَمْشِي فِي اللَّيْل عَلَىٰ الطَّرِيق لِسُهُولَتِهَا، وَلِأَنَّهَا تَلْتَقِط مِنْهَا مَا يَسْقُط مِنْ مَأْكُول وَنَحْوه، وَمَا تَجِد فِيهَا مِنْ رِمَّة وَنَحْوها، فَإِذَا عَرَّسَ الْإِنْسَان فِي الطَّرِيق رُبَّمَا مَرَّ بِهِ مِنْهَا مَا يُؤْذِيه، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَبَاعَد عَنِ الطَّرِيق[١٨٣].

فوائد الحديث:

١- علىٰ المسافر أن يراعي مصلحة الراحلة في السفر لأنه مسئول عنها.

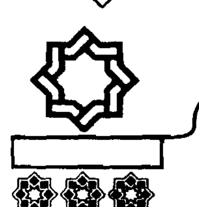
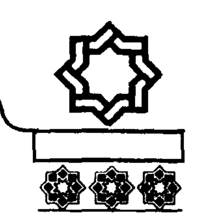
٢- حكمة النبي ﷺ في رعاية مصالح الإنسان والحيوان بحيث أرشد المسافرين إلىٰ هذه الآداب.

٣- التزام هدي النبي ﷺ فيه المصلحة حتىٰ في أمر الدنيا حيث أمر باجتناب الطرق الخطرة عند النوم في السفر.

٤- قوله ﷺ: «فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ» وصية في حفظ أرواح الناس من الأخطار، مثال ذلك: طرق السيارات، فإن الإنسان يبتعد عنها لئلا يقع في خطر من القادمين بسياراتهم.

---

(١٨٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٣/ ٦٩).

دعاء للسفر

عن ابنِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إِذا اسْتَوَى عَلَى بعِيرِهِ خَارجًا إِلَى سفَرٍ؛ كَبَّرَ ثلاثًا، ثُمَّ قالَ: «سبْحانَ الذي سخَّرَ لَنَا هذا وما كنَّا له مُقرنينَ، وَإِنَّا إِلى ربِّنَا لمُنقَلِبُونَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا البرَّ والتَّقوى، ومِنَ العَمَلِ ما تَرْضى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ علَيْنا سفَرَنَا هذا، وَاطْوِ عنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ في الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وعْثَاءِ السَّفَرِ، وكآبةِ المنظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقلَبِ فِي الْمَالِ والأَهْلِ وَالوَلَدِ» وإِذا رجَعَ قَالَهُنَّ وزاد فيِهنَّ: «آيِبونَ تَائِبونَ عَابِدُون لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»(١٨٤).

معاني الكلمات:

مُقرِنِينَ: مُطِيقِينَ.
الوَعْثاءُ: الشِّدَّة.
الكآبة: تَغَيُّرُ النَّفس مِنْ حُزنٍ ونحوه.
المنقَلَبُ: المرْجِعُ.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث فيه فوائد عظيمة تتعلق بالسفر.

وقد اشتملت هذه الأدعية على طلب مصالح الدين -التي هي أهم الأمور- ومصالح الدنيا، وعلى حصول المحاب، ودفع المكاره والمضار

(١٨٤) أخرجه مسلم (١٣٤٢).

وعلىٰ شكر نعم الله، والتذكر لآلائه وكرمه، واشتمال السفر علىٰ طاعة الله، وما يقرب إليه.

فقوله: **«كان إذا استوىٰ علىٰ راحلته خارجًا إلىٰ سفر: كبر ثلاثًا»** هو افتتاح لسفره بتكبير الله، والثناء عليه، كما كان يختم بذلك.

وقوله ﷺ: **«سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون»** فيه الثناء علىٰ الله بتسخيره للمركوبات، التي تحمل الأثقال والنفوس إلىٰ البلاد النائية، والأقطار الشاسعة، واعتراف بنعمة الله بالمركوبات.

وهذا يدخل فيه المركوبات: من الإبل، ومن السفن البحرية، والبرية، والهوائية. فكلها تدخل في هذا.

ولهذا قال نوح ﷺ للراكبين معه في السفينة﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [هود:٤١].

فهذه المراكب، كلها وأسبابها، وما به تتم وتكمل، كلها من نعم الله وتسخيره. يجب علىٰ العباد الاعتراف لله بنعمته فيها، وخصوصًا وقت مباشرتها.

وفيه: تذكر الحالة التي لولا الباري لما حصلت وذللت في قوله: «وما كنا له مقرنين» أي مطيقين، لو رَدَّ الأمر إلىٰ حولنا وقوتنا، لكنَّا أضعف شيء علمًا، وقدرة وإرادة، ولكنه تعالىٰ سخر الحيوانات وعلَّم الإنسان صنعة المركوبات، كما امتن الله في تيسير صناعة الدروع الواقية في قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٠]**فعلىٰ الخلق أن يشكروا الله، إذ علمهم صناعة اللباس الساتر للعورات، ولباس الرياش، ولباس الحرب وآلات الحرب. وعلمهم صنعة الفلك البحرية والبرية**

والهوائية، وصنعة كل ما يحتاجون إلىٰ الانتفاع به، وأنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس متنوعة. ولكن أكثر الخلق في غفلة عن شكر الله، بل في عتو واستكبار علىٰ الله، وتجبر بهذه النعم علىٰ العباد.

وفي هذا الحديث: التذكر بسفر الدنيا الحِسِّي لسفر الآخرة المعنوي؛ لقوله: «**وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون**» فكما بدأ الخلق فهو يعيدهم ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ.

وقوله: «**اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوىٰ، ومن العمل ما ترضىٰ**».

سأل الله أن يكون السفر موصوفًا بهذا الوصف الجليل، محتويًا علىٰ أعمال البر كلها المتعلقة بحق الله والمتعلقة بحقوق الخلق، وعلىٰ التقوىٰ التي هي اتقاء سخط الله، بترك جميع ما يكرهه الله من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، كما سأله العمل بما يرضاه الله.

وهذا يشمل جميع الطاعات والقربات. ومتىٰ كان السفر علىٰ هذا الوصف، فهو السفر الرابح، وهو السفر المبارك.

وقد كانت أسفاره ﷺ كلها محتوية لهذه المعاني الجليلة.

ثم سأل الله الإعانة، وتهوين مشاق السفر، فقال: «**اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطَوِ عَنَّا بُعْدَهُ**» لأن السفر قطعة من العذاب. فسأل تهوينه، وطَيَّ بعيده. وذلك بتخفيف الهموم والمشاق، وبالبركة في السير، حتىٰ يقطع المسافات البعيدة، وهو غير مكترث، ويقيّض له من الأسباب المريحة في السفر أمورًا كثيرة، مثل راحة القلب، ومناسبة الرفقة، وتيسير السير، وأمن الطريق من المخاوف، وغير ذلك من الأسباب.

فكم من سفر امتد أيامًا كثيرة، لكن الله هونه، ويسره علىٰ أهله. وكم من

سفر قصير صار أصعب من كل صعب. فما ثَمَّ إلا تيسير الله ولطفه ومعونته.

ولهذا قال في تحقيق تهوين السفر: «**اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر**» أي: مشقته وصعوبته «**وكآبة المنظر**» أي: الحزن الملازم والهم الدائم «**وسوء المنقلب، في المال والأهل الوالد**» أي: يا رب نسألك أن تحفظ علينا كل ما خلّفناه وراءنا، وفارقناه بسفرنا من أهل وولد ومال، وأن ننقلب إليهم مسرورين بالسلامة، والنعم المتواترة علينا وعليهم؛ فبذلك تتم النعمة، ويكمل السرور.

وكذلك يقول هذا في رجوعه، وعوده من سفره. ويزيد: «**آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون**» أي: نسألك اللهم أن تجعلنا في إيابنا ورجوعنا ملازمين للتوبة لك، وعبادتك وحمدك، وأن تختم سفرنا بطاعتك، كما ابتدأته بالتوفيق لها.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء:٨٠].

ومدخل الصدق ومخرجه، أن تكون أسفار العبد ومداخله ومخارجه كلها تحتوي علىٰ الصدق والحق، والاشتغال بما يحبه الله، مقرونة بالتوكل علىٰ الله، ومصحوبة بمعونته.

وفيه: الاعتراف بنعمته آخرًا، كما اعترف بها أولاً، في قوله: «**لربنا حامدون**».

فكما أن علىٰ العبد أن يحمد الله علىٰ التوفيق لفعل العبادة والشروع في الحاجة فعليه أن يحمد الله علىٰ تكميلها وتمامها، والفراغ منها؛ فإن الفضل فضله، والخير خيره، والأسباب أسبابه. والله ذو الفضل العظيم(١٨٥).

---

(١٨٥) انظر: كتاب (بهجة قلوب الأبرار) حديث رقم (٨٥) للعلامة عبد الرحمن السعدي.

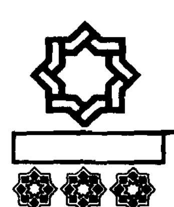
فوائد الحديث:

١- أن الله سخر لنا الدواب وذلَّلها لنا.

٢- دعاء ركوب الدابة.

٣- ينبغي ذكر الله في كل حال.





تكبير المسافر إذا صعد الثنايا وتسبيحه إذا هبط الأودية

عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كُنَّا إِذا صعِدْنَا كَبَّرْنَا، وإذا نَزَلْنَا سبَّحْنا [١٨٦].

وعن ابن عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كانَ النَّبِيُّ ﷺ وجيُوشُهُ إذا علَوا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإذا هَبطُوا سَبَّحوا [١٨٧].

وعنهُ قال: كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا قَفَل مِنَ الحجِّ أَو العُمْرَةِ كُلَّما أَوْفى عَلى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّر ثَلاثًا، ثُمَّ قال: «لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْك ولَهُ الحمْدُ، وَهُو على كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. آيِبُونَ تَائِبُونَ عابِدُون ساجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صدقَ الله وَعْدهُ، وَنَصر عبْده، وَهَزَمَ الأَحزَابَ وحْدَه» [١٨٨].

وفي روايةٍ لمسلم: إذا قَفَل مِنَ الجيُوشِ أو السَّرَايا أَو الحجِّ أو العُمْرةِ.

وعن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إني أُرِيدُ أَن أُسافِر فَأَوْصِنِي، قال: «عَلَيْكَ بِتقوى اللهِ، وَالتَّكبير عَلى كلِّ شَرفٍ». فَلَمَّا ولَّى الرجُلُ قال: «اللَّهُمَّ اطْوِ لهُ البُعْدَ، وَهَوِّنْ عَليهِ السَّفر» [١٨٩].

معاني الكلمات:

أَوْفَى: ارْتَفعَ.

---

(١٨٦) أخرجه البخاري (٢٩٩٣).

(١٨٧) أخرجه أبو داود (٢٥٩٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٢٦٤).

(١٨٨) أخرجه البخاري (٢٩٩٥)، ومسلم (١٣٤٤).

(١٨٩) أخرجه الترمذي (٣٤٤٥)، وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة، حديث (١٧٣٠).

فَدْفَد: الغَلِيظُ الْمُرْتَفِع مِنَ الأَرْض.

المعنى الإجمالي:

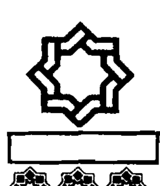
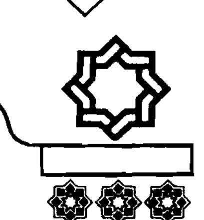
إنه من آداب السفر أنه إذا صعد الإنسان شيئًا مرتفعًا كالجبل، وكذلك الطائرة إذا صعدت فإنه يكبر يقول: «**الله أكبر**» إما مرة أو مرتين أو ثلاثًا، وإذا نزل «**سبَّح**» قال: سبحان الله مرة أو مرتين أو ثلاثًا، ووجه ذلك:

إن الإنسان إذا علا فإنه يرى نفسه في مكان عالٍ، فقد يستعظم نفسه فيقول: الله أكبر؛ يعني: يرد نفسه إلى الاستصغار أمام كبرياء الله عَزَّوَجَلَّ فيقول: الله أكبر؛ يعني: لو علوتي أيتها النفس فإن فوقك من هو أعلى منْكِ وهو الله جل وعلا، أما إذا نزل فالنزول سفول ودنو وذل، فيقول: سبحان الله؛ يعني: أنزه الله سبحانه وتعالى عن السفول والنزول؛ لأنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وإن كان عَزَّوَجَلَّ ثبت عن رسول الله ﷺ أنه ينزل إلى السماء الدنيا؛ هذا نزول يليق بجلاله وعظمته ولا يلزم منه السفول، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء، المهم أنه من الآداب المستحبة التي من هدي الرسول ﷺ وأصحابه أنك إذا صعدت تقول: الله أكبر، وإذا نزلت واديًا تقول: سبحان الله، كذلك الطائرة عند ارتفاعها تكبر، عند نزولها المطار تسبح؛ لأنه لا فرق بين الصعود في الهواء والنزول منه، أو على الأرض. والله الموفق.

فوائد الحديث:

١- ينبغي علينا تكبير الله تعالى عند الارتفاع والعلو.

٢- ينبغي علينا تسبيح الله تعالى عند الهبوط والنزول.

استحباب الدعاء في السفر

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ثَلاثُ دَعوَات مُسْتَجاباتٌ لا شَكَّ فِيهنَّ: دعْوَةُ المظلومِ، ودعْوةُ المُسَافِرِ، وَدعُوَةُ الوالِدِ على ولدِهِ»(١٩٠).

معاني الكلمات:

المسافر: هو الذي فارق وطنه، فإنه يكون مسافرًا حتىٰ يرجع إليه.

المعنى الإجمالي:

دعوة المظلوم: معناها إذا ظلمك أحدٌ فأخذ مالك أو غير ذلك، فهذا ظلم، فإذا دعوت الله عليه استجاب الله دعاءك، حتىٰ ولو كان المظلوم كافرًا وظلمته، ثم دعا الله فإن الله يستجيب دعاءه، لا حبًّا للكافر ولكن حبًّا للعدل، والمظلوم لابد أن يُنصف له من الظالم، ولهذا لما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن قال له: **«اتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**(١٩١).

فالمظلوم دعوته مستجابة إذا دعا علىٰ ظالمه بمثل ما ظلمه أو أقل، أما إذا تجاوز؛ فإنه يكون معتديًا فلا يستجاب له، هذه واحدة.

الثانية: دعوة المسافر، إذا دعا الله عَزَّ وَجَلَّ أن ييسر سفره، أو يعينه عليه، أو غير ذلك من الدعوات؛ فإن الله تعالىٰ يستجيب له،؛ ولذا ينبغي أن يغتنم فرصة الدعاء في السفر، وإذا كان السفرُ سفرَ طاعة كعمرة وحج؛ فإنه يزداد قوة في

---

(١٩٠) أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث (٣٠٣١).
(١٩١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

إجابة الدعاء. ودعوة المسافر دعوة مُحتاج في الغالب، والإنسان إذا احتاج ودعا ربه أوشك أن يستجاب له؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ يجيب دعوة المضطر ودعوة المحتاج أكثر مما يستجيب لغيرهما.

الثالثة: دعوة الوالد، في بعض ألفاظ الحديث: «علىٰ ولده»، وفي بعض ألفاظه مطلقة: «الوالد»؛ أي: سواء لولده أو عليه، وهذا هو الأصح، دعوة الوالد لولده أو عليه مستجابة، أما دعوته لولده؛ فلأنه يدعو لولده شفقةً ورحمةً، والراحمون يرحمهم الله عَزَّوَجَلَّ، وأما عليه؛ فإنه لا يمكن أن يدعو علىٰ ولده إلا باستحقاق، فإذا دعا عليه - وهو مستحق لها - استجاب الله دعوته، هذه ثلاث دعوات مستجابات، دعوة المظلوم، والمسافر، والوالد؛ سواء الأم أو الأب.

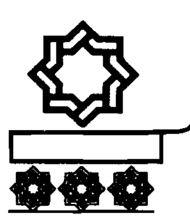
فوائد الحديث:

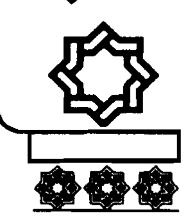
١- الحذر من دعوة المظلوم.

٢- استحباب الدعاء حال السفر.

٣- استجابة دعوة الوالد في ولده.







ما يقول إذا نزل منزلًا

عن خَولَة بنتِ حكيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: سمعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قال: أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يضرَّه شَيْءٌ حتَّى يرْتَحِل مِنْ منْزِلِهِ ذلكَ»(١٩٢).

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث في بيان ما يقوله الإنسان إذا كان مسافرًا ونزل منزلًا، ففي حديث خَولَة بنت حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتىٰ يرتحل من منزله هذا**»، قوله: «**نزل منزلًا**» يشمل مَنْ نزل منزلًا في السفر إذا كان مسافرًا، ثم نزل ليستريح لغداء أو عشاء أو نوم أو غير ذلك، فإنه إذا نزل يقول: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**» وأعوذ؛ أي: أعتصم بكلمات الله التامات، و«**كلمات الله التامات**» تشمل كلماتِه الكونيةَ والشرعية، فأما الكونية فهي التي ذكرها الله في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فيحميك الله تعالىٰ بكلماته الكونية، يدفع عنك ما يضرُّك إذا قلت هذا الكلام، كذلك الكلمات الشرعية وهي الوحي، فيها وقاية من كل سوءٍ وشرٍّ، وقاية من الشر قبل نزوله وبعد نزوله، أما قبل نزوله: فقد ثبت عن النبي ﷺ أن من قرأ آية الكرسي في ليلة؛ لم يزل عليه من الله حافظٍ ولا يقربه شيطان حتىٰ يصْبح(١٩٣)،

---

(١٩٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(١٩٣) أخرجه البخاري (٢٣١١).

وأما بعد نزول الشر: فقد ثبت عنه ﷺ: أن الفاتحة إذا قُرئَ بها على المريض فإنه يبرأ بها، حتىٰ إن الصحابي رضي الله عنه لما قرأ الفاتحة علىٰ سيد القوم الذي لُدِغَ قام كأنما نشط من عِقَال[١٩٤]؛ يعني: برأت حاله، لأنَّ القرآن شفاء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

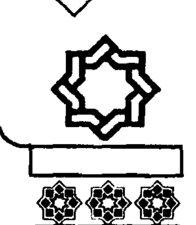
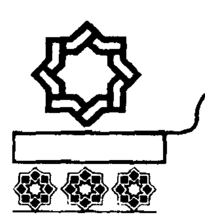
فاحرص - يا أخي المسلم - إذا نزلت منزلًا في برٍّ أو بحرٍ، أو منزلًا اشتهيته للنوم وما أشبه ذلك فقل: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**» فإنه لا يضرك شيء حتىٰ ترتحل من منزلك ذلك. والله الموفق.

فوائد الحديث:

١- أهمية هذا الدعاء عند نزول أي موضع.

٢- الله عز وجل كافي مَنْ لجأ إليه.

(١٩٤) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

تعجيل المسافر الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِن العذَابِ، يَمْنَعُ أَحدَكم طَعامَهُ وشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فإذا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ؛ فَلْيُعَجِّل إلى أَهْلِهِ» (١٩٥).

معاني الكلمات:

نَهْمَتهُ: مَقْصُودهُ.

المعنى الإجمالي:

إذا سافر المسافر فإنه يترك أهله، وربما يحتاجون إليه في تعليمهم ورعايتهم وغير ذلك، وربما يحدث لهم أشياء توجب أن يكون عندهم؛ ولهذا أمر النبي ﷺ - كما في الحديث - أن الإنسان إذا قضى نهمته من سفره فليرجع إلى أهله، وقال ﷺ في هذا الحديث: «**إن السفر قطعة من العذاب**»؛ ويعني ذلك: عذاب الضمير وعذاب الجسم، ولا سيما الذي كان في الزمن السابق حيث يسافرون على الإبل ويكون فيها مشقَّات كبيرة، وحرٌّ في الصيف، وبردٌ في الشتاء، ولهذا قال ﷺ: «**إنه قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه**» لأنه - أي: المسافر - مشغول البال، ولا يأكل ويشرب كطعامه وشرابه العادي في أيامه العادية، وكذلك في النوم، فإذا كان كذلك فليرجع الإنسان إلى

---

(١٩٥) أخرجه البخاري (١٨٠٤)، ومسلم (١٩٢٧).

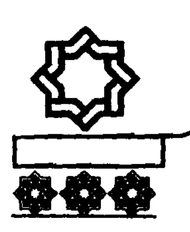
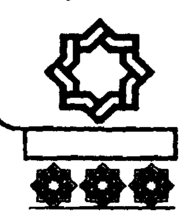
الراحة إلىٰ أهله وبلده ليقوم علىٰ أهله بالرعاية والتأديب وغير ذلك، وفي هذا دليل علىٰ أن إقامة الإنسان في أهله أفضل من سفره إلا أن يكون هناك حاجة، ووجهه: أن أهله يحتاجون إليه؛ ولهذا لما قدم مالك بن الحويرث ومعه عشرون رجلًا من قومه إلىٰ النبي ﷺ وأقاموا عنده نحو عشرين ليلة، فرأىٰ أنهم قد اشتاقوا إلىٰ أهلهم قال: «**ارجعوا إلىٰ أهليكم وأقيموا فيهم وأدِّبوهم وعلِّموهم**» فدلَّ ذلك علىٰ أن الإنسان لا ينبغي أن يغيب عن أهله إلا بقدر الحاجة، هذا هو الأفضل. والله الموفق.

فوائد الحديث:

١- استحباب المبادرة بالرجوع للأهل.

٢- كراهة السفر إلا لحاجة.

٣- يجب علىٰ الرجل أن يكون في خدمة أهله.

استحباب القدوم على أهله نهارًا

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا»(١٩٦).

معاني الكلمات:

الطروق: المجيء في الليل.

المعنى الإجمالي:

يرشدنا الحديث إلىٰ آداب العودة من السفر فقال ﷺ: «إِذَا أَطَالَ أَحَدكُمْ الْغَيْبَة فَلَا يَطْرُق أَهْله لَيْلًا» التَّقْيِيد فِيهِ بِطُولِ الْغَيْبَة يُشِير إِلَىٰ أَنَّ عِلَّة النَّهْي إِنَّمَا تُوجَد حِينَئِذٍ، فَالْحُكْم يَدُور مَعَ عِلَّته وُجُودًا وَعَدَمًا، فَلَمَّا كَانَ الَّذِي يَخْرُج لِحَاجَتِهِ مَثَلًا نَهَارًا وَيَرْجِع لَيْلًا لَا يَتَأَتَّىٰ لَهُ مَا يَحْذَر مِنَ الَّذِي يُطِيل الْغَيْبَة، كَانَ طُول الْغَيْبَة مَظِنَّة الْأَمْن مِنَ الْهُجُوم، فَيَقَع الَّذِي يَهْجُم بَعْد طُول الْغَيْبَة غَالِبًا مَا يُكْرَه؛ إِمَّا أَنْ يَجِد أَهْله عَلَىٰ غَيْر أُهْبَة مِنَ التَّنَظُّف وَالتَّزَيُّن الْمَطْلُوب مِنَ الْمَرْأَة فَيَكُون ذَلِكَ سَبَب النَّفْرَة بَيْنهمَا، وَقَدْ أَشَارَ إِلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي حَدِيث الْبَاب الَّذِي بَعْده بِقَوْلِهِ: «كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ المغِيبَةُ»(١٩٧). وَيُؤْخَذ مِنْهُ كَرَاهَة مُبَاشَرَة الْمَرْأَة فِي الْحَالَة الَّتِي تَكُون فِيهَا غَيْر مُتَنَظِّفَة؛ لِئَلَّا يَطَّلِع مِنْهَا عَلَىٰ مَا يَكُون سَبَبًا لِنَفْرَتِهِ مِنْهَا، وَإِمَّا أَنْ يَجِدهَا عَلَىٰ حَالَة غَيْر مَرْضِية وَالشَّرْع

---

(١٩٦) أخرجه البخاري (٤٩٤٦) ومسلم (٧١٥).

(١٩٧) رواه مسلم (٧١٥).

مُحَرِّض عَلَىٰ السَّتْر، وَقَدْ أَشَارَ إِلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «أَنْ يَتَخَوَّنَهُم وَيَتَطَلَّب عَثَرَاتِهِمْ» فَعَلَىٰ هَذَا مَنْ أَعْلَم أَهْله بِوُصُولِهِ وَأَنَّهُ يَقْدُم فِي وَقْت كَذَا مَثَلًا لَا يَتَنَاوَلهُ هَذَا النَّهْي.

وَفِي الْحَدِيث الْحَثُّ عَلَىٰ التَّوَادِّ وَالتَّحَابِّ خُصُوصًا بَيْن الزَّوْجَيْنِ؛ لِأَنَّ الشَّارِع رَاعَىٰ ذَلِكَ بَيْن الزَّوْجَيْنِ مَعَ اطِّلَاع كُلٍّ مِنْهُمَا عَلَىٰ مَا جَرَتِ الْعَادَة بِسَتْرِهِ حَتَّىٰ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَا يَخْفَىٰ عَنْهُ مِنْ عُيُوب الْآخَر شَيْء فِي الْغَالِب، وَمَعَ ذَلِكَ فَنَهَىٰ عَنِ الطُّرُوق لِئَلَّا يَطَّلِع عَلَىٰ مَا تَنْفِر نَفْسه عَنْهُ، فَيَكُون مُرَاعَاة ذَلِكَ فِي غَيْر الزَّوْجَيْنِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَىٰ، وَيُؤْخَذ مِنْهُ أَنَّ الاسْتِحْدَاد وَنَحْوه مِمَّا تَتَزَيَّن بِهِ الْمَرْأَة لَيْسَ دَاخِلًا فِي النَّهْي عَنْ تَغْيِير الْخِلْقَة، وَفِيهِ التَّحْرِيض عَلَىٰ تَرْكِ التَّعَرُّض لِمَا يُوجِب سُوء الظَّنِّ بِالمسْلِمِ [١٩٨].

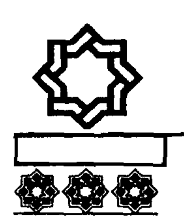
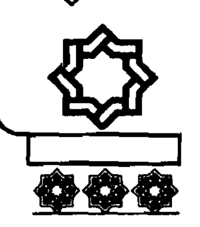
فوائد الحديث:

١- المسافر إذا أطال الغيبة فلا يقدم علىٰ أهله ليلًا إلا أن يُعلمهم بوقت قدومه.

٢- من الحكمة في النهي عن ذلك قوله ﷺ: «كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ المغِيبَةُ»؛ أي: تتجمل المرأة لزوجها.

٣- إن مراعاة الآداب النبوية فيها كل الخير والمصلحة للمؤمنين، فانظر إلىٰ هذا الأدب النبوي كيف يزيد الألفة بين الزوجين، ويوثق المحبة بين القلبين؟!

(١٩٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر (٩/ ٣٤١).

استحباب ابتداء القادم بالمسجد وصلاته فيه ركعتين

عن كعب بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا قَدِمَ مِنْ سَفرٍ بَدأَ بالمَسْجِدِ فَركع فِيهِ رَكْعتَيْنِ (١٩٩).

معاني الكلمات:

ركع ركعتين؛ أي: صلىٰ ركعتين.

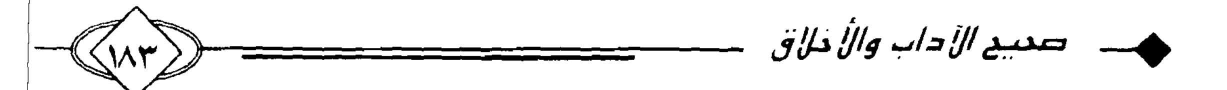
المعنى الإجمالي:

إذا قدم الإنسان من السفر فليبدأ قبل كل شيء بالمسجد، فقبل أن يدخل علىٰ أهله، يبدأ بالمسجد ويصلي فيه ركعتين؛ لأن النبي ﷺ سَنَّ ذلك لأمته في قوله وفعله، فكان ﷺ إذا قدم أول ما يبدأ به هو المسجد يصلي فيه ركعتين. ولما جاءه جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليأخذ ثمن جَمَله الذي باعه عليه قال له: «**أدخلت المسجد وصليت؟**» قال: لا، قال: «**ادخل المسجد وصلِّ ركعتين**» (٢٠٠)، وهذه السُّنة قد غفل عنها كثير من الناس؛ إما جهلًا بذلك وإما تهاونًا، ولكن ينبغي للإنسان أن يحيي هذه السُّنة، وإذا وصل إلىٰ البلد فليكن أول ما يبدأ به أن يدخل إلىٰ المسجد، ويصلي ركعتين ثم بعد ذلك يذهب إلىٰ أهله. والله الموفق.

---

(١٩٩) أخرجه البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٩).

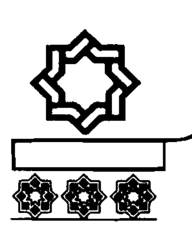
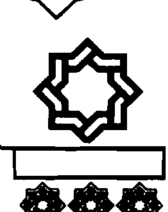
(٢٠٠) أخرجه البخاري (٣٠٨٧).



فوائد الحديث:

١- استحباب الصلاة في المسجد لمن رجع من سفر، وذلك قبل الرجوع لأهله.

❊ ❊ ❊

آداب السلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشي عَلَى القَاعِدِ، والقليلُ على الكَثِيرِ»[٢٠١].

وفي رواية البخاري: «والصغيرُ على الْكَبِيرِ»[٢٠٢].

المعنى الإجمالي:

ذكر بعض أهل العلم الحكمة من ابتداء هؤلاء المذكورين بالسلام، فقالوا: «سلام الصغير على الكبير: لِحَقِّ الكبير من التوقير والتكريم وهو الأدب الذي ينبغي سلوكه، وسلام الراكب على الماشي: حتى يحمل السلامُ الراكبَ على التواضع وعدم التكبر، وسلام الماشي على القاعد: لشبهه بالداخل على أهل المنزل، وسلام القليل على الكثير: لحق الكثير، فحقهم أعظم»[٢٠٣].

مسألة: هل يترتب على المخالفة حكمٌ، فيما لو سلَّم الكبير على الصغير، أو سلَّم الماشي على الراكب، أو سلَّم الكثير على القليل، أو سلَّم القاعد على الماشي؟

الجواب: لا يلحق المخالف في ذلك إثمٌ، ولكنه تاركٌ لِلأَوْلى.

قال المازري: «ولا يلزم من ترك المستحب الكراهة، بل يكون خلاف

---

(٢٠١) البخاري (٦٢٣١)، مسلم (٢١٦٠).

(٢٠٢) البخاري (٥٨٨٠).

(٢٠٣) فتح الباري (١١/ ١٩).

الأولىٰ، فلو ترك المأمور بالابتداء فبدأه الآخر كان المأمور تاركًا للمستحب والآخر فاعلًا للسُّنة، إلا إن بادرَ فيكون تاركًا للمستحب أيضًا(٢٠٤) .

ولكن إذا تقابل ماشيان أو راكبان، فمن يبدأ بالسلام؟

الجواب: يُستحب أن يبدأ أصغرهما للحديث السابق، فإن كانا في السِّنِّ سواء، واستويا من جميع الجهات، فخيرُهما الذي يبدأ بالسلام؛ لقوله ﷺ: «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»(٢٠٥) ، ولحديث جابر قال: (الماشيان إذا اجتمعا فأيهما بدأ بالسلام فهو أفضل)(٢٠٦) .

فوائد الحديث:

١- مِنْ هَدْي الإسلام مراعاة الأدب مع الناس وخفض الجناح للمؤمنين، فالراكب لأنه في حالة عُلو يسلم علىٰ الماشي، والماشي يسلم علىٰ القاعد.

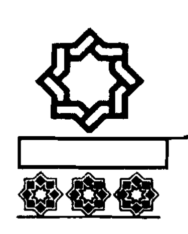
٢- احترام الصغير للكبير وتوقيره له، وبيان حق الكثير علىٰ القليل.

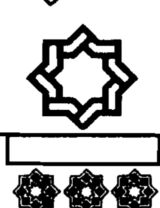
---

(٢٠٤) فتح الباري (١١/ ١٩).

(٢٠٥) رواه البخاري (٦٠٧٧).

(٢٠٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٩٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد.





صيغة السلام

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ - نَفَرٌ مِنَ المَلائكة جُلُوسٌ - فاسْتمعْ ما يُحَيُّونَكَ، فَإنَّها تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِك. فقال: السَّلام عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلام عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله، فَزادُوهُ: وَرَحْمَةُ الله»(٢٠٧).

معاني الكلمات:

نفر: من ثلاثة إلىٰ عشرة.

ذُرِّيَّتك: الذرية: النسل.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث دليل علىٰ:

١- أن هذه الخليقة البشرية كانت من العدم، وأنها لم تكن شيئًا مذكورًا من قَبْل، كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فهذه البشرية لم تكن شيئًا مذكورًا من قبل، فخلقها الله وأوجدها لحكمةٍ عظيمةٍ، ولهذا لما قالت الملائكة لله عَزَّ وَجَلَّ حين أخبرها أنه جاعلٌ في الأرض خليفة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] خلقَ الله هذه البشرية

(٢٠٧) البخاري (٦٢٢٧)، مسلم (٢٨٤١).

وجعل منهم الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين.

٢- أن الملائكة أجسام وليست أرواحًا بلا أجسام؛ لأنهم جلوس، والجالس يعني أنه جسم، وقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خُلق عليها له ستمائة جناح قد سدَّ الأفق(٢٠٨)، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]، فالملائكة أجسام، ولكن الله عز وجل حجبهم عنَّا، جعلهم عالَمًا غيبيًّا، كما أن الجن أجسام ولكن الله عز وجل حجبهم عنَّا، فجعلهم عالَمًا غيبيًّا، وقد تظهر الملائكة في صورة إنسان كما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ مرة بصورة «دِحيَة الكلبي»(٢٠٩)، ومرة بصورة رجل غريبٍ لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه الصحابة، وعليه ثياب بيض، شعره أسود، وجلس إلى النبي ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها(٢١٠).

فوائد الحديث:

١- أن السُّنة في السلام: «السلام عليك» إذا كان المُسَلَّم عليه واحدًا، وإذا كانوا جماعةً تقول: «السلام عليكم».

٢- أن السلام مُتَلَقَّن من الملائكة بأمر الله، حيث قال سبحانه وتعالى: «**إنها تحيتك وتحية ذريتك**».

٣- أن الأفضل في رد السلام أن يزيد الإنسان: «ورحمة الله»؛ لأن

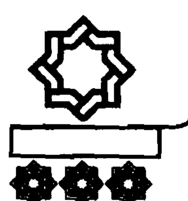
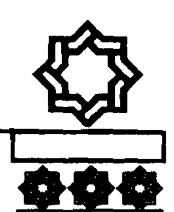
---

(٢٠٨) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٢٠٩) انظر البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١).

(٢١٠) انظر مسلم رقم (٨).

الملائكة زادوا، والله سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ فبدأ بالأحسن ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ إذا لم تردوا الأحسن.

كيفية السلام

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قالَ لي رسول الله ﷺ: «هذا جِبْريل يَقرأُ عَلَيْكِ السَّلام». قَالَت: قُلْتُ: وَعَليه السَّلام وَرَحْمَةُ الله وبَرَكَاتُهُ(٢١١).

المعنى الإجمالي:

ذكر النووي: في كتابه: «رياض الصالحين» باب كيفية السلام: يعني كيف يُسلِّم؟ ماذا يقول إذا سلَّم؟ وماذا يقول إذا ردَّ؟

وذكر: أنه يستحبُّ أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله، وإن كان المُسَلَّم عليه واحدًا، ثم استدل بحديث عِمران بن حصين رضي الله عنهما قال: جاءَ رجُل إلىٰ النبي ﷺ فقال: السَّلامُ عَلَيكُم، فَرَدَّ عَلَيهِ ثم جَلَسَ، فقال النبي ﷺ: **«عَشْرٌ»** ثم جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيكُم وَرَحْمَةُ الله، فَرَدَّ عليهِ فَجَلَسَ، فقال: **«عِشْرون»**، ثم جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيكُم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عليهِ فَجَلَسَ، فقال: **«ثَلاثُونَ»**. فقال للأول: عشر حسنات، والثاني: عشرون، وللثالث: ثلاثون، لأن كل واحدٍ منهم زاد(٢١٢).

وهذه مسألة اختلف فيها العلماء: هل إذا سلَّم علىٰ واحدٍ يقول: السلام عليك أم عليكم؟ والصحيح أن يقول: السلام عليك(٢١٣).

---

(٢١١) البخاري (٣٧٦٨)، مسلم (٢٤٤٧).

(٢١٢) أخرجه أبو داود (٥١٩٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢١٣) أخرجه البخاري (٦٢٥١)، ومسلم (٣٩٧).

هكذا ثبت عن النبي ﷺ كما في حديث المسيء في صلاته أنه قال: السلام عليك. وأما ما استدل به النووي من حديث عمران فليس فيه دلالة، لأن الرجل دخل مع النبي ﷺ ومعه جماعة فسلم على الجميع، فإذا كانوا جماعة فقل: السلام عليكم، وإذا كان واحدًا فقل: السلام عليك، وإن زدت: «ورحمة الله»؛ فهو خير، وإن زدت: «وبركاته»؛ فهو خير؛ لأن كل كلمة فيها عشر حسنات، وإن اقتصرت على: «السلام عليك» فهو كافٍ.

ويقول الرادُّ: «وعليكم السلام»، ثم إن كان المُسَلِّم لم يزد على قول: «السلام عليك»، كفى، وإن كان المُسَلِّم قد قال: «السلام عليك ورحمة الله»؛ فعلى الرادِّ أن يقول: «السلام عليك ورحمة الله»؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ يعني: ردوا مثلها، وقال: يستحب أن يقول: «وعليكم» بزيادة الواو، وهذا حسن؛ لأنه إذا قال: «وعليكم» صار واضحًا أنه معطوف على الجملة التي سلَّم بها المُسَلِّم، وإن حذفها فلا بأس؛ لأن إبراهيم عليه السلام لم يأتِ بالواو في رده السلام على الملائكة ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ [هود: ٦٩]، ولم يأت بالواو، فإن أتى بالواو فحسن، وإن تركها فلا بأس.

ثم إنه من السُّنة إذا نُقِل السلام من شخص إلى شخص أن يقول: عليه السلام، وإن قال: عليك وعليه السلام، أو عليه وعليك السلام، فحسنٌ؛ لأن هذا الذي نقل السلام محسنٌ، فتكافئه بالدعاء له، فإذا قال شخص لآخر: سلِّم لي على فلان، ثم نقل الوصية وقال: فلان يسلِّم عليك، فإنه يقول: عليه وعليك السلام، أو يقول: عليه السلام، ويقتصر؛ لأن النبي ﷺ بلَّغ عائشة أن جبريل يقرأ عليها السلام، فقالت: عليه السلام، فدل ذلك على أنه إذا نقل السلام إليك أحدٌ من شخص تقول: عليه السلام، ولكن هل يجب عليك أن تنقل الوصية إذا قال: سلِّم لي على فلان، أم لا يجب؟

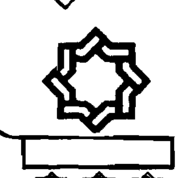
فصَّل العلماء فقالوا: إن التزمت له بذلك وجب عليك؛ لأن الله يقول: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ وأنت الآن تحمَّلت هذا، أما إذا قال: سلِّم لي علىٰ فلان وسكت، أو قلت له مثلًا: إذا ذكرت أو ما أشبه ذلك؛ فهذا لا يلزم إلا إذا ذكرت، وقد التزمت له أن تسلم عليه إذا ذكرت، لكن الأحسن ألا يكلف الإنسان أحدًا بهذا؛ لأنه ربما يشق عليه، ولكن يقول: سلم لي علىٰ من سأل عني، هذا طيب، أما أن يُحَمِّله فإن هذا لا ينفع؛ لأنه قد يستحي منك فيقول: نعم أنقل سلامك؛ ثم ينسىٰ أو تطول المدة أو ما أشبه ذلك.

فوائد الحديث:

١- من السُّنة إذا نُقِل السلام من شخص إلىٰ شخص أن يقول: عليه السلام.

٢- يجب عليك أن تنقل الوصية إذا قال: سلِّم لي علىٰ فلان. إن التزمت له بذلك.

٣- سلام الملائكة علىٰ صالحي البشر.

السلام على قوم بجانبهم قوم نيام

عن المقْدَاد رضي الله عنه قال: كُنَّا نَرْفَعُ للنبي ﷺ نَصِيبهُ مِنَ الَّلبَن، فَيَجِيء مِنَ اللَّيلِ، فَيُسَلِّمُ تسليمًا لا يوقظُ نَائِمًا وَيُسمِعُ اليَقْظانَ، فَجَاء النبي ﷺ فَسَلَّم كما كان يُسَلمُ(٢١٤).

المعنى الإجمالي:

كان النبي ﷺ يدخل البيت في الليل فيسلم سلامًا خفيفًا يسمعُه اليقظان ولا يوقظ النائم، وهكذا ينبغي للإنسان إذا دخل بيتًا أو حجرةً أو ما أشبه ذلك وفيها نيامٌ وأيقاظٌ؛ أن يسلم سلامًا يسمعه الأيقاظ ولا يوقظ النيام، لأن النائم لا يحب أن يوقظَه أحد، لاسيما أن بعض الناس إذا أوقظ ما يأتيه النوم بعد ذلك ويبقى أرقًا إلى الفجر، وهذا فيه أذى وفيه ضرر على الآخرين. فإذا دخلت مكانًا فيه أيقاظ ونيام؛ فأعط الأيقاظ حقهم في السلام، وامنع الأذى عن النيام بحيث يكون السلام خفيًّا يسمعه اليقظان ولا يسمعه النائم.

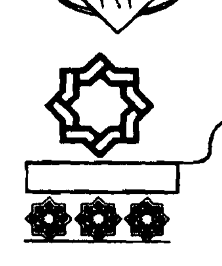
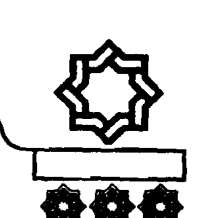
فوائد الحديث:

١- أن الإنسان إذا دخل بيتًا فيه قوم أيقاظ وآخرون نيام يسلم بصوت منخفض.

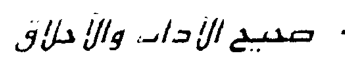
٢- مراعاة شعور الآخرين.

---

(٢١٤) أخرجه مسلم (٢٠٥٥).

سلام النبي ﷺ على النساء



عن أسماء بنتِ يزيد رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مَرَّ في المَسْجِد يوْمًا وَعصْبةٌ مِنَ النِّساء قُعودٌ، فألْوى بِيده بالتسليم[٢١٥].

و في رِواية: «فسلَّم علينا»[٢١٦].

معاني الكلمات:

العصبة: الجماعة من الناس.

ألوىٰ: أشار.

المعنى الإجمالي:

مرَّ النبي ﷺ علىٰ نساءٍ في المسجد فألوىٰ بيده إليهن بالتسليم، وهذا محمول علىٰ أنه جمع بين التسليم باليد - بالإشارة - وكذلك باللسان؛ لأن التسليم باليد فقط فقد نهىٰ عنه النبي ﷺ[٢١٧] وأما الجمع بينهما فلا بأس خصوصًا إذا كان الإنسان بعيدًا يحتاج إلىٰ أن ينظر لليد التي يشير بها المسلِّم، أو كان أصم لا يسمع، وما أشبه ذلك، فإنه يجمع بين السلام وبين الإشارة، وأما ما يفعله بعض الناس إذا مَرَّ وهو يركب سيارته؛ فإنه يضرب البوق، فإن هذا لا يكون سلامًا، وليس من السُّنة، اللهم إلا أن بعض الناس يقول: أنا لا

---

(٢١٥) أخرجه الترمذي(٢٦٩٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٣٣٦).

(٢١٦) أخرجه أبو داود (٥٢٠٤)، وصححه العلامة الالباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢١٧) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥).

أريد به السلام، لكن أريد أن ينتبه ثم أسلم عليه، هذا أرجو ألا يكون به بأس، وأما أن يجعله بدلًا عن السلام؛ فإن هذا - لا شك - خلاف السُّنة، فالسُّنة أن يُسلِّم الإنسان بلسانه - وإذا كان الصوت لا يُسمع - فإنه يشير بيده، حتىٰ ينتبه البعيد أو الأصم.

وفي الحديث سلام النبي ﷺ علىٰ النساء، وذلك لأن المحذور منتفٍ غايةَ الانتفاء، وإلا فإن الرجل الأجنبي الذي ليس مَحْرَمًا للمرأة لا يُسلِّم عليها، لما في ذلك من الفتنة، ولا سيما الشاب مع الشابة؛ فإنه لا يسلم الرجل علىٰ المرأة، ولا المرأة علىٰ الرجل، لكن إذا كان الرجل معروفًا بالصلاح، ومرَّ علىٰ نساء مجتمعات في المسجد، أو في درس، أو ما أشبه ذلك؛ فلا بأس أن يُسلِّم، لأن المحذور منتفٍ، والمسجد كلنا يدخل فيه ويخرج، لكن أن يمر الإنسان علىٰ المرأة الشابة في الشارع، أو السوق ويسلم عليها فهذا فتنة، فلا يسلم علىٰ المرأة، كذلك لو دخل بيته - وفيه نساء يزرن أهله - فلا بأس أن يسلم؛ لأن المحذور منتفٍ، وأما ما يخشىٰ منه الفتنة؛ فإن لدينا القاعدة الشرعية وهي: «درءُ المفاسد أولىٰ من جلب المصالح». ومن هنا نعلم أن مصافحة المرأة لا تجوز، لا الكبيرة ولا الصغيرة، لا من وراء حائل ولا مباشرة؛ لأن الفتنة قائمة. أما المَحْرَم فيجوز. والله أعلم.

فوائد الحديث:

١- يجوز للرجل إلقاء السلام علىٰ النساء إذا أمن الفتنة.

٢- للمُسلِّم أن يشير بيده مع إلقائه السلام تنبيهًا للمسلَّم عليه.

٣- عم جواز مصافحة المرأة الأجنبية.



سلام النبي ﷺ على الصبيان

عن أنس رضي الله عنه أَنَّهُ مَرَّ عَلى صِبْيان فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كانَ رسول الله ﷺ يَفْعلُهُ(٢١٨).

المعنى الإجمالي:

السلام على الصبيان؛ يعني الصغار من سن التمييز إلى سن الثانية عشرة ونحوها، وقد جرت عادة الكثير من الناس ألا يسلم على الصبيان استخفافًا بهم، ولكن هذا خلاف هدي النبي ﷺ حيث كان يسلم على الصغير والكبير، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم، وقال: إن النبي كان يفعله.

فوائد الحديث:

١- اتباع السنة - سنة النبي ﷺ - وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢- التواضع: حتى لا يُذَمَّ الإنسان بنفسه، ويشمخ بأنفه، ويعلو برأسه، وقد قال النبي ﷺ: **«ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عِزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه»**(٢١٩).

---

(٢١٨) البخاري (٦٢٤٧)، مسلم (٢١٦٨).

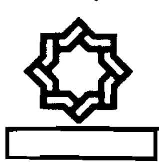
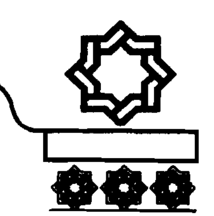
(٢١٩) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

٣- تعويد الصبيان لمحاسن الأخلاق: لأنَّ الصبيان إذا رأوا الرجل يَمرُّ بهم ويسلم عليهم تعوَّدوا ذلك، واعتادوا هذه السُّنة المباركة الطيبة.

٤- أن هذا يجلب المودة للصبي: بمعنىٰ أن الصبي يحب الذي يُسَلِّم عليه ويفرح لذلك، وربما لا ينساها أبدًا، لأن الصبيَّ لا ينسىٰ ما مر به.

فينبغي لنا إذا مررنا علىٰ صبيانٍ يلعبون في السوق، أو جالسين يبيعون شيئًا، أو ما أشبه ذلك؛ أن نُسلِّم عليهم لهذه الفوائد التي ذكرناها.

٥- اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ في كل شيء.

إعادة السلام على من تكرر لقاؤه

عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث المسيءِ صَلاته أنَّهُ جاء فَصَلَّى، ثُمَّ جاء إلى النبي ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام، فقال: «ارجع فَصَلِّ، فَإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ جاء فَسَلَّمَ عَلَى النبي ﷺ حَتَّى فَعَل ذلكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ(٢٢٠).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا لقيَ أَحَدكُمْ أخاه، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإنْ حالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أو جِدارٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْه»(٢٢١).

المعنى الإجمالي:

إذا سلَّم الإنسان على أخيه ثم خرج ورجع عن قربٍ أو عن بعد - من باب أولى - فإنه يُعيد السلام مثلًا - إنسان عنده ضيوف في البيت فدخل إلى البيت يأتي لهم بماءٍ أو طعامٍ أو نحو ذلك، فإنه إذا رجع يسلم، وهذه من نعمة الله أنه يُسَنُّ السلام وتكراره كلما غاب الإنسان عن أخيه، سواء غيبة طويلة أو قصيرة، فإن الله شرع لنا أن يُسلِّم بعضنا على بعض؛ لأن السلام عبادة وأجر كلما ازددنا منه ازددنا عبادةً لله، وازداد أجرنا وثوابنا عند الله، ولولا أن الله شرع هذا لكان تكرار السلام على هذا الوجه من البدعة، لكن من نعمة الله أنك إذا غبت عن أخيك ورجعت - ولو عن قرب - فإنك تسلم عليه، سواء حال بينكما شجرة أو حجر كبير بحيث تغيب عنه فإنك إذا لقيتَه سَلِّمْ عليه.

واستُدل على ذلك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الرجل الذي دخل

---

(٢٢٠) البخاري (٧٥٧)، مسلم (٣٩٧).

(٢٢١) أخرجه أبو داود (٥٢٠٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث(٦٣٨٩).

المسجد فصلىٰ صلاةً لا يطمئن فيها - ينقرها نقرًا - ثم جاء فسلم علىٰ النبي ﷺ فرد عليه السلام وقال: «**ارجع فصلِّ، فإنك لم تصلِّ**»، فرجع الرجل وصلىٰ لكن كصلاته الأولىٰ، بدون طُمأنينة، ثم رجع فسلم علىٰ النبي ﷺ فرد عليه السلام، وقال: «**ارجع فصل؛ فإنك لم تصل**» ثلاث مرات، والرجل يصلي صلاةً لا يعرف غيرها؛ لأنه جاهل، ثم قال: والذي بعثك بالحق، لا أُحسن غير هذا فعلِّمني. وهذا من حكمة الرسول ﷺ جعله يتردد، يصلي هذه الصلاة التي لا تجزئ من أجل أن يشتاق إلىٰ العلم ويتشوف إليه، فيَرِد العلم علىٰ قلبه، وهو منفتح له محتاج إليه. ومعروف أن الشيء إذا جاء علىٰ الحاجة يكون أَقْبَل للنفس، انظر الآن تعطي الفقير عشرة جنيهات، وهو محتاج، يفرح بها فرحًا شديدًا، ويكون لها منزلة، لكن لو أعطيتها غنيًّا لا تهمه.

الحاصل: أن النبي ﷺ ردَّ هذا الرجل من أجل أن يتشوق إلىٰ العلم ويُفتح قلبُه له فقال ﷺ: «**إذا قمت إلىٰ الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن - ولكن الفاتحة لابد منها لدلالة نصوص أخرىٰ عليها - ثم اركع حتىٰ تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتىٰ تطمئن قائمًا، ثم اسجد حتىٰ تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتىٰ تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتىٰ تطمئن ساجدًا -هذه ركعة تامة - ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**» علمه الرسول ﷺ فتعلم ومضىٰ.

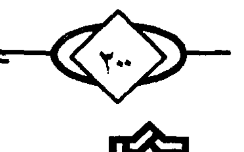
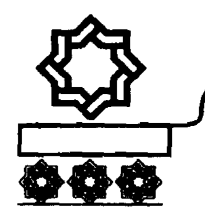
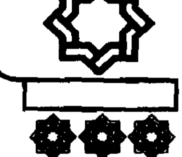
فاستدل بهذا الحديث علىٰ أن الإنسان إذا رجع إلىٰ أخيه ولو من قرب فَلْيُسَلِّم عليه؛ مثلًا أنت في المسجد ثم انصرفت لتجديد الوضوء، أو إحضار كتاب، أو ما أشبه ذلك، ثم رجعت فسلِّم، وهذا خيرٌ، فكل سلام بعشر حسنات.

فوائد الحديث:

١- الاهتمام بأمر الصلاة وإتمامها.

٢- مشروعية إعادة السلام أكثر من مرةٍ علىٰ شخصٍ واحدٍ لو حال بينكما حائل ولو عن قريب.

٣- سؤال الجاهل عمَّا لا يعلمه.

آداب المجالس

وعنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «ما جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لم يَذْكُرُوا الله تعالَى فيهِ ولَم يُصَلُّوا علَى نَبِيِّهِمْ فيهِ إلَّا كانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فإنْ شاءَ عَذَّبَهمْ وإنْ شاءَ غَفَرَ لَهُمْ»(٢٢٢).

المعنى الإجمالي:

للإنسان إذا جلس مجلسًا أن يغتنم ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ والصلاة علىٰ النبي ﷺ، حيث إنها تدل علىٰ أنه ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم؛ إلا كان عليهم من الله ترة، يعني قطيعة وخسارة إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم.

وإذا جالست الناس، واجتمعت بهم، فاجعل التواضع شعارك، وتقوىٰ الله دِثَارَك، والنصح للعباد طريقك المستمر.

فاحرص علىٰ أن كل مجلس جلست معهم فيه يحتوي علىٰ خير، إما بحث علمي، أو نصح ديني، أو توجيه إلىٰ مصلحة عامة أو خاصة، أو تذكير بنعم الله، أو تذكير بفضائل الأخلاق الحميدة، والآداب الحسنة، أو تحذير من شر ديني أو دنيوي. وأقل ذلك أن تغتنم إشغالهم بالمباحات عن المحرمات. وحَسِّن خُلقك مع الصغير، والكبير، والنظير، وعامل كلاً منهم بما يليق به، ووقِّر من يستحق التوقير والإجلال. واحرص علىٰ تأنيس جليسك بالكلام

(٢٢٢) رواه الترمذي(٣٣٨٠) وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث(٢٦٩١).

المناسب الطيب ولو كان متعلقاً بالدنيا، فإن الكلام المباح والاجتماع المباح إذا أثمر تأنيس المُجَالَس، وَبَسْط المُحَادَث، وأثمر راحة القلب عاد محموداً، والعاقل الحازم يدرك بمجالسة الناس خيراً كثيراً، ويكون أحب إليهم من كل محبوب؛ لأنه يدخل عليهم من الأبواب التي يعرفون، والأحاديث التي يرغبونها، والأصل في ذلك كله توفيق من أزِمَّة الأمور كلها بيديه[illegible].

[illegible]

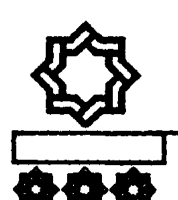
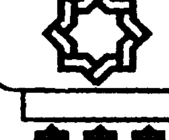
١- اغتنام المجالس بذكر الله عَزَّوَجَلَّ والصلاة على النبي [illegible].

٢- اغتنام المجالس ببحث علمي، أو نصح ديني، أو توجيه إلى مصلحة عامة أو خاصة، أو تذكير بنعم الله،

٣- اغتنام المجالس بتذكير الناس بفضائل الأخلاق الحميدة، والآداب الحسنة، أو تحذير من شر ديني أو دنيوي. وأقل ذلك أن تغتنم إشغالهم بالمباحات عن المحرمات.

[illegible] كتاب: نور البصائرِ والألبابِ (ص ٧٢)، للعلامة عبد الرحمن السعدي.



كفارة المجالس

وعنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ: قلَّما كانَ رَسُولُ الله ﷺ يقومُ مِن مَجْلِسٍ حتَّى يَدعُوَ بهؤلاءِ الدَّعَواتِ: «اللَّهمَّ اقْسِمْ لنَا مِن خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعاصِيكَ، ومِن طَاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، ومن اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهمَّ مَتِّعْنَا بأَسْمَاعِنَا وأَبْصارِنَا وقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، واجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، واجْعَلْ ثَأْرَنَا على من ظَلَمَنَا، وانْصُرْنَا على مَن عَادَانا، ولا تَجْعَلِ مُصِيبَتَنَا في دِينِنَا، ولا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا، ولا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَن لا يَرْحَمُنَا»[٢٢٤].

عنْ أَبِي بَرْزَةَ رضي الله عنه قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أرادَ أنْ يَقومَ من المَجْلِسِ: «سُبحانكَ اللَّهمَّ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا أنتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ» فقالَ رجلٌ: يَا رسولَ اللهِ إِنَّكَ لَتَقُولُ قَولًا ما كُنْتَ تَقُولُهُ فيمَا مضَى؟ قالَ: «ذلكَ كَفَّارةٌ لمَا يَكُونُ في المَجْلِسِ»[٢٢٥].

المعنى الإجمالي:

كان النبي ﷺ قلما يقوم من مجلس إلا ويقول: **«اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك»** اقسم: بمعنى قدِّر، والخشية: هي الخوف المقرون بالعلم، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

---

(٢٢٤) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، وانظر صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٢٢٥) أخرجه أبو داود (٤٨٥٩)، صححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث(٤٠٦٨).

ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

والإنسان إذا جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه، فإنه يكفره أن يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**» قبل أن يقوم من مجلسه، فإذا قال ذلك؛ فإن هذا يمحو ما كان منه من لغط، وعليه فيستحب أن يُختم المجلس الذي كثر فيه اللغط بهذا الدعاء: «**سبحانك اللهم وبحمد، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**».

وقوله: «**ما تحول به بيننا وبين معصيتك**»؛ لأن الإنسان كلما خشي الله عَزَّوَجَلَّ، منعته خشيته من الله أن ينتهك محارم الله، ولهذا قال: «**ما تحول به بيننا وبين معصيتك**».

ثم قال: «**ومن طاعتك**» يعني: واقسم لنا من طاعتك «**ما تبلغنا به جنتك**» فإن الجنة طريقها طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا وفق العبد لخشية الله واجتناب محارمه والقيام بطاعته نجا من النار بخوفه ودخل الجنة بطاعته. «**ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا**». واليقين: هو أعلىٰ درجات الإيمان، لأنه إيمان لا شك معه ولا تردد، تتيقن ما غاب عنك كما تشاهد ما حضر بين يديك. فإذا كان عند الإنسان يقين تام بما أخبر الله تعالىٰ به من أمور الغيب، فيما يتعلق بالله عَزَّوَجَلَّ، أو بأسمائه، أو صفاته، أو اليوم الآخر، أو غير ذلك، وصار ما أخبر الله به من الغيب عنده بمنزلة المشاهد؛ فهذا هو كمال اليقين.

وقول: «**ما تهون به علينا مصائب الدنيا**» لأن الدنيا فيها مصائب كثيرة، لكن هذه المصائب إذا كان عند الإنسان يقين أنه يكفر بها من سيئاته، ويرفع بها من درجاته، إذا صبر واحتسب الأجر من الله؛ هانت عليه المصائب، وسهلت عليه المحن مهما عظمت، سواء كانت في بدنه، أو في أهله، أو في ماله، ما دام عنده اليقين التام؛ فإنها تهون عليه المصائب. «**ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا**

ما أحييتنا» تسأل الله تعالىٰ أن يمتعك بهذه الحواس: السمع والبصر والقوة ما دمت حيًّا؛ لأن الإنسان إذا متع بهذه الحواس حصل علىٰ خير كثير، وإذا افتقد هذه الحواس فاته خير كثير، لكن لا يلام عليه إذا كان لا يقدر عليها. **«واجعله الوارث منا»** يعني اجعل تمتعنا بهذه الأمور السمع، والبصر، والقوة الوارث منَّا، يعني اجعله يمتد إلىٰ آخر حياتنا حتىٰ يبقىٰ بعدنا ويكون كالوارث لنا، وهو كناية عن استمرار هذه القوات إلىٰ الموت. **«واجعل ثأرنا علىٰ من ظلمنا»** يعني اجعلنا نستأثر، ويكون لنا الأثرة علىٰ من ظلمنا، بحيث تقتص لنا منه، إما بأشياء تصيبه في الدنيا أو في الآخرة، ولا حرج علىٰ الإنسان أن يدعو علىٰ ظالمه بقدر ظلمه، وإذا دعا علىٰ ظالم بقدر ما ظلمه فهذا إنصاف، والله سبحانه وتعالىٰ يستجيب دعوة المظلوم.

«وانصرنا علىٰ من عادانا» وأكبر عدو لنا من عادانا في دين الله، من اليهود والنصارىٰ المشركين البوذيين والملحدين والمنافقين وغيرهم. هؤلاء هم أعدؤنا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿[illegible]﴾ [الممتحنة:١] وقال الله في المنافقين: ﴿[illegible]﴾ [المنافقون:٤]. فتسأل الله تعالىٰ أن ينصرك علىٰ من عاداك، وينصرك علىٰ اليهود والنصارىٰ والمشركين والبوذيين وجميع أصناف الكفر، والله سبحانه وتعالىٰ هو الناصر ﴿[illegible]﴾ [آل عمران:١٥٠].

«ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا» المصائب في الحقيقة تكون في مال الإنسان؛ بأن يحترق ماله، أو يسرق، أو يتلف، فهذه مصيبة. وتكون أيضًا في أهل الإنسان، فيمرض أهله، أو يموتون، وتكون في العقل: بأن يصاب هو أو أهله بالجنون، نسأل الله العافية. وتكون في كل ما من شأنه أن يصاب به الإنسان. لكن أعظم مصيبة هي مصيبة الدين –

نسأل الله أن يثبتنا علىٰ دينه الحق - فإذا أصيب الإنسان بدينه والعياذ بالله، فهذه أعظم مصيبة.

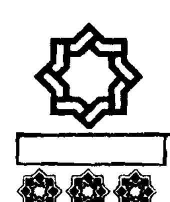
«**ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا**» بذنوبنا «**من لا يرحمنا**» فلا تجعل الدنيا أكبر همنا، بل اجعل الآخرة أكبر همنا، ولا ننسىٰ نصيبنا من الدنيا، فلابد للإنسان من الدنيا، لكن لا تكون الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه، بل يسأل الله أن يجعل مبلغ علمه علم الآخرة، أما علم الدنيا وما يتعلق بها فهذه مهما كانت فإنها ستزول، يعني لو كان الإنسان عالمًا في الطب، عالمًا في الفلك، عالمًا في الجغرافيا، عالمًا في أي شيء من علوم الدنيا؛ فهي علوم تزول وتفنىٰ، فالكلام علىٰ علم الشرع؛ علم الآخرة، فهذا هو المهم.

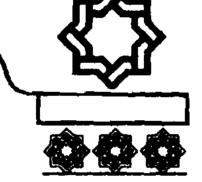
«**ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**» لا تسلط علينا أحدًا من خلقك لا يرحمنا، يعني وكذلك من يرحمنا، لا تسلط علينا أحدًا، لكن الذي يرحمك لا ينالك منه السوء، أما الذي ينالك منه السوء هو أن يسلط الله عليك من لا يرحمك، نسأل الله ألا يسلط علينا من لا يرحمنا.

فوائد الحديث

١- إذا جلس مجلسًا الإنسان فكثر فيه لغطه، فإنه يكفره أن يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**».







حق المجالس

عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا من مَجْلِسِهِ ثمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، ولكنْ تَوَسَّعُوا وتَفَسَّحُوا». وكانَ ابنُ عمرَ إذَا قامَ لَهُ رَجُلٌ مِن مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فيه (٢٢٦).

عنْ أبِي هريرةَ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذَا قامَ أَحَدُكُم مِن مَجْلِسٍ ثمَّ رجَع إلَيْهِ فهُوَ أَحَقُّ بِهِ» (٢٢٧).

المعنى الإجمالي:

إذا دخلت مكانًا ووجدت المكان ممتلئًا، فلا تقل: يا فلان قم ثم تجلس في مكانه، ولكن إذا كنت لابد أن تجلس، فقل: تفسَّحوا توسَّعوا، فإذا تفسحوا وتوسعوا؛ فإن الله تعالىٰ يوسع لهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾.

أما أن تقيم الرجل وتجلس مكانه فإن هذا لا يجوز، حتىٰ في مجالس الصلاة؛ لو رأيت إنسانًا في الصف الأول فإنه لا يحل لك أن تقول له: قمْ، ثم تجلس في مكانه، حتىٰ لو كان صبيًّا لكنه يصلي، فإنه لا يحل لك أن تقيمه من مكانه وتصلي فيه؛ لأن الحديث عام، والصبي لابد أن يصلي مع الناس، ويكون في مكانه الذي يكون فيه.

---

(٢٢٦) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧).

(٢٢٧) أخرجه مسلم (٢١٧٩).

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من ورعه إذا قام أحد له وقال له: اجلس في مكاني. لا يجلس فيه، كل هذا من الورع، يخشىٰ أن هذا الذي قام قام خجلًا وحياءً من ابن عمر، ومعلوم أن الذي يهدي إليك أو يعطيك شيئًا خجلًا وحياءً أنك لا تقبل منه؛ لأن هذا كالمكره، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يحرم قبول الهدية إذا علمت أنه أهداك حياءً أو خجلًا.

هذه من آداب الجلوس التي شرعها النبي ﷺ لأمته؛ ألا يقيم الرجل أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه.

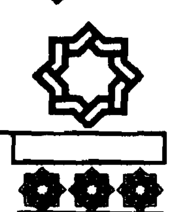
فوائد الحديث:

١- إظهار السُّنَّة النبوية في التوسع في المجلس، فالالتزام بهذا الأدب يجعل قلوب أهل الإيمان متحابَّة متماسكة.

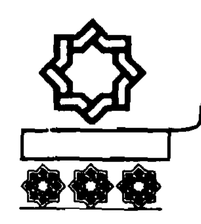
٢- إذا قام صاحب المجلس لحاجة ثم عاد، فهو أولىٰ بمجلسه من غيره.

٣- حرص الإسلام علىٰ إعطاء كل ذي حقٍّ حقه.





استحباب السلام إذا قام عن المجلس



عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُم إلى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ؛ فَليسْت الأُولى بأَحَقَّ من الآخِرَة»[٢٠٨].

معاني الكلمات:

انتهىٰ إلىٰ المجلس: أي دخل فيه.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث أنَّ الرجل إذا دخل علىٰ المجلس فإنه يُسلِّم، فإذا أراد أن ينصرف وقام وفارق المجلس فإنه يسلم؛ لأنَّ النبي ﷺ أمر بذلك، وقال: «**ليست الأولىٰ بأحق من الثانية**»؛ يعني: كما أنك إذا دخلت تُسلِّم كذلك إذا فارقت فسلم، ولهذا إذا دخل الإنسان المسجد سلم علىٰ النبي ﷺ، وإذا خرج سلم عليه أيضًا، وإذا دخل مكة لعمرة أو حج بدأ بالطواف، وإذا فارق مكة وخرج ختم بالطواف؛ لأن الطواف تحية مكة لمن دخل بحج أو عمرة، وكذلك وداع مكة لمن أتىٰ بحج أو عمرة ثم سافر، وهذا من كمال الشريعة أنها جعلت المبتدئ والمنتهي علىٰ حدٍّ سواء في مثل هذه الأمور، والشريعة - كما نعلم جميعًا - من لدن حكيم خبير كما قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ

(٢٠٨) أخرجه أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦)، صححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث (٤٠٠).

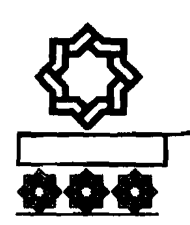
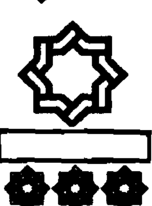
﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] **فتجدها كلَّها متناسقة متصاحبة ليس فيها تناقض ولا تفريط حتىٰ إن الرسول ﷺ نهىٰ أن يمشي الرجل بنعل واحدة - ولو لإصلاح الأخرىٰ - لماذا؟ لأنك إذا خصصت إحدىٰ قدميك بالنعل؛ صار ذلك** جورًا وعدم عدل، فهكذا نرىٰ أن الشريعة الإسلامية جاءت بالعدل في كل **شيء** ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ **[النحل: ٩٠] والله الموفق.**

فوائد الحديث:

١- وجوب السلام عند دخول المجلس.

٢- وجوب السلام عند الخروج من المجلس.



آداب الكلام

عَنْ عدِيِّ بن حَاتِمٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» (٢٢٩).

معاني الكلمات:

اتقوا النار: اجعلوا بينكم وبينها وقاية وحاجزًا.

شق تمرة: نصف تمرة.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث في بيان شيء من طرق الخيرات؛ لأن طرق الخيرات- ولله الحمد - كثيرة، شرعها الله لعباده ليَصِلوا بها إلىٰ غاية المقاصد، فمن ذلك الصدقة، فإن الصدقة كما صح عن النبي ﷺ: «**تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**» (٢٣٠) يعني كما لو أنك صببت ماءً علىٰ النار انطفأت، فكذلك الصدقة تطفئ الخطيئة.

وفي هذا دليل علىٰ أن الصدقة ولو قَلَّت فإنَّها تُنجي من النار؛ لقوله: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» قال: «**فإن لم يجد فبكلمة طيبة**»؛ يعني: إن لم يجد شق تمرة فليتق النار بكلمة طيبة. والكلمة الطيبة تشمل قراءة القرآن، فإن أطيب الكلمات القرآن الكريم، وكذلك تشمل التسبيح والتهليل، وكذلك تشمل

(٢٢٩) البخاري (٦٥٣٩)، مسلم (١٠١٦).

(٢٣٠) أخرجه الترمذي (٦١٤).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشمل تعليم العلم وتعلم العلم، وتشمل كذلك كل ما يَتقرَّب به الإنسان إلىٰ ربِّه من القول؛ يعني: إذا لم تجد شقَّ تمرةٍ؛ فإنك تتقي النار ولو بكلمة طيبة.

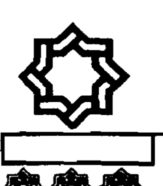
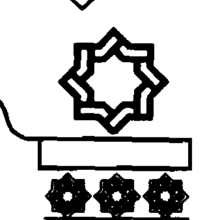
فهذا من طرق الخير وبيان كثرتها ويُسرها، فالحمد لله أن شِقَّ التمرة تنجي من النار، وأن الكلمة الطيبة تنجي من النار. نسأل الله أن ينجينا وإياكم من النار.

فوائد الحديث:

١- أن الصدقة ولو قلَّتْ فإنَّها تنجي من النار.

٢- أن الكلمة الطيبة تنجي من النار.

٣- سعة رحمة الله بعباده ومزيد فضله عليهم.

استحباب بيان الكلام للمخاطب وتكريره ليفهم

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كانَ إذا تَكَلَّم بِكلِمَةٍ أعَادها ثَلاثًا حَتَّى تُفْهَم عَنهُ، وإذا أتَى عَلى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ علَيْهِمْ ثَلاثًا (٢٣١).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان كلامُ رسولِ اللهِ ﷺ كلامًا فَصْلًا، يفْهَمُهُ كُلُّ مَن يَسْمَعُهُ (٢٣٢).

معاني الكلمات

فَصْلًا: واضحًا.

المعنى الإجمالي

ينبغي للإنسان إذا تكلم مع الناس أن يكلمهم بكلامٍ بيِّن، لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئًا في شيءٍ يكون حقه الإظهار، بل يكون كلامه فصلًا بينًا واضحًا حتىٰ يفهم المخاطب عنه بدون مشقةٍ، وبدون كلفةٍ.

فبعض الناس تجده يُسرع في الكلام، حتىٰ إن الإنسان يحتاج إلىٰ أن يقول له: ماذا تقول؟ فهذا خلاف السُّنة، فالسُّنَّة أن يكون الكلام بينًا واضحًا يفهمه المخاطب، وليس من الواجب أن يكون خطابك باللغة الفصحىٰ.

فعليك أن تخاطب الناس بلسانهم، وليكن كلامك بينًا واضحًا، كما في

(٢٣١) أخرجه البخاري (٩٥).

(٢٣٢) أخرجه أبو داود (٤٨٣٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث (٤٠٥١).

حديث أنس بن مالك ت أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاثًا حتىٰ تُفهم عنه.

فقوله: «حتىٰ تُفهم عنه» يدلُّ علىٰ أنها إذا فُهمت بدون تكرارٍ فإنه لا يكررها، وهذا هو الواقع، فإنَّ الرسول ﷺ نسمع عنه أحاديث كثيرةً يقولها في خطبه وفي المجتمعات، ولا يكرر ذلك.

لكن إذا لم يفهم الإنسان؛ بأن كان لا يعرف المعنىٰ جيدًا فكررْ عليه حتىٰ يفهم، أو كان سمعه ثقيلًا لا يسمع، أو كان هناك ضجة حوله لا يسمع، فهنا يستحب أن تكرر حتىٰ يفهم عنك.

وكان ﷺ إذا سلم علىٰ قوم «سلم عليهم ثلاثًا» معناه: أنه كان لا يكرر أكثر من ثلاث؛ يسلم مرة، فإذا لم يُجَبْ سلم الثانية، فإذا لم يُجَبْ سلم الثالثة، فإذا لم يُجَبْ تركه.

وكذلك في الاستئذان كان ﷺ يستئذن ثلاثًا؛ يعني: إذا جاء لإنسانٍ يستئذن في الدخول علىٰ بيته، يدق عليه الباب ثلاث مرات، فإذا لم يُجِب انصرف، فهذه سُنَّته ﷺ أن يُكرِّر الأمور ثلاثًا، ثم ينتهي.

وهل مثل ذلك إذا دق جرس الهاتف ثلاث مراتٍ؟ يحتمل أن يكون من هذا الباب، وأنك إذا اتصلت بإنسانٍ ودق الجرس ثلاث مراتٍ وأنت تسمعه وهو لم يجبك، فأنت في حلٍّ إذا وضعت سماعة الهاتف.

ويحتمل أن يقال: إنَّ الهاتف له حكمٌ آخر، وأنَّك تبقىٰ حتىٰ تيأس من أهل البيت؛ لأنَّهم ربما لا يكونون حول الهاتف عند اتِّصالك، فرُبما يكونون في طرف المكان ويحتاجون إلىٰ خطواتٍ كثيرةٍ حتىٰ يصلوا إلىٰ الهاتف، فلذلك قلنا باحتمال الأمرين.

ثم ذكر النووي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان كلامه «فصلًا»؛

يعني: مفصلًا، لا يُدْخِل الحروف بعضها في بعضٍ، ولا الكلمات بعضها في بعضٍ، حتىٰ لو شاء العادُّ أن يحصيه لأحصاه من شدة تأنِّيه ﷺ في الكلام.

وهكذا ينبغي للإنسان أن لا يكون كلامه متداخلًا بحيث يخفىٰ علىٰ السامع؛ لأنَّ المقصود من الكلام هو إفهام المخاطب، وكلما كان أقرب إلىٰ الإفهام كان أولىٰ وأحسن.

ثمَّ إنَه ينبغي للإنسان إذا استعمل هذه الطريقة - يعني: إذا جعل كلامه فصلًا بينًا واضحًا، وكرره ثلاث مراتٍ لمن لم يفهم - أن يستشعر في هذا أنه متَّبِعٌ لرسول الله ﷺ حتىٰ يحصل له بذلك الأجر وإفهام أخيه المسلم. .

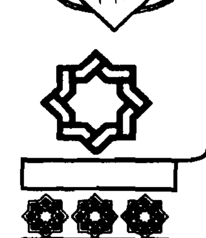
وهكذا جميع السنن، ليكنْ في ذهنك أنك متبع فيها لرسول الله ﷺ حتىٰ يتحقق لك الاتباع.

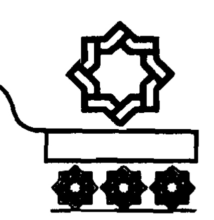
فوائد الحديث:

١- استحباب تكرار الكلام ووضوحه.

٢- الاستئذان يكون ثلاث مراتٍ.







آداب حضور المساجد

عَنْ أنسٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: «البُصَاقُ في الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا»(٢٣٣).

وعَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها أنَّ رسُولَ الله ﷺ رَأى في جِدَارِ الْقِبْلَةِ مُخَاطًا، أوْ بُزَاقًا، أوْ نُخَامةً؛ فَحكَّه(٢٣٤).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ هذِهِ المسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشيءٍ مِنْ هذا الْبوْلِ ولا القَذَرِ، إنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله تَعَالى وقَراءَةِ الْقُرْآنِ» أوْ كَمَا قالَ رسُولُ الله ﷺ(٢٣٥).

معانى الكلمات:

النخامة: ما يلفظه الإنسان من البلغم.

المعنى الإجمالي:

يُبيِّن النبي ﷺ وجوب تنزيه المساجد عن الأذىٰ والقذر والنخامة والبصاق، وما أشبه ذلك.

أما حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «البصاق في المسجد خطيئة»؛ يعني: إثمًا، «وكفارتها دفنها»؛ يعني: إذا وقعت من الإنسان فإنه يدفنها، ففي قوله ﷺ:

---

(٢٣٣) البخاري (٤١٥)، مسلم (٥٥٢).
(٢٣٤) البخاري (٤٠٧)، مسلم (٥٤٩).
(٢٣٥) أخرجه مسلم (٢٨٥).

«البصاق في المسجد خطيئة» دليل علىٰ تحريم البصاق في المسجد، أن يبصق الإنسان نخامةً، أو أن يتنخم في المسجد، وما أشبه ذلك. فهو خطيئةٌ بسببين:

السبب الأول: أنه إيذاء للمصلِّين؛ قد يسجد المصلي عليه وهو لا يشعر به، وقد يتقزَّز إذا رآه وتشمئز نفسه لذلك فيتأذىٰ بهذا.

والسبب الثاني: أن فيه إهانةً لبيوت الله عَزَّوَجَلَّ الذي أمر تعالىٰ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، فلا يجوز للإنسان أن يبصق في المسجد، لكن لو فرض أنه فعل فكفارتها دفنها إن كانت في الأرض، وكفارتها حكُّها إن كانت علىٰ الجدار ونحوه، لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ رأىٰ نخامةً أو بصاقًا أو بزاقًا في قبة المسجد فحكه، فصارت كفارة ذلك إن كانت علىٰ الأرض؛ ففي دفنها، إن كانت علىٰ الجدار فحَكُّها حتىٰ تزول.

أما مساجدنا الآن فكما ترون مفروشة، فكفارة ذلك أن يمسحها بمنديل حتىٰ تزول، لكننا نقول أصلًا: لا يحل لك أن تتنخم في المسجد، لكن إن وقع فهذا كفارته.

ثم ذكر حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي رأىٰ البصاق فحكه - فدل ذلك علىٰ أن الإنسان إن رأىٰ أذًىٰ أو قذرًا في المسجد فإنه يزيله.

أما حديث أنس الثاني: فهو في قصة الأعرابي الذي جاء إلىٰ المسجد فبال في جهةٍ منه جاهلًا؛ لأن الأعراب لا يعرفون – غالبهم - فزجره الناس، فنهاهم النبي ﷺ عن زجره، فلما قضىٰ بوله قال ﷺ للصحابة: أريقوا علىٰ بوله سجلًا من ماء، ثم دعا الأعرابي، وقال: **«إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذىٰ والقذر؛ إنما هي للصلاة والقرآن والذكر»** فبين الرسول ﷺ أن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذىٰ والقذر.

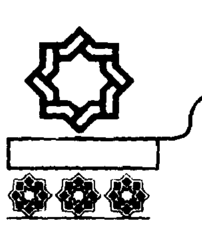
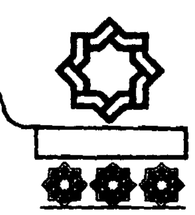
فعلىٰ المؤمن أن يحترم بيوت الله فلا يلقي فيها الأذىٰ ولا القذر، ولا يرفع

الصوت فيها، وإنما يكون متأدبًا؛ لأن المساجد بيوت الله، ومأوى الملائكة، والله الموفق.

فوائد الحديث:

١- وجوب تنزيه المساجد عن الأقذار.

٢- بيان تواضع النبي ﷺ.

نهي من أكل ثومًا أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا»(٢٣٦).

وفي رواية لمُسْلِمٍ: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّوم، وَالْكُرَّاث، فَلا يَقْرَبَنَّ مسْجِدَنَا، فَإِنَّ المَلائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يتأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدمَ».

المعنى الإجمالي:

كان النبي ﷺ إذا دخل أحد المسجد وقد أكل البصل أو الثوم أمر به فأخرج إلىٰ البقيع، والبقيع قريبٌ من المسجد كما هو معروفٌ، قريبٌ من المسجد النبوي؛ ولكن يبعده إلىٰ البقيع تعزيرًا له، وإلا فيكفي أن يخرجه من باب المسجد، لكن من أجل التعزير كان يخرجه إلىٰ هذا المكان الذي هو بعيدٌ نوعًا ما. ولكن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: من أكلهما - يعني مَنْ أراد أن يأكلهما - فليمتهما طبخًا - يعني فليطبخهما - فإنه إذا طبخهما راحت الرائحة وحصلت الفائدة.

ويُستفاد من هذا الحديث: أن البصل والثوم ليسا حرامًا، يجوز للإنسان أن يأكلهما، لكن إذا أكلهما فلا يدخل المسجد، ولا يصلي مع جماعة، ولا يحضر درس علم؛ لأن الملائكة تتأذىٰ منه برائحته الخبيثة.

---

(٢٣٦) البخاري (٨٥٤)، مسلم (٥٦٤).

وكذلك قال العلماء: مَنْ كان به رائحة أسنان، أو بخر في الفم، أو رائحة كريهة، أو ما أشبه ذلك؛ فإنه لا يَقْرب المسجد حتىٰ يزيل هذه الرائحة؛ لأن العلة قائمة وهي تأذي الملائكة بالروائح الكريهة.

فإن قال قائل: لو أن الإنسان استعمل شيئًا تذهب به الرائحة، فهل يجوز أن يدخل؟

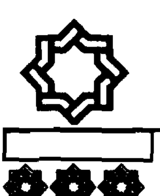
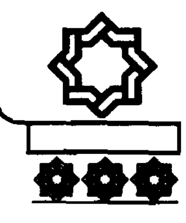
نقول: نعم، يجوز إذا أكل ما يذهب الرائحة إذهابًا كاملًا، وصار لا يخرج من المعدة رائحة، فلا بأس؛ لأن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، فإن قال إنسان: هل يجوز للإنسان أن يأكلهما لئلا يحضر المسجد؟ قلنا: حرام، لا يجوز للإنسان أن يتوصل إلىٰ إسقاط الفرض بأي سببٍ كان، لكن لو أكلهما لأنه يشتهيهما، فإننا نقول: الأكل مباح، ولكن لا تقرب المسجد حتىٰ تزول رائحتهما. والله الموفق.

فوائد الحديث:

يجب علىٰ من أكل الثوم أو البصل ألا يذهب للمسجد إلا بعد إزالة رائحتهما من فمه.

الملائكة تتأذىٰ مما يتأذىٰ منه البشر.

وجوب مراعاة مشاعر الآخرين.

آداب زيارة المريض

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبيَّ ﷺ كَانَ يعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بيدِهِ اليُمْنى ويقولُ: «اللَّهُمَّ ربَّ النَّاسِ، أَذْهِب الْبَأسَ، واشْفِ أَنْتَ الشَّافي لا شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفاءً لا يُغَادِرُ سقَمًا»(٢٣٧).

المعنى الإجمالي:

كان النبيَّ ﷺ إذا عاد بعض أهله يقول: «**اللهم ربَّ الناس، أذْهبِ البأس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**» ويمسح بيده اليمنىٰ؛ أي: يمسح المريض، ويقرأ عليه هذا الدعاء: «**اللهم رب الناس**» فيتوسل إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ بربوبيته العامة، فهو الرب سبحانه وتعالىٰ الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، فأنت - أيها المريض - تقول: خلقني الله عَزَّ وَجَلَّ ولا بأس ثم قدَّر عليَّ المرض، والذي قدَّر عليَّ المرض بعد الصحة قادر علىٰ أن يشفيني.

«**أذهب البأس**»؛ يعني: المرض الذي حلَّ بهذا المريض.

«**اشف أنت الشافي**» والشفاء: إزالة المرض وبُرْء المريض، فيقال: اشفِ، ولا يقال: أَشفِ؛ لأن الثانية - أشف - بمعنىٰ **أَهْلِك**، وأما الأولىٰ - اشف - فمعناها البرء من السقم؛ ولهذا يقال: (**اللهم اشف فلانًا ولا تُشفِه**) فالكلمتان - عند العامة - يُظن أن معناهما واحد، ولكن بينهما هذا الفرق العظيم: اشفه أي: أبرئه من المرض، أما أَشفه: أهلكه.

---

(٢٣٧) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

«**الشافي**»: هو الله عَزَّوَجَلَّ لأنه الذي يَشْفي المرض، وما يصنع من الأدوية أو يُقرأ من الرُّقىٰ، فما هو إلا سببٌ قد ينفع وقد لا ينفع، فالله هو المسبِّب عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا ربما يمرض رجلان بمرضٍ واحدٍ، ويداويان بدواءٍ واحدٍ، وعلىٰ (وصفةٍ) واحدة فيموت هذا، ويشفىٰ ذاك؛ لأن الأمر كله بيد الله عَزَّوَجَلَّ فهو الشافي، وما يُصنَع من أدوية أو رُقَىٰ فهو سبب، ونحن مأمورون بذلك السبب كما قال النبي ﷺ: «**تداووا، ولا تتداووا بحرام**»(٢٣٨)، وقال: «**ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء**»(٢٣٩).

وقوله: «**لا شفاء إلا شفاؤك**» صدق رسول الله ﷺ فلا شفاء إلا شفاء الله، فشفاء الله لا شفاء غيره، وشفاء المخلوقين ليس إلا سببًا، والشافي هو الله، فليس الطبيب وليس الدواء هما اللذان يشفيان، بل الطبيب سبب، والدواء سبب، وإنما الشافي هو الله.

وقوله: «**شفاء لا يغادر سقمًا**»؛ يعني: شفاء كاملًا لا يُبْقي سقمًا؛ أي: لا يُبْقي مرضًا.

فوائد الحديث:

١- ينبغي للإنسان إذا عاد المريض أن يمسحه بيده اليمنىٰ، ويقول هذا الدعاء.

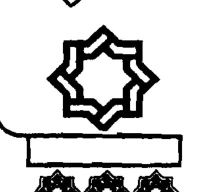
٢- لا يَشْفي أحدًا إلا الله.

---

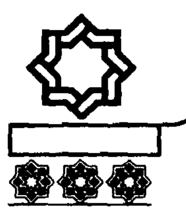
(٢٣٨) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤).

(٢٣٩) أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٨).





استحباب تبشير المريض



عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَل على أَعْرابيٍّ يَعُودُهُ، وَكانَ إذا دَخَلَ عَلى مَنْ يَعُودُهُ قال: «لا بَأْس، طَهُورٌ إن شَاء الله»(٢٤٠).

معاني الكلمات:

لا بأس: لا شدة عليك.

المعنى الإجمالي:

كان النبي ﷺ دخل علىٰ أعرابي يعوده، وكان إذا دخل علىٰ مريض يعوده قال: «**لا بأس - طهور إن شاء الله**». «**لا بأس**»؛ يعني: لا شدة عليك ولا أذىٰ. «**طهور**»؛ يعني: هذا طهور إن شاء الله، وإنما قال النبي ﷺ: «**إن شاء الله**»؛ لأن هذه جملة خبرية وليست جملةً دعائية؛ لأن الدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به، ولا يقل: إن شئت. ولهذا نهىٰ النبي ﷺ أن يقول الرجل: «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»(٢٤١)، لا تقل هذا؛ لأن الله لا مُكرهَ له، إن شاء غفر لك، وإن شاء لم يغفر ولم يرحم، فلا يقال: إن شئت؛ إلا لمن له مُكره، أو لمن يستعظم العطاء، فإذا سألت الله فلا تقل: إن شئت.

أما قول: «إن شاء الله» في قول النبي: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**» فهذا لأنه خير وتفاؤل. فيقول: لا بأس، كأنه ينفي أن يكون به بأس، ثم يقول: «إن

---

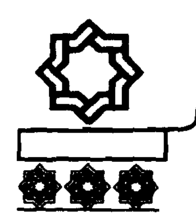
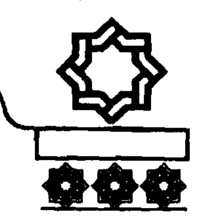
(٢٤٠) أخرجه البخاري (٣٦١٦).

(٢٤١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

شاء الله» لأن الأمر كله بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ.

فوائد الحديث:

١- ينبغي لمن عاد المريض إذا دخل عليه أن يقول: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**».

استحباب سؤال أهل المريض عن حاله

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أَنَّ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ رضي الله عنه خرجَ مِنْ عِنْدِ رسولِ اللهِ ﷺ في وجَعِهِ الذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فقال النَّاسُ: يا أَبَا الحسنِ، كَيفَ أَصْبَحَ رسولُ الله ﷺ قال: أَصْبحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا(٢٤٢).

المعنى الإجمالي:

يتحدَّث عن بيان سؤال أهل المريض عن حاله، وأن ذلك من الأمور التي جاءت بها السُّنة، حيث ذكر عنه ابن عباس أن عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه خرج من عند النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وكان علي بن أبي طالب صهرَ رسول الله ﷺ وابن عمه، وأفضل أهل البيت، فهو الخليفة الرابع في هذه الأمة، ولما خَلَّفه النبي ﷺ على أهله في غزوة تبوك، ورأى أنه تأثر من ذلك قال له النبي ﷺ: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»**(٢٤٣)؛ لأن موسى خلَّف هارون على أهله قال: ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢] قال له النبي ﷺ ذلك، ثمَّ قال: **«إلا أنه لا نبي بعدي»**، خرج من عند الرسول ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وكان النبي ﷺ عندما مرض يعدل بين نسائه التسع إلا سودة بنتَ زمعة، فإنها وَهَبتْ يومها لعائشة، فلما اشتد به المرض صار يقول: **«أين أنا غدًا، أين أنا غدًا؟»**(٢٤٤) يريد يوم عائشة، فَأَذِنَّ له

---

(٢٤٢) أخرجه البخاري (٦٢٦٦).

(٢٤٣) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

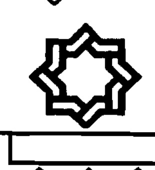
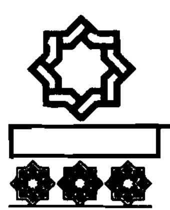
(٢٤٤) أخرجه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٢٤٤٣).

أن يمرض في بيت عائشة، وظلَّ عندها رضي الله عنها حتىٰ تُوفِّي. فَسُئِلَ عليٌّ رضي الله عنه: كيف أصبح النبي ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا.

ففيه دليل علىٰ أنه إذا لم يمكن الوصول إلىٰ المريض؛ فإنه يُسْأل عنه مَنْ يراه من أقاربه أو غيرهم ليطمئن الإنسان، وفي وقتنا الحالي حصل - ولله الحمد - الاتصال بالهاتف، فإن الإنسان إذا لم يتمكن من الذهاب إلىٰ المريض بنفسه، فهذا الهاتف يدخل علىٰ البيوت بدون استئذانٍ، لهذا نقول: إذا لم تتمكن من عيادة المريض بنفسك، فإنك تتصل بالهاتف وتسأل عن حاله ويُكتب لك بذلك الأجر - إن شاء الله تعالىٰ - والله الموفق.

فوائد الحديث:

١- السؤال عن المرضىٰ لنيل الأجر.

ما يقوله من أيس من حياته

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى»(٢٤٥).

المعنى الإجمالي:

اليأس من الحياة لا يُعْلم إلا إذا حضر الموت، أما قبل ذلك؛ فإنه مهما اشتدَّ المرض فإن الإنسان لا ييأس، وكم من إنسانٍ اشتد به المرض حتىٰ جمع أهلُه ماءَ تغسيله وحنوطه، وكفنه ثم شفاه الله وعافاه، وكم من إنسان أشرف علىٰ الموت في أرض مفازة ليس عنده ماء ولا طعام فأنجاه الله عز وجل، ومن ذلك ما قال النبي ﷺ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته حين أضلَّها - يعني: ضيَّعها - وعليها طعامه وشرابه وطلبها فلم يجدها، فاضطجع تحت شجرة ينتظر الموت**»: أيس منها، وما بقي عليه إلا أن يموت «**فبينما هو كذلك إذا بخطام ناقته متعلقًا بالشجرة**» ردَّ الله عليه ضالَّته حتىٰ جاءت هذه الشجرة ترعاها، فارتطم خطامها بها، فأخذها الرجل وقال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**» يريد أن يقول: «**أنت ربي وأنا عبدك**» لكنه من شدة الفرح أخطأ(٢٤٦)، فهذا الرجل أيس من حياته باعتبار صاحب الحال؛ لأنه فقد طعامه وشرابه لكن اليأس الحقيقي: هو ما إذا حضر الإنسان الموت وصار في النزع، فحينئذٍ لا يمكن أن يحيىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾

---

(٢٤٥) أخرجه البخاري (٤٤٥٠)، ومسلم (٢٤٤٤).

(٢٤٦) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

[الواقعة: ٨٣، ٨٤] بلغت؛ يعني: الروح ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾؛ يعني: الحلق، ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ الملائكة أقرب إلىٰ الإنسان من حلقومه عند احتضاره ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦، ٨٧] من يستطيع؟! هل أحد يمكن أن يردَّ روحه بعد أن بلغت الحلقوم؟! أبدًا أبدًا؛ إذًا، ييأس الإنسان من حياته إذا عاين الموت، فماذا يقول؟ تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلىٰ**» هكذا يقول الرسول ﷺ عند موته وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!

مَنْ هم الرفيق الأعلىٰ؟ هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقًا، هكذا كان الرسول يقول عند موته، وكان عنده ﷺ إناء فيه ماء، وقد أُتي من شدة الموت وسكراته ما لم يُؤْتَ أحد؛ لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين(٢٤٧)، شُدِّدَ عليه المرض، شدِّد عليه النزع، لماذا؟ من أجل أن ينال أعلىٰ درجات الصبر؛ لأن الصبر يحتاج إلىٰ شيء يُصْبرَ عليه، فكأن الله قد اختار لنبيه ﷺ أن يكون مرضُه شديدًا، ونزعه شديدًا حتىٰ ينال أعلىٰ درجات الصابرين ﷺ. فكان ﷺ يضع يده في الإناء الذي فيه الماء، ويمسح بذلك وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**»(٢٤٨) وصدق النبي ﷺ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. نسأل الله أن يُعيننا وإياكم علىٰ غمرات الموت، وأن يُحسن لنا ولكم الخاتمة، ويتوفانا علىٰ الإيمان والتوحيد، وأن يتوفانا وهو راضٍ عنَّا، إنه علىٰ كل شيء قدير.

---

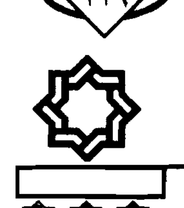
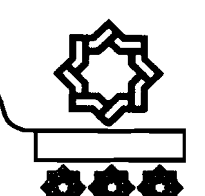
(٢٤٧) أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٢٤٨) أخرجه البخاري (٤٤٤٩).

فوائد الحديث:

١- مشروعية هذا الدعاء لمن أيس من حياته.

٢- مدى صبر النبي ﷺ.

آداب الجنائز

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»(٢٤٩).

معاني الكلمات:

تقدمونها: تسرعون بها إليه.

تضعونه عن رقابكم: تستريحون من صحبة مَنْ لا خير فيه.

المعنى الإجمالي:

يرشدنا الحديث الشريف إلىٰ أمرٍ آخر من آداب الجنازة وهو قَوْله ﷺ: **«أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ» فِيهِ الْأَمْر بِالْإِسْرَاعِ لِلْحِكْمَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ﷺ «فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَىٰ ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ».**

قَالَ أَصْحَابنَا وَغَيْرهمْ: «يُسْتَحَبُّ الْإِسْرَاع بِالْمَشْيِ بِهَا مَا لَمْ يَنْتَهِ إِلَىٰ حَدٍّ يَخَاف انْفِجَارهَا وَنَحْوه.

وَحَمْل الْجِنَازَة فَرْض كِفَايَة، قَالَ أَصْحَابنَا: (وَلَا يَجُوز حَمْلهَا عَلَىٰ الْهَيْئَة الْمزْرِيَة، وَلَا هَيْئَة يُخَاف مَعَهَا سُقُوطهَا). قَالُوا: (وَلَا يَحْمِلهَا إِلَّا الرِّجَال وَإِنْ كَانَتْ الْمَيِّتَة امْرَأَة؛ لِأَنَّهُمْ أَقْوَىٰ لِذَلِكَ، وَالنِّسَاء ضَعِيفَات، وَرُبَّمَا انْكَشَفَ مِنَ الْحَامِل بَعْض بَدَنه).

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنَ اسْتِحْبَاب الْإِسْرَاع بِالْمَشْيِ بِهَا، وَأَنَّهُ مُرَاد الْحَدِيث

---

(٢٤٩)رواه البخاري (١٢٥٢) ومسلم (٩٤٤). .

هُوَ الصَّوَاب الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِير الْعُلَمَاء.

وَنَقَلَ الْقَاضِي عَنْ بَعْضهمْ: أَنَّ المرَاد الْإِسْرَاع بِتَجْهِيزِهَا إِذَا اسْتَحَقَّ مَوْتهَا، وَهَذَا قَوْل بَاطِل مَرْدُود بِقَوْلِهِ ﷺ: «فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابكُمْ». وَجَاءَ عَنْ بَعْض السَّلَف: كَرَاهَة الْإِسْرَاع، وَهُوَ مَحْمُول عَلَىٰ الْإِسْرَاع المفْرِط الَّذِي يَخَاف مَعَهُ انْفِجَارهَا أَوْ خُرُوج شَيْء مِنْهَا.

قَوْله ﷺ: «فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابكُمْ» مَعْنَاهُ: أَنَّهَا بَعِيدَة مِنَ الرَّحْمَة، فَلَا مَصْلَحَة لَكُمْ فِي مُصَاحَبَتهَا. وَيُؤْخَذ مِنْهُ تَرْك صُحْبَة أَهْل الْبَطَالَة غَيْر الصَّالِحِينَ[٢٥٠].

فوائد الحديث:

١- يُسنُّ الإسراع في تجهيز الجنازة وتشييعها ودفنها.

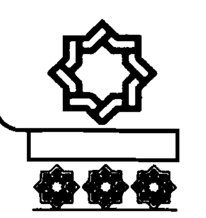
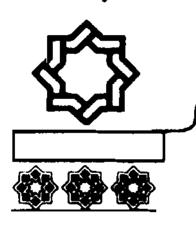
٢- تأخير تجهيز الميت الصالح فيه جناية عليه، وسبب للحيلولة بينه وبين ما أعد الله له من النعيم.

٣- يستحب التعبير عن الألفاظ السيئة بما يدل عليها دون ذِكْرها، فالنبي ﷺ قال: «إن تكُ سوىٰ ذلك»، ولم يقل: (وإن تكُ فاسدة) وهذا من الأدب النبوي، وكل خير في اتباع منهج النبوة.

٤- من صور مخالفة هذا الحديث ما يفعله بعض الناس إذا مات الميت جعلوا ينظرون قدوم الأقارب من كل مكان، وربما طال ذلك الانتظار يوم أو يومان، فهذا جناية علىٰ الميت وعصيان لأمر الرسول ﷺ، فالسُّنَّة الإسراع في دفنها.

---

(٢٥٠) شرح النووي علىٰ مسلم (٧/ ١٢، ١٣).

استحباب تكثير المصلين على الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما مِنْ ميِّتٍ يُصلِّي عليهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يبلُغُونَ مائَة كُلُّهُم يشْفَعُونَ له إلا شُفِّعُوا فيه»(٢٥١).

وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سَمعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيقومُ عَلَى جَنَازِتِهِ أَرْبَعونَ رَجُلًا لا يُشركُونَ بالله شَيئًا؛ إلاَّ شَفَّعَهُمُ الله فيهِ»(٢٥٢).

المعنى الإجمالي:

كلما كثُر الجمع على الميت كان ذلك أفضل وأرجى للشفاعة، ففي حديث عائشة: أنه من صلَّى عليه طائفة من الناس يبلغون مائة يشفعون له إلا شَفَّعهم الله فيه، ومعلوم أن المصلين على الجنازة يشفعون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لهذا الميت، فهم يسألون من الله له المغفرة والرحمة، والدعاء للميت في الجنازة مِنْ أوجب ما يكون في الصلاة، بل هو ركن لا تصح صلاة الجنازة إلا به، إلا المسبوق.

وحديث ابن عباس يدل على أنه مَنْ قام على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا؛ إلا شَفَّعهم الله فيه - أي: قَبِلَ شفاعتهم فيه - وهذه بشرى للمؤمن، إذا كثر المصلون على جنازته فشفعوا له عند الله أن الله تعالى يُشَفِّعهم فيه.

وهذه الأحاديث كلها تدل على أنه كلما كثر الجمع كان أفضل، ولهذا

(٢٥١) أخرجه مسلم (٩٤٧).
(٢٥٢) أخرجه مسلم (٩٤٨).

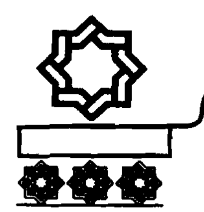
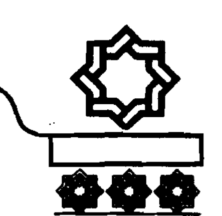
نجد أن بعض الناس إذا صلَّىٰ علىٰ جنازة في مسجد نبه أهل المساجد الأخرىٰ ليحضروا إليه حتىٰ يكثر الجمع، فينبغي للإمام إذا رأىٰ الذين جاءوا ليشهدوا صلاة الجنازة قد فاتهم شيء من صلاة الفريضة ألا يتعجل بالصلاة علىٰ الميت حتىٰ ينتهي الذين يقضون صلاتهم ليشاركوا الحاضرين في الصلاة علىٰ الميت، فيكون ذلك أكثر للجمع، وربما تكون دعوة واحد منهم هي المستجابة، وكون بعض الناس بعدما يُسَلِّم يقوم ويصلي علىٰ الجنازة - وخلفه صف أو أكثر - فهذا وإن كان جائزًا - لكن الأفضل أن ينتظر حتىٰ يتمَّ الناس صلاتهم ويصلُّون علىٰ الجنازة. والله الموفق.

فوائد الحديث:

١- استحباب تكثير الصفوف علىٰ الجنازة.

٢- أهمية تحقيق التوحيد.

٣- شفاعة المسلم في أخيه بإذن الله.

قضاء الدين عن الميت

عن أَبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ» (٢٥٣).

معاني الكلمات:

الجيفة: جثة الميت.

المعنى الإجمالي:

إذا مات الإنسان فإنه يجب علىٰ أهله أن يبادروا بقضاء دَينه إذا كان عليه دَيْن، ولا يجوز لهم أن يؤخروا ذلك؛ لأن المال الذي ورثوه من ماله ليس لهم فيه حق إلا إذا انتهىٰ الدَّين؛ يعني: الورثة ليس لهم حق في شيء من التركة حتىٰ يُقضىٰ الدَّين؛ ولهذا قال الله تعالىٰ في آيات المواريث: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖ ﴾ [النساء: ١٢] فليس للورثة حق أن يأخذوا شيئًا من التركة حتىٰ يقضوا دين الميت، ويجب عليهم المبادرة في قضاء الدين، إلا إذا كان مُؤَجَّلًا؛ فإنه يطلب من أهل الدَّين أن ينتظروا، فإن أَبَوا فإنه يُعَجَّل لهم، وإلا إذا وثَّق الورثة برهنٍ، أو كفيل. وقد تهاون الناس في قضاء الدَّين عن الأموات، فتجد الميت يموت وعليه الدَّين، فيلعب الورثة بالتركة ويؤخرون قضاء الدَّين، فيكون – مثلًا – عليه مئات الآلاف، وترك عقارات كثيرة، فيقول الورثة: لا نبيع العقارات، بل ننتظر حتىٰ تزيد العقارات ثم نبيع، وهذا حرام، الواجب أن

(٢٥٣) أخرجه الترمذي (١٠٧٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث (٦٧٧٩).

يبادروا حتىٰ ولو باعوا الشيء بنصف الثمن؛ لأن المال ليس لهم، بل هو للميت، ومن ذلك: إذا كان الإنسان قد اقترض من صندوق التنمية العقارية ولم يدفع أقساطًا، تجد الورثة يلعبون ولا يوفون صندوق التنمية، وربما يسوِّل لهم الشيطان أن يرفعوا إلىٰ الحكومة طلب العفو عنه ثم يقولون: ننتظر متىٰ جاء الردُّ فربما يأتي بالرفض، وربما يُعْفَىٰ عنه، لكن لا يُعْلَم، فلا يحل لهم ذلك، والواجب أن يبادروا بقضاء الدَّين عن الميت، أما إذا كان الميت قد أوفَىٰ ما عليه من أقساط في حياته وبقي البيت مرهونًا لصندوق التنمية؛ فإن الميت لا يبرأ بذلك، ولا يلحقه شيء، بعض الناس من أهل الورع إذا مات الميت وقد اقترض من صندوق التنمية وقد وفَّىٰ بجميع الأقساط التي حلَّت عليه في حياته؛ يظنون أن الميت تتعلق رُوحه بهذا الدين، وليس الأمر كذلك، ما دام هناك رهن، فالميت بريء منه، ويدل علىٰ هذا أن النبي ﷺ مات وعليه دين لرجل من اليهود وقد أعطاه درعه رهنًا [٢٥٤]. فهل تقول: إن نفس الرسول ﷺ معلقة بالدَّين! لا، لأنه قد رهنه شيئًا يمكنه الاستيفاء منه.

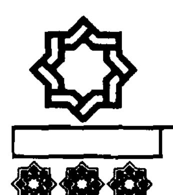
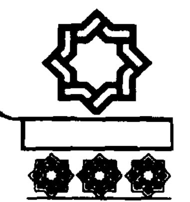
ثم ذكر النووي: حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**نفس المؤمن معلقة بدينه حتىٰ يُقضىٰ عنه**»؛ يعني: أن نفسه وهو في قبره معلقة بالدَّين، كأنها - والله أعلم- تتألم من تأخير الدَّين، ولا تفرح بنعيم ولا تنبسط؛ لأن عليه دينًا، ومن ثمَّ قلنا: إنه يجب علىٰ الورثة أن يبادروا بقضاء الدَّين.

١- ضرورة قضاء الدين.

٢- أهمية إعطاء الحقوق لأهلها.

---

(٢٥٤) انظر صحيح البخاري (٤٤٦٧).

ثناء الناس على الميت

عن أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرُّوا بجَنَازَةٍ، فَأَثنَوا عَلَيْهَا خيرًا، فقال النبيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ». ثم مرُّوا بِأُخْرَى، فَأَثنَوْا عليها شَرًّا، فَقَال النَّبيُّ ﷺ: «وَجبَتْ». فَقَال عُمرُ بنُ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما وجبَتْ؟ قَالَ: «هذا أَثنَيتُمْ علَيْهِ خَيرًا، فَوَجبتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهذا أَثنَيتُم عليه شرًّا، فَوَجبتْ لَهُ النَّار، أنتُم شُهَداءُ اللهِ في الأَرضِ» (٢٥٥).

وعن أبي الأَسود قال: قَدِمْتُ المدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إلى عُمْرَ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمرَّتْ بِهِمْ جنَازةٌ، فأُثنِيَ على صَاحِبها خَيْرًا، فقال عُمَرُ: وجبت، ثُمَّ مُرَّ بأُخرى، فَأثنِيَ على صَاحِبِها خَيرًا، فَقَالَ عُمرُ: وجبَت، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثنِيَ على صاحبها شَرًّا، فَقَال عُمرُ: وجبتْ: قَالَ أَبُو الأَسْودِ: فَقُلْتُ: وما وجبَت يا أميرَ المؤمنين؟ قال: قُلتُ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّما مُسلِم شَهِدَ لهُ أَربعةٌ بِخَير، أَدخَلَهُ الله الجَنَّة». فَقُلنَا: وثَلاثَةٌ؟ قال: «وثَلاثَةٌ». فقلنا: واثنانِ؟ قال: «واثنانِ». ثُمَّ لَمْ نَسأَلْهُ عَن الواحِدِ (٢٥٦).

معاني الكلمات:

أثنوا عليها خيرًا: ذكروها بمحاسنها.

المعنى الإجمالي:

ثناء الناس على الميت يعني: ذكره بخيرٍ أو بشرٍّ؛ فالميت إذا مات فإما أن

---

(٢٥٥) البخاري (١٣٦٧)، مسلم (٩٤٩).

(٢٥٦) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

يثني الناس عليه خيرًا، وإما شرًّا حسب ما يعلمون من حاله. ثم ذكر النووي حديث أنس رضي الله عنه وحديث أبي الأسود مع عمر بن الخطاب، ففي حديث أنس أن النبي ﷺ مُرَّ بجنازة في مجلسه فأثنوا على صاحبها خيرًا، فقال: «**وجبت**»، ثم مَروا بجنازة أخرىٰ فأثنوا عليها شرًّا، فقال النبي ﷺ: «**وجبت**» فقال عمر بن الخطاب: ما وجبت يا رسول الله؟ قال: «**أثنيتم علىٰ الأول خيرًا فوجبت له الجنة، وأثنيتم علىٰ الثاني شرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**» والثاني كأنه - والله أعلم - من المنافقين، وقد كان المنافقون في عهد الرسول ﷺ موجودين في المدينة بكثرة، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر - والعياذ بالله - والمنافقون في الدرك الأسفل من النار إلا من تاب، وفي هذا: دليل علىٰ أن المسلمين إذا أثنوا علىٰ الميت خيرًا؛ دلَّ ذلك علىٰ أنه من أهل الجنة فوجبت له الجنة، وإذا أثنوا عليه شرًّا دلَّ ذلك علىٰ أنه من أهل النار فوجبت له النار، ولا فرق في هذا بين أن تكون الشهادة في عهد النبي ﷺ أو بعده؛ لأن حديث أبي الأسود مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بعد النبي ﷺ، وقد تنازل النبي ﷺ إلىٰ أن ذكر مَنْ شهد له اثنان بخير كان من أهل الجنة، ومن عقيدة أهل السُّنة والجماعة أننا لا نشهد لأحدٍ بجنة أو نار إلا مَنْ يشهد له النبي ﷺ، فنَشْهد لمن شهد له الرسول ﷺ بالجنة، ونَشْهد بالنار لمن شهد له بالنار، فمثال من شهد له بالجنة الخلفاء الأربعة: (أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) وكذلك بقية العشرة المبشَّرِين بالجنة، فإن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة،**

والزبير بن العوام في الجنة»[٢٥٧] هؤلاء عشرة جعلهم النبي ﷺ جميعًا من أهل الجنة، وعُكاشة بن المُحصن لما أخبر النبي ﷺ: «**أنه يدخل من هذه الأمة سبعون ألفًا بلا حساب أو عذاب**» قال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت منهم**»، فقال آخر: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**سبقك بها عُكَّاشة**»[٢٥٨].

ثابت بن القيس رضي الله عنه كان جهوري الصوت، ولما نزل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] خاف رضي الله عنه وبقي في بيته محبوسًا يبكي يخشىٰ أن يكون حبط عمله؛ لأنه جهوري الصوت، ففقده النبي ﷺ فأرسل إليه، فأخبره الخبر، فقال: «**بل تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة**»[٢٥٩] فكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة نشهد له، ومن شهد له بالنار فإننا نشهد له بالنار، وقد شهد النبي ﷺ لجماعة بالنار، وكذلك في القرآن، قال الله تعالىٰ في أبي لهب وهو عم النبي ﷺ: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد: ٣-٥]، وأخبر ﷺ أن عمه أبا طالب في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه - والعياذ بالله - وجاءه رجل فقال: يا رسول الله، أين أبي؟ فقال: «**أبوك في النار**»[٢٦٠]، وأخبر ﷺ: «**أن عمرو بن لُحي الخزاعي يجر قُصْبَه في النار**»[٢٦١].

---

(٢٥٧) أخرجه أبو داود (٤٦٥٠).

(٢٥٨) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

(٢٥٩) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٠٩٩).

(٢٦٠) أخرجه مسلم (٢٠٣).

(٢٦١) أخرجه البخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك من أجمعت الأمة علىٰ الثناء عليه فإننا نشهد له بالجنة، فمثلًا الإمام أحمد، الشافعي، أبو حنيفة، مالك، سفيان الثوري، سفيان بن عيينة، وغيرهم من الأئمة الذين أجمعت الأمة علىٰ الثناء عليهم، فنشهد لهم بأنهم من أهل الجنة، شيخ الإسلام ابن تيمية، أجمع الناس بالثناء عليه إلا من شذَّ، ومن شذَّ شذ في النار، نشهد له بالجنة علىٰ هذا الرأي، ويؤيد هذا الرأي حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي رواه البخاري أن الرسول ﷺ قال: «**من شهد له أربعة وثلاثة واثنان**» ثم لم يسألوه عن الواحد. نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة المُحرَّمين علىٰ النار.

فوائد الحديث:

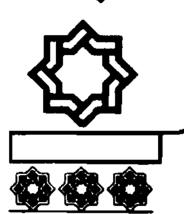
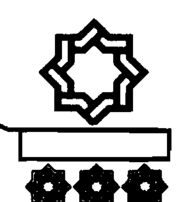
١- دليل علىٰ أن المسلمين إذا أثنوا علىٰ الميت خيرًا؛ دلَّ ذلك علىٰ أنه من أهل الجنة فوجبت له الجنة.

٢- لا نشهد لأحدٍ بجنة أو نار إلا من شهد له النبي ﷺ

❊



القسم الثاني:
الأخلاق

حسن الخلق

عَنْ مَسْرُوقٍ قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو يُحَدِّثُنَا إِذْ قال: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»(٢٦٢).

وعن أَنسٍ رضي الله عنه قال: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسنَ النَّاسِ خُلقًا(٢٦٣).

معاني الكلمات:

فاحش: ينطق بالقبح، سيئ الخلق(٢٦٤).

الْفُحْش: هُوَ الزِّيَادَة عَلَىٰ الْحَدِّ فِي الْكَلَام السَّيِّئ، وَالْمُتَفَحِّش: المُتَكَلِّف لِذَلِكَ؛ أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُ الْفُحْش خُلُقًا وَلَا مُكْتَسِبًا.

المعنى الإجمالي:

هذا هو مادة الأخلاق الجميلة كلِّها، وقد اتفق الشرع والعقل علىٰ حسنه، ورفعة قدره، وعلو مرتبته، ومداره علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]، أي خذ ما تيسر وعفىٰ وتسهل من أخلاق الناس، ولا تطالبهم بما لا تقتضيه طباعهم، ولا تسمح به أخلاقهم. هذا فيما يأتيك منهم.

---

(٢٦٢) البخاري (٣٢٩٥)، مسلم (٤٢٨٥).

(٢٦٣) البخاري (٦٢٠٣)، مسلم (٢٣١٠).

(٢٦٤) أساس البلاغة، وتاج العروس.

وأما ما تأتي إليهم فالأمر بالعرف، وهو نصحهم وأمرهم بكلِّ مستحسن شرعًا، وعقلاً وفطرة، وأعرض عمن جهل عليك بقوله أو فعله، فللّه ما أحلىٰ هذه الأخلاق وما أجمعها لكلِّ خير. وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٥].

ويُمِدّه الصبرَ والحلمَ وسعةَ العقل. وفضل هذا الخلق ومرتبته فوق ما يصفه الواصف(٢٦٥).

ويبين الحديث صفة الرسول ﷺ وأنه لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، يعني أنه ﷺ بعيد عن الفحش طبعًا وكسبًا، فلم يكن فاحشًا في نفسه ولا في غريزته، بل هو لين سهل، ولم يكن متفحشًا؛ أي: متطبع بالفحشاء، بل كان ﷺ أبعد الناس عن الفحش في مقاله وفي فعاله ﷺ.

وفيه أيضًا: الحث علىٰ حسن الخلق، وأنه من أثقل ما يكون في الميزان يوم القيامة، وهذا من باب الترغيب فيه.

فعليك يا أخي المسلم أن تُحسِّن خلقك مع الله فتتلقىٰ أحكامه الكونية والشرعية بصدرٍ منشرحٍ منقادٍ راضٍ مستسلمٍ، وكذلك مع عباد الله، فإن الله تعالىٰ يحب المحسنين، وحسن الخلق يكون مع الله، ويكون مع عباد الله.

أما حسن الخلق مع الله: فهو الرضا بحكمه شرعًا وقدرًا، وتلقي ذلك بالانشراح وعدم التضجر، وعدم الأسىٰ والحزن، فإذا قدر الله علىٰ المسلم شيئًا يكرهه رضي بذلك واستسلم وصبر، وقال بلسانه وقلبه: رضيت بالله ربًّا، وإذا حكم الله عليه بحكمٍ شرعيٍّ رضي واستسلم، وانقاد لشريعة الله عز وجل

---

(٢٦٥) انظر كتاب: فتح الرحيم الملك العلام (ص ١١٩)، للعلامة عبد الرحمن السعدي.

بصدرٍ منشرحٍ ونفسٍ مطمئنةٍ، فهذا حسن الخلق مع الله عَزَّوَجَلَّ.

أما مع الخَلْق: فحسن الخُلق معهم بما قاله بعض العلماء: كف الأذىٰ، وبذل الندىٰ، وطلاقة الوجه.

كف الأذىٰ: بألا يؤذي الناس لا بلسانه ولا بجوارحه.

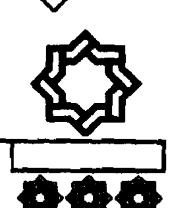
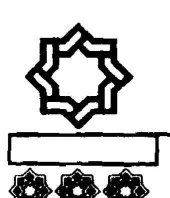
وبذل الندىٰ: يعني العطاء، فيبذل العطاء من مالٍ وعلمٍ وجاهٍ وغير ذلك.

فوائد الحديث:

١- الْحَثُّ عَلَىٰ حُسْن الْخُلُق، وَبَيَان فَضِيلَة صَاحِبه.

٢- بيان حسن خلق النبي ﷺ.

٣- ضرورة أن يتخيَّر الإنسان ألفاظه ولا يكن فاحشًا ولا متفحشًا.

خلق الصبر

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(٢٦٦).

معاني الكلمات:

نَفِدَ: بكسر الفاء؛ أي: فرغ.

أَدَّخِره عنكم: أحبسه وأمنعه عنكم.

يَسْتَعْفِف؛ أي يكف عن الحرام وسؤال من الناس.

يَسْتَغْن: أي يستغني بالله عما سواه، فيقتصر طلبه من الله وحده.

يغنه: أي يجعل الغنىٰ في قلبه.

يَتَصَبَّر: أي يحمل نفسه علىٰ الصبر.

يُصَبِّره الله: أي يوَفِّقهُ لذلك.

المعنى الإجمالي:

الصبر هو الأساس الأكبر لكلِّ خُلُقٍ جميلٍ، والتنزه من كلِّ خُلُقٍ رذيلٍ، وهو حبس النفس علىٰ ما تكره، وعلىٰ خلاف مرادها طلبًا لرضىٰ الله وثوابه، ويدخل فيه الصبر علىٰ طاعة الله، وعن معصيته، وعلىٰ أقدار الله المؤلمة. فلا

(٢٦٦) أخرجه البخاري (١٤٠٠) وأخرجه مسلم (١٠٥٣).

تتم هذه الأمور الثلاثة التي تجمع الدين كلَّه إلا بالصبر.

وقد أمر الله بالصبر وأثنىٰ علىٰ الصابرين، وأخبر أنَّ لهم المنازل العالية والكرامات الغالية في آيات كثيرة من القرآن، وأخبر أنَّهم يوفون أجرهم بغير حساب. وحَسْبُك من خلقٍ يسهِّل علىٰ العبد مشقة الطاعات، ويهوِّن عليه ترك ما تهواه النفوس من المخالفات، ويسليه عن المصيبات، ويُمِدُّ الأخلاق الجميلة كلَّها، ويكون لها كالأساس للبنيان(٢٦٧).

ويبين الحديث أن جماعةً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم حتىٰ نفد ما عنده ﷺ، فما كان منه إلا أن أظهر وبَيَّن ذلك حتىٰ لا يظن ظانٌّ أنه يضنُّ عليهم بما عنده، وإن كان هذا الخاطر لا يقع في حقِّه ﷺ، ولكنه حرص علىٰ تبيان ذلك حتىٰ يضيق علىٰ الشيطان سُبُله، ويقي أصحابه شرَّ نزغه، فهو القائل في حديث أم المؤمنين صفية حيث كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَعِنْدَهُ أَزْوَاجُهُ فَرُحْنَ، فَقَالَ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ: «لَا تَعْجَلِي حَتَّىٰ أَنْصَرِفَ مَعَكِ، وَكَانَ بَيْتُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا فَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَنَظَرَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَجَازَا، وَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «تَعَالَيَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»، قَالَا: سُبْحَانَ اللهِ! يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا»(٢٦٨).

ثم يرشد صلوات الله وسلامه عليه أصحابَه إلىٰ أنه مَنْ يستعفف - أي عن سؤال الخلق - ويلجأ إلىٰ الله تعالىٰ؛ فإن الله يُثيبه علىٰ ذلك برزقه ورفع الفقر عنه، وأنه من يُظهر الاستغناء بالله يُغنه الله بكفِّه عن الحرام، قال الطيبيُّ في معنىٰ

---

(٢٦٧) انظر كتاب: فتح الرحيم الملك العلام (ص ١١٤)، للعلامة عبد الرحمن السعدي.

(٢٦٨) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، أخرجه مسلم (٢١٧٥).

قوله: «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعفهُ الله»: (مَنْ عَفَّ عَنِ السُّؤال ولو لم يظهر الاستغناء عن الناس لكنه إن أعطي شيئًا لم يتركه، يملأ الله قلبه غنىٰ بحيث لا يحتاج إلىٰ سؤال، ومن زاد علىٰ ذلك، فأظهر الاستغناء فتصبر ولو يُعطىٰ لم يقبل، فذاك أرفع درجة، فالصبر جامع لمكارم الأخلاق)(٢٦٩). ومن يستعمل الصبر ويحمل نفسه عليه ويمكنه من نفسه حتىٰ تنقاد إليه نفسه وتذعن لتحمل الشدائد، فعند ذلك يكون توفيق الله وعطاؤه، فإن خير ما يمنُّ به الله تعالىٰ علىٰ العبد أن يرزقه الصبر.

وقال ابن الجوزي: (لما كان التعفُّف يقتضي ستر الحال عن الخلق وإظهار الغنىٰ عنهم؛ فيكون صاحبه معاملًا لله في الباطن، فيقع له الربح علىٰ قدر الصدق في ذلك، وإنما جعل الصبر خير العطاء؛ لأنه حبس النفس عن فعل ما تحبه وإلزامها بفعل ما تكره في العاجل مما لو فعله أو تركه لتأذىٰ به في الآجل)(٢٧٠).

فوائد الحديث:

١- إذا استعفَّ العبد عن الحرام أعفَّه الله وحماه وحمىٰ أهله من هذه المحرمات.

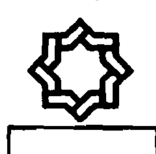
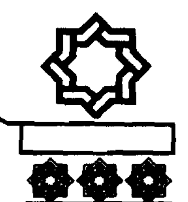
٢- إذا استغنىٰ العبد بما عند الله عما في أيدي الناس أغناه الله عن الناس، وجعله الله عزيز النفس بعيدًا عن السؤال.

٣- من أفضل النعم علىٰ العبد أن يكون صابرًا في كل أموره.

---

(٢٦٩) فتح الباري (١١/ ٣٠٤).

(٢٧٠) فتح الباري (١١/ ٣٠٤).

الصبر عند المصيبة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قال: مَرَّ النبي ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقال: «اتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرِى»، قالت: إِلَيْكَ عَنِّى، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِى، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النبي ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النبي ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقالتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقال: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»(٢٧١).

وفي رواية لمسلم: عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا فَقال لَهَا: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»، فَقالتْ: وَمَا تُبَالِي بِمُصِيبَتِي، فَلَمَّا ذَهَبَ قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ، فَأَتَتْ بَابَهُ فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ، فَقالتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقال: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ»، أَوْ قال: «عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ»(٢٧٢).

معاني الكلمات:

إليك عني: اتركني وشأني.

مصيبة: ما أصابكم من الدهر.

المعنى الإجمالي:

مرَّ النبيﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَىٰ صَبِيٍّ لَهَا، فقَدْ أُصِيبَتْ بِوَلَدِهَا، فَقال: لها: اتَّقِ الله، فكَانَ فِي بُكَائِهَا قَدْر زَائِد مِنْ نَوْح أَوْ غَيْره، وَلِهَذَا أَمَرَهَا بِالتَّقْوَىٰ،

---

(٢٧١) أخرجه البخاري (١٢٨٣، ١٣٠٣)، ومسلم (١٥٤٣).

(٢٧٢) أخرجه مسلم (١٥٣٥).

فَسَمِعَ مِنْهَا مَا يُكْرَه فَوَقَفَ عَلَيْهَا، فدعاها إلىٰ الصبر، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهَا: خَافِي غَضَب الله إِنْ لَمْ تَصْبِرِي، وَلَا تَجْزَعِي لِيَحْصُل لَك الثَّوَاب، وكانت لا تعرف رسول الله ﷺ، فَأَخَذَهَا مِثْل المَوْت (أَيْ مِنْ شِدَّة الْكَرْب الَّذِي أَصَابَهَا لَمَّا عَرَفَتْ أَنَّهُ ﷺ خَجَلًا مِنْهُ وَمَهَابَة).

قال الزَّيْن بْن المنِير: عُذْر هَذِهِ المَرْأَة فِي كَوْنهَا لَمْ تَعْرِفهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ شَأْنه أَنْ لَا يَتَّخِذ بَوَّابًا مَعَ قُدْرَته عَلَىٰ ذَلِكَ تَوَاضُعًا، وَكَانَ مِنْ شَأْنه أَنَّهُ لَا يَسْتَتْبِع النَّاس وَرَاءَهُ إِذَا مَشَىٰ كَمَا جَرَتْ عَادَة الملُوك وَالْأَكَابِر، فَلِذَلِكَ اشْتَبَهَ عَلَىٰ المَرْأَة فَلَمْ تَعْرِفهُ مَعَ مَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ شَاغِل الْوَجْد وَالْبُكَاء.

وَقال الطِّيبِيُّ: إِنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ اسْتَشْعَرَتْ خَوْفًا وَهَيْبَة فِي نَفْسهَا فَتَصَوَّرَتْ أَنَّهُ مِثْل الملُوك لَهُ حَاجِب وَبَوَّاب يَمْنَع النَّاس مِنَ الْوُصُول إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الْأَمْر بِخِلَافِ مَا تَصَوَّرَتْهُ.

فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفك، فقال ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْد الصَّدْمَة الْأُولَىٰ».

وَالمعْنَىٰ: إِذَا وَقَعَ الثَّبَات أَوَّل شَيْء يَهْجُم عَلَىٰ الْقَلْب مِنْ مُقْتَضَيَات الْجَزَع، فَذَلِكَ هُوَ الصَّبْر الْكَامِل الَّذِي يَتَرَتَّب عَلَيْهِ الْأَجْر، وَأَصْل الصَّدْم ضَرْب الشَّيْء الصُّلْب بِمِثْلِهِ، فَاسْتُعِيرَ لِلْمُصِيبَةِ الْوَارِدَة عَلَىٰ الْقَلْب.

قال الْخَطَّابِيُّ: الْمَعْنَىٰ أَنَّ الصَّبْر الَّذِي يُحْمَد عَلَيْهِ صَاحِبه مَا كَانَ عِنْد مُفَاجَأَة المصِيبَة، بِخِلَافِ مَا بَعْد ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَلَىٰ الْأَيَّام يَسْلُو، وَحَكَىٰ الْخَطَّابِيُّ عَنْ غَيْره أَنَّ المَرْء لَا يُؤْجَر عَلَىٰ المصِيبَة لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ صُنْعه، وَإِنَّمَا يُؤْجَر عَلَىٰ حُسْن تَثَبُّته وَجَمِيل صَبْره. وَقال ابْن بَطَّال: أَرَادَ أَنْ لَا يَجْتَمِع عَلَيْهَا مُصِيبَة الْهَلَاك وَفَقْد الْأَجْر.

وَفِي هَذَا الحَدِيث مِنَ الْفَوَائِد غَيْر مَا تَقَدَّمَ: مَا كَانَ فِيهِ ﷺ مِنَ التَّوَاضُع وَالرِّفْق بِالْجَاهِلِ، وَمُسَامَحَة المصَاب وَقَبُول اعْتِذَاره، وَمُلَازَمَة الْأَمْر

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ المنْكَر.

وَفِيهِ: أَنَّ الْقَاضِي لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذ مَنْ يَحْجُبهُ عَنْ حَوَائِج النَّاس، وَأَنَّ مَنْ أُمِرَ بِمَعْرُوفٍ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقْبَل وَلَوْ لَمْ يَعْرِف الْآمِرَ.

وَفِيهِ: أَنَّ الْجَزَع مِنَ المَنْهِيَّات لِأَمْرِهِ لَهَا بِالتَّقْوَىٰ مَقْرُونًا بِالصَّبْرِ.

وَفِيهِ: التَّرْغِيب فِي احْتِمَال الْأَذَىٰ عِنْد بَذْل النَّصِيحَة وَنَشْر المَوْعِظَة، وَأَنَّ المواجَهَة بِالْخِطَابِ إِذَا لَمْ تُصَادِف المَنْوِيَّ لَا أَثَر لَهَا.

فوائد الحديث:

١- بيان ما كان فيه الرسول من التواضع والرفق بالجاهل، ومسامحة المصاب.

٢- ملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

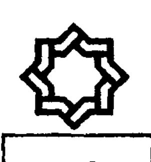
٣- الترغيب في احتمال الأذىٰ عند بذل النصيحة ونشر الموعظة.

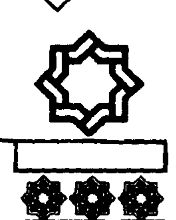
٤- جواز زيارة القبور للرجال والنساء.

٥- الدعوة إلىٰ الصبر عند المصيبة.

٦- الترفق في الدعوة.







الصبر على المرض

عن عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قال: قال لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قال: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النبي ﷺ قالت: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قال: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ»، قالت: أَصْبِرُ، قالت: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا(٢٧٣).

معاني الكلمات:

أُصْرع: أصاب بالصرع.

أتكشف: تَظْهَر عَوْرَتهَا وَهِيَ لَا تَشْعُر.

المعنى الإجمالي:

جَاءَتْ امْرَأَة بِهَا لَمَم إِلَىٰ رَسُول الله ﷺ فَقَالَتْ: ادْعُ اللهَ. فَقَال: «إِنْ شِئْت دَعَوْت الله فَشَفَاك، وَإِنْ شِئْت صَبَرْت وَلَا حِسَاب عَلَيْك». قالت: بَلْ أَصْبِر وَلَا حِسَاب عَلَيَّ، وَفِي الحَدِيث فَضْل مَنْ يُصْرَع، وَأَنَّ الصَّبْر عَلَىٰ بَلَايَا الدُّنْيَا يُورِث الْجَنَّة، وَأَنَّ الْأَخْذ بِالشِّدَّةِ أَفْضَل مِن الْأَخْذِ بِالرُّخْصَةِ لِمَنْ عَلِمَ مِنْ نَفْسه الطَّاقَة وَلَمْ يَضْعُف عَنِ الْتِزَام الشِّدَّة، وَفِيهِ دَلِيل عَلَىٰ جَوَاز تَرْك التَّدَاوِي.

وَفِيهِ: أَنَّ عِلَاج الْأَمْرَاض كُلِّهَا بِالدُّعَاءِ وَالِالْتِجَاء إِلَىٰ الله أَنْجَع وَأَنْفَع مِن الْعِلَاج بِالْعَقَاقِيرِ، وَأَنَّ تَأْثِير ذَلِكَ وَانْفِعَال الْبَدَن عَنْهُ أَعْظَم مِنْ تَأْثِير الْأَدْوِيَة

---

(٢٧٣) أخرجه البخاري (٥٧١٢)، مسلم (٦٧٣٦).

الْبَدَنِيَّة، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْجَع بِأَمْرَيْنِ؛ أَحَدهمَا مِنْ جِهَة الْعَلِيل وَهُوَ صِدْق الْقَصْد، وَالْآخَر مِنْ جِهَة المدَاوِي وَهُوَ قُوَّة تَوَجُّهه وَقُوَّة قَلْبه بِالتَّقْوَىٰ وَالتَّوَكُّل، وَالله أَعْلَم.

فوائد الحديث:

١- بيان فضل من يصرع، وأن الصبر علىٰ بلايا الدنيا يورث الجنة.

٢- الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالر خصة.

٣- دليل علىٰ جواز ترك التداوي، وبيان أن الشافي هو الله وما العقافير والأدوية إلا أسباب.

***

جزاء الصبر

عَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبدِي بحبيبتَيْهِ فَصبرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّة» يُرِيدُ: عينيْه (٢٧٤).

معاني الكلمات:

العوض: البدل والخلف.

المعنى الإجمالي:

قال الرسول ﷺ عن ربه تبارك وتعالىٰ: إنَه مَا مِن إنسانٍ يقبض الله حبيبتيه - يَعْني عَينيه - فيعمىٰ ثم يصبر إلا عوَّضه الله بهما الجنة؛ لأن العينَ محبوبة للإنسان، فإذا أخذهما الله عَزَّ وَجَلَّ وصبر الإنسان واحتسب فإن الله يعوضه بهما الجنة.

والجنة تساوي كل الدُّنيا، بل قد قال النبي ﷺ: «**لَمَوضِع سَوطِ أحَدكُم في الجنة خَيرٌ من الدُّنْيا ومَا فيها**»(٢٧٥)؛ أي: مقدار متر؛ لأن ما في الآخرة باقٍ لا يفنىٰ ولا يَزُول، والدُّنيا كلها فانية زائلة؛ فلهذا كانت هذه المساحة القليلة من الجنة خيرًا من الدُّنيا وما فيها.

واعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا قَبض من الإنسان حاسة من حَواسهِ فإن الغالب أن الله يُعوضه في الحواس الأخرىٰ ما يُخَفف عليه ألمَ فَقْدِ هذه الحاسة التي

---

(٢٧٤) أخرجه البخاري (٥٦٥٣).

(٢٧٥) أخرجه البخاري (٢٨٩٢).

فَقَدها، فالأعمىٰ يَمُنُّ الله عليه بقوَّة الإحساس والإدراك، حتىٰ إن بعض الناس إذا كان أعمىٰ تجده في السوق يمشي وكأنه مُبْصر يحس بالمنعطفات في الأسواق، ويحس بالمنحدرات وبالمرتفعات، حتىٰ إن بعضهم يتفق مع صاحب السيارة - سيارة الأجرة - يرْكب معه من أقصىٰ البلد إلىٰ بيته وهو يقول لصاحب السيارة: تيامَن، تَيَاسَر حتىٰ يوقفه عند بابه؛ لأن صاحب السيارة لا يعرف البيت، والله الموفق.

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ الصبر والاحتساب.

٢- فيه دليل علىٰ أن الله لا يظلم أحدًا.

خلق الصدق

عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ رضى الله عنه عَنِ النبي ﷺ قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(٢٧٦).

وفي رواية لمسلم: عَنْ عَبْدِ اللهِ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(٢٧٧).

معاني الكلمات:

يهدي: يبصر ويرشد.

البرُّ: العمل الصالح، اسم عام للخير كله.

الفجور: الميل عن الاستقامة.

يتحرىٰ: قصد وتوخَّىٰ.

---

(٢٧٦) أخرجه البخاري (٦١٦١)، ومسلم (٨٠٣).

(٢٧٧) أخرجه مسلم (٦٨٠٥).

المعنى الإجمالي:

قد أمر الله بالصدق ومدح الصادقين، وأخبر أنَّ الصدق ينفع أهله في الدنيا والآخرة، وأنَّ لهم المغفرة والأجر العظيم.

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩]، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر:٣٣]، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد:٢١]، ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، والآيات في مدح الصدق كثيرة جداً.

والصدق يهدي إلىٰ كلِّ برّ وخير، كما أنَّ الكذب يهدي إلىٰ كلِّ شر وفجور. والصادق حبيب إلىٰ الله، حبيب إلىٰ عباد الله، معتبر في شرف دينه ودنياه، بل عنوانُ الشرف والاعتبار وعلوِ المنزلة الصدقُ...

ومن عُرف تحريه للصدق ارتفع مقامه عند الخلق، كما كان مرتفعاً عند الخالق واطمأن الناس لأقواله وأفعاله، وصار له مرتبة عالية في الشرف، وحسن الاعتبار والثناء الجميل، وأمن الناس من بوائقه ومكره وغدره[٢٧٨].

وقوله: «عليكم بالصدق»؛ أي: الزموا الصدق، والصدق مطابقة الخبر للواقع، وفي حديث كعب وصاحبيه[٢٧٩] ما يدل علىٰ فضيلة الصدق وحسن عاقبته، وأن الصادق هو الذي له العاقبة، والكاذب هو الذي يكون عمله هباءً؛ لهذا يُذكر أن بعض العامة قال: إن الكذب ينجي، فقال له أخوه: الصدق أنجىٰ وأنجىٰ، هذا صحيح. واعلم أن الكذب يكون باللسان ويكون بالأركان.

أما باللسان فهو القول، وأما بالأركان فهو الفعل، ولكن يكون الكذب

(٢٧٨) انظر كتاب: فتح الرحيم الملك العلام (ص ١١١)، للعلامة عبد الرحمن السعدي.

(٢٧٩) وهو حديث الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك، رواه البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

بالفعل إذا فعل الإنسان خلاف ما يُبطن، فهذا قد كذب بفعله، فالمنافق مثلًا كاذب؛ لأنه يظهر للناس أنه مؤمن، يصلي مع الناس ويصوم ويتصدق، ولكنه بخيل، وربما يحج، فمن رأىٰ أفعاله حكم عليه بالصلاح، ولكن هذه الأفعال لا تُنبئ عما في الباطن، فهي كذبٌ.

ولهذا نقول: الصدق يكون باللسان وبالأركان، فمتىٰ طابق الخبر الواقع فهو صدق وهذا باللسان، ومتىٰ طابقت أعمال الجوارح ما في القلب فهي صدق، وهذا بالأركان.

ثم بين النبي عليه الصلاة والسلام - عندما أمر بالصدق - عاقبتهم فقال: «إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة».

البر: كثرة الخير، ومنه من أسماء الله: البَرُّ؛ أي: كثير البر والإحسان عز وجل، والبر من نتائج الصدق.

وقوله: «وإن البر يهدي إلىٰ الجنة»: فصاحب البر - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منه - يهديه برُّه إلىٰ الجنة، والجنة غاية كل مطلب.

ولهذا يؤمر الإنسان أن يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، وقوله: «إن الرجل ليصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقًا»، وفي رواية: «ولا يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقاً».

الصِّديق في المرتبة الثانية من الخلق من الذين أنعم الله عليهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩]، فالرجل الذي يتحرىٰ الصدق يُكتب عند الله صديقًا، ومعلوم أن الصديقية درجة عظيمة لا ينالها إلا أفذاذ من الناس، وتكون في الرجال وتكون في النساء، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ

مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة:٧٥]، وأفضل الصديقين علىٰ الإطلاق أصدقهم، وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة - الذي استجاب للنبي ﷺ حين دعاه إلىٰ الإسلام ولم يحصل عنده أي تردد أو توقف، بمجرد ما دعاه الرسول إلىٰ الإسلام أسلم، وصدَّق النبي ﷺ حين كذَّبه قومُه، وصدَّقه حين تحدث عن الإسراء والمعراج وكذَّبه الناسُ، وقالوا: كيف تذهب يا محمد من مكة إلىٰ بيت المقدس وترجع في ليلة واحدة، ثم تقول: إنك صعدت إلىٰ السماء! هذا لا يمكن.

ثم ذهبوا إلىٰ أبي بكر وقالوا له: أما تسمع ما يقول صاحبك؟ قال: ماذا قال؟ قالوا: إنه قال كذا وكذا، قال: إن كانَ قدْ قال ذلك فقد صدق، فمنذ ذلك اليوم سُمِّي: الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما الكذب فإنه قال: «وإياكم والكذب».

إياكم: أسلوب تحذير؛ أي: احذروا الكذب، وهو الإخبار بما يخالف الواقع سواء كان بالقول أو بالفعل.

فإذا قال قائل: ما اليوم؟ فقلت: اليوم يوم الخميس، أو يوم الثلاثاء فكذب؛ لأنه لا يطابق الواقع؛ لأن اليوم الأربعاء. وهذا علىٰ سبيل المثال.

والمنافق كاذب؛ لأن ظاهره يدل علىٰ أنه مسلم وهو كافر، فهو كاذب بفعله.

وقوله: «وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور»؛ يعني: الخروج عن طاعة الله؛ لأن الإنسان يفسق ويتعدىٰ طوره ويخرج عن طاعة الله إلىٰ معصيته، وأعظم الفجور: الكفر.

فإن الكفرة فجرة كما قال الله تعالىٰ: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس:٤٢]،

وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المطففين:٧-١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٤]، فالكذب يهدي إلىٰ الفجور، والفجور يهدي إلىٰ النار.

وقوله: «وإن الرجل ليكذب»، وفي لفظ: «لا يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يُكتب عند الله كذابًا»، والكذب من الأمور المحرمة، بل قال بعض العلماء: إنه من كبائر الذنوب؛ لأن الرسول ﷺ توعَّده بأنه يُكتب عند الله كذابًا.

ومن أعظم الكذب: ما يفعله الناس اليوم، يأتي بالمقالة كذبًا لكن من أجل أن يُضحك الناسَ، وقد جاء في الحديث الوعيد علىٰ هذا، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «ويلٌ لمن حدَّث فكذب ليضحك به القوم، ويلٌ له، ثم ويلٌ له»[(٢٨٠)]، وهذا وعيد علىٰ أمرٍ سهلٍ عند كثيرٍ من الناس.

فالكذب كله حرام، وكله يهدي إلىٰ الفجور، ولكن يُستثنىٰ من ذلك ثلاثة أشياء: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث المرأة زوجها وحديثه إياها[(٢٨١)].

ولكن بعض أهل العلم قال: إن المراد بالكذب في هذا الحديث: التورية، وليس الكذب الصريح، وقالوا: التورية قد تُسمَّىٰ كذبًا كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات؛ ثنتين في ذات الله تعالىٰ: قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة...»

---

(٢٨٠) أخرجه أبو داود (٤٩٩٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢٨١) أخرجه مسلم (٢٦٠٥) من حديث أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها.

الحديث، وهو لم يكذب، إنما ورَّىٰ تورية هو فيها صادق.[٢٨٢]

وسواء كان هذا أو هذا فإن الكذب لا يجوز إلا في هذه الثلاث علىٰ رأي كثيرٍ من أهل العلم.

وأشد شيء في الكذب: أن يكذب ويحلف ليأكل أموال الناس بالباطل، مثل أن يدَّعىٰ عليه بحقٍّ ثابتٍ فينكر، ويقول: والله ما لك عليَّ حقٌّ، أو يدَّعي ما ليس له فيقول: لي عندك كذا وكذا، وهو كاذب؛ فهذا إذا حلف علىٰ دعواه وكذب فإن ذلك هو اليمين الغموس التي تَغمس صاحبَها في الإثم، ثم تغمسه في النار - والعياذ بالله -.

وحسبك بهذا الخُلُق الذي يخضع لحسنه وكماله ألبّاء الرجال، ويعترف بكماله أهل الفضل والكمال، فهو من جملة البراهين علىٰ صدق الرسول، وكمال ما جاء به من هذا الدين القيّم الذي هذا الخلق العظيم من أخلاقه، وكلُّ أخلاقه علىٰ هذا النمط، والله أعلم.

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ تحري الصدق والاعتناء به.

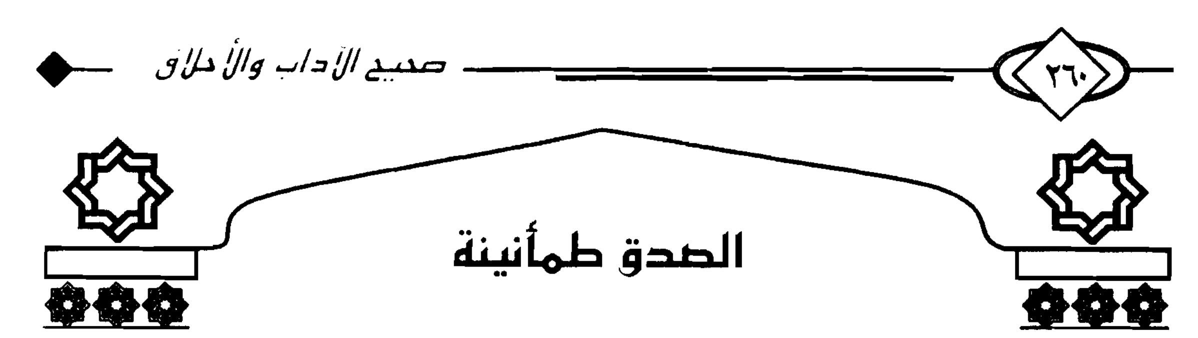
٢- التحذير من الكذب والتساهل فيه.

٣- بيان جزاء الصادق يوم القيامة وأنه مع الصديقين.

٤- بيان صفة الكذابين وعقابهم.

---

(٢٨٢) أخرجه البخاري (٣١٧٩)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



الصدق طمأنينة

عَنْ أبي مُحَمَّدٍ الْحَسنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أبي طَالِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: حفِظْتُ مِنْ رسولِ الله ﷺ: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمأنينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ»(٢٨٣).

معانى الكلمات:

الريبة: الظن والشك.

دع: اترك.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث باب عظيم من أبواب الوَرع والاحتياط.

وقد سلك أهل العلم - رحمهم الله - في أبواب الفقه هذا المَسْلكَ، وهو الأخذ بجانب الاحتياط، وذكروا لذلك أشياءً كثيرة.

منها: إنسان أصاب ثوبه نجاسة، ولا يدري هل هي في مقدم الثوب أو في مؤخره؟ إن غسل المقدم صار عنده ريبة لاحتمال أنْ تكُون في مُؤخر الثوب، وإن غسل المؤخر صار عنده ريبة لاحتمال أن تكون في مقدم الثوب، فما هو الاحتياط؟ الاحتياط أن يغسل مقدمه ومؤخره حتىٰ تَزُول ريبته ويَطْمئن.

ومنها: لو شك الإنسان في صلاته هلْ صَلىٰ ركعتين أو ثلاث ركعات ولم يترجح عنده شيء فهنا إن أخذ بركعتين صار عنده ريبة فلَعله نقص. وإن أخذ

---

(٢٨٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٧).

بالثلاث صار عنده ريبة فلعله لم ينقص لكن يبقىٰ قلقًا. فهنا يعمل بما لا ريبة فيه فيعمل بالأقل، فإذا شَك هل هي ثلاث أو أربع فليجعلها ثلاثًا وهكذا، فهذا الحديث أصلٌ من أصول الفِقه أن الشيء الذي تشكُّ فيه اتركه إلىٰ شيءٍ لا شَك فيه.

ثم إن فيه تربية نفسية وهي أن الإنسان يكون في طُمأنِينة ليس في قلقٍ؛ لأن كثيرًا من الناس إذا أخذ ما يشك فيه يكون عنده قلق إذا كان حي القلب، فإذا قطع الشك باليقين زالَ عنه ذلك.

قال النبي ﷺ: «**فإن الصدقَ طُمَأنِينَة**» وهذا وجه الشاهد من هذا الحديث لهذا الباب.

فالصدق طمأنينة لا يندم صاحبه أبدًا، ولا يقول: ليتني وليت؛ لأن الصدق مَنجاة، والصادقون يُنجيهم الله بصدقهم، وتجد الصادق دائمًا مطمئنًا؛ لأنه لا يتأسَّف علىٰ شيءٍ حصل أو يَحْصُل في المستقبل؛ لأنه قد صدق، «**ومَنْ صَدَق نجا**».

أما الكذب: فبين النبي ﷺ أنه ريبة؛ ولهذا تجد أول مَنْ يرتاب في الكاذب: نفسُه، فيرتاب هل يصدقه الناس أو لا يُصَدقونه. ولهذا تجد الكاذب إذا أخبرك بالخبر قام يحلف بالله أنَّه صادق لئلا يُرتاب في خبره مع أنه مَحَل ريبة.

تجد المنافقين مثلًا يحلفون بالله ما قالوا، ولكنهم في ريبة قال الله: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التوبه: ٧٤]. فالكذب لا شك أنَّه ريبة وقلق للإنسان، وَيرْتاب الإنسان هل عَلِمَ الناس بكَذِبه أم لم يعلموا؟ فلا يزال في شك واضطراب.

إذًا، نأخذ من هذا الحديث: أنه يجب علىٰ الإنسان أن يَدَع الكذب إلىٰ

الصدق؛ لأن الكذب ريبة والصِّدق طمأنينة، وقد قال النبي ﷺ: «**دع مَا يَرِيبُك إلىٰ ما لا يَرِيبُك**» والله الموفق.

فوائد الحديث:

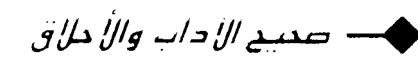
١- دليل علىٰ الأخذ بالاحتياط.

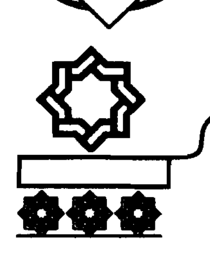
٢- فيه أن الصدق نجاة لصاحبه.

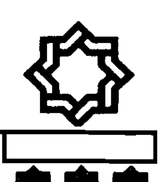
٣- الحث علىٰ فضيلة الورع.

٤- الصدق يبعث علىٰ الطمأنينة.

٤- الكذب يولد الشك والارتياب.







خلق الكرم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(٢٨٤).

معانى الكلمات:

خلفًا: عوضًا.

تلفًا: هلكًا وفناءً.

المعنى الإجمالي:

والمراد بذلك من يمسك عما أوجب الله عليه من بذل المال فيه، وليس كل ممسك يُدعىٰ عليه، بل الذي يمسك ماله عن إنفاقه فيما أوجب الله، فهو الذي تدعو عليه الملائكة بأن الله يتلفه ويتلف ماله.

والتلف نوعان: تلف حسي، وتلف معنوي.

١- التلف الحسي: أن يتلف المال نفسه بأن يأتيه آفة تحرقه أو يُسرق أو ما أشبه ذلك.

٢- التلف المعنوي: أن تُنزع بركته بحيث لا يستفيد الإنسان منه في حياته، ومنه ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال لأصحابه: أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا وماله أحب إليه، -

(٢٨٤) البخاري (١٤٦٤)، ومسلم (٢٣٨٣).

فمالك أحب إليك من مال زيد وعمرو وخالد ولو كان من ورثتك - قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخَّر، وهذه حكمة عظيمة ممن أُوتي جوامع الكلم ﷺ، فمالك الذي تقدمه لله عز وجل تجده أمامك يوم القيامة، ومال الوارث ما يبقىٰ بعدك من مالك فينتفع به ويأكله الوارث، فهو مال وارثك علىٰ الحقيقة، فأنفق مالك فيما يرضي الله، وإذا أنفقت فإن الله يخلفه وينفق عليك كما قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالىٰ: «أَنْفِقْ يا ابن آدم أُنْفِق عليك»(٢٨٥).

وهذه الأحاديث كلها، وكذلك الآيات تدل علىٰ أنه ينبغي للإنسان أن يبذل ماله حسب ما شرع الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين - يعني لا غبطة ولا أحد يغبط علىٰ ما أعطىٰ الله سبحانه وتعالى من مالٍ وغيره إلا في اثنتين فقط الأولىٰ -: رجل أعطاه الله مالًا فسلَّطه علىٰ هلكته في الحق - صار لا يبذله إلا فيما يرضي الله، هذا يُحسَد لأنك الآن تجد التجار يختلفون؛ منهم مَنْ ينفق أمواله في سبيل الله (طبع الكتب إعانة علىٰ الجهاد وما أشبه ذلك) فهذا سُلِّط علىٰ هلكته في الحق، ومنهم مَنْ يسلطه علىٰ هلكته في اللذائذ المحرمة - والعياذ بالله - يسافر إلىٰ الخارج فيزني ويشرب الخمر ويلعب القمار ويتلف ماله فيما يغضب الرب عز وجل، فالذي سلَّطه الله علىٰ هلكة ماله في الحق يغبط؛ لأن الغالب أن الذي يستغني يبطر ويمرح ويفسق، فإذا رُؤي أن هذا الرجل الذي أعطاه الله المال ينفقه في سبيل الله فهو يغبط -. والثانية: رجل آتاه الحكمة - يعني العلم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣]، فهو يقضي بها ويعلمها(٢٨٦)، يقضي

---

(٢٨٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٧)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٨٦) أخرجه البخاري (٧٠٩١)، ومسلم (٨١٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بها في نفسه، وفي أهله، وفيمن تحاكم عنده، ويعلمها الناس أيضًا، لا يقتصر علىٰ أن يأتيه الناس فيقول: إذا جاءوني حكمت وقضيت، بل يقضي ويعلم ويبدأ الناس بذلك، فهذا لا شك أنه مغبوط علىٰ ما آتاه عَزَّوَجَلَّ من الحكمة.

والناس في الحكمة ينقسمون إلىٰ أقسام: قسم آتاه الله الحكمة فبخل بها حتىٰ علىٰ نفسه، لم ينتفع بها في نفسه، ولم يعمل بطاعة الله، ولم ينته عن معصية الله، فهذا خاسر - والعياذ بالله - وهذا يشبه اليهود الذين علموا الحق واستكبروا عنه.

وقسم ثانٍ: آتاه الله الحكمة فعمل بها في نفسه، لكن لم ينفع بها عبادَ الله، وهذا خير من الذي قبله، لكنه ناقص.

وقسم ثالث: أعطاه الله الحكمة فقضىٰ بها وعمل بها في نفسه وعلمها الناس، فهذا خير الأقسام.

وهناك قسم رابع: لم يؤتَ الحكمة إطلاقًا فهو جاهل، وهذا حُرم خيرًا كثيراً، لكنه أحسن حالًا ممن أوتي الحكمة ولم يعمل بها؛ لأن هذا يُرجىٰ إذا علم أن يتعلم ويعمل، بخلاف الذي أعطاه الله العلم وكان علمه وبالًا عليه - والعياذ بالله -.

فوائد الحديث:

١- بيان أن النعمة قد تكون خيرًا علىٰ الإنسان وقد تكون شرًّا.

٢- وجوب إنفاق المال في الحق، وفي الطاعة.

٣- بيان أن المال المُنفق في سبيل الله يخلفه الله علىٰ صاحبه.



فضل الصدقة

عَن عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٢٨٧) متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ لهما عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُه رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَه تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُر بَيْنَ يَدَيْه فَلا يَرَى إلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» (٢٨٨).

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث في بيان شيءٍ من طرق الخيرات؛ لأن طرق الخيرات- ولله الحمد - كثيرة، شرعها الله لعباده ليصلوا بها إلىٰ غاية المقاصد، فمن ذلك الصدقة، فإن الصدقة كما صح عن النبي ﷺ: «تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار» (٢٨٩)؛ يعني: كما لو أنك صببت ماءً علىٰ النار انطفأت، فكذلك الصدقة تطفئ الخطيئة.

ثم ذكر المؤلف هذا الحديث الذي بيَّن فيه أن الله عَزَّ وَجَلَّ سيكلم كلَّ إنسان علىٰ حدة يوم القيامة. قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ **[الانشقاق: ٦]؛ يعني: سوف تلاقي ربك ويحاسبك علىٰ هذا الكدح؛**

---

(٢٨٧) أخرجه البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٢٨٨) أخرجه البخاري (٧٤٤٣، ٧٥١٢).

(٢٨٩) أخرجه الترمذي (٦١٤).

أي: الكد والتعب الذي عملت، ولكن ذلك بشرىٰ للمؤمنين كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] الحمد لله؛ المؤمن إذا لاقىٰ ربه فإنه علىٰ خير.

ولهذا قال النبي ﷺ هنا في الحديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه تَرْجمان»؛ يعني: يكلمه الله يوم القيامة بدون مترجم. يكلم اللهُ كلَّ عبدٍ مؤمنٍ، فيقرره بذنوبه، يقول له: عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فإذا أقر بها وظن أنه قد هلك، قال: «إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»، فكم من ذنوبٍ علينا سترها الله عَزَّوَجَلَّ لا يعلمها إلا هو، فإذا كان يوم القيامة أتمَّ علينا النعمة بمغفرتها وعدم العقوبة عليها، ولله الحمد. ثم قال: «فينظر أيمن منه»؛ يعني: عن يمينه «فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظر أشأم منه»؛ أي: علىٰ يساره «فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرىٰ إلا النار تلقاء وجهه»، قال النبي ﷺ: «فاتقوا النار ولو بشق تمرة»؛ يعني: ولو بنصف تمرة أو أقل.

ففي هذا الحديث: دليل علىٰ كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه عَزَّوَجَلَّ يتكلم بكلام مسموع مفهوم، لا يحتاج إلىٰ ترجمة، يعرفه المخاطب به.

وفيه: دليل علىٰ أن الصدقة لو قلَّت، فإنَّها تنجي من النار؛ لقوله: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» قال: فإن لم يجد فبكلمة طيبة»؛ يعني: إن لم يجد شق تمرة فليتق النار بكلمة طيبة. والكلمة الطيبة تشمل قراءة القرآن، فإن أطيب الكلمات القرآن الكريم، وكذلك تشمل التسبيح والتهليل، وكذلك تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشمل تعليم العلم وتعلم العلم، وتشمل كذلك كل ما يتقرب به الإنسانُ إلىٰ ربِّه من القول، يعني إذا لم تجد شق تمرة؛ فإنك تتقي النار ولو بكلمة طيبة.

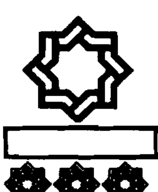
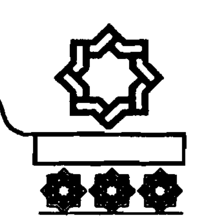
فهذا من طرق الخير وبيان كثرتها ويسرها، فالحمد لله أن شق التمرة تنجي

من النار، وأن الكلمة الطيبة تنجي من النار. نسأل الله أن ينجينا وإياكم من النار.

فوائد الحديث:

١- دليل علىٰ كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

٢- دليل علىٰ أن الصدقة ولو قلَّت فإنَّها تنجي من النار.

خلق الإنفاق والعفو والتواضع

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وما زَادَ اللهُ عبدًا بعَفْوٍ إلا عِزًّا. وما تَوَاضَعَ أحدٌ لله إلا رَفَعَه الله» (٢٩٠).

معاني الكلمات:

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث احتوىٰ علىٰ فضل الصدقة، والعفو والتواضع، وبيان ثمراتها العاجلة والآجلة، وأن كل ما يتوهمه المتوهم من نقص الصدقة للمال، ومنافاة العفو للعز، والتواضع للرفعة: وهمٌ غالط، وظن كاذب.

فالصدقة لا تنقص المال؛ لأنه لو فرض أنه نقص من جهة، فقد زاد من جهات أُخر؛ فإن الصدقة تبارك المال، وتدفع عنه الآفات وتنميه، وتفتح للمتصدق من أبواب الرزق وأسباب الزيادة أمورًا ما تفتح علىٰ غيره. فهل يقابل ذلك النقص بعض هذه الثمرات الجليلة؟.

فالصدقة لله التي في محلها لا تنفد المال قطعًا، ولا تنقصه بنص النبي ﷺ، وبالمشاهدات والتجربات المعلومة. هذا كله سوىٰ ما لصاحبها عند الله: من الثواب الجزيل، والخير والرفعة.

وأما العفو عن جنايات المسيئين بأقوالهم وأفعالهم: فلا يتوهم منه الذل، بل هذا عين العز، فإن العز هو الرفعة عند الله وعند خلقه، مع القدرة علىٰ قهر

(٢٩٠) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

الخصوم والأعداء.

ومعلوم ما يحصل للعافي من الخير والثناء عند الخلق وانقلاب العدو صديقًا، وانقلاب الناس مع العافي، ونصرتهم له بالقول والفعل علىٰ خصمه، ومعاملة الله له من جنس عمله، فإن من عفا عن عباد الله عفا الله عنه. وكذلك المتواضع لله ولعباده يرفعه الله درجات؛ ؛ فإن الله ذكر الرفعة في قوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة:١١]

فمن أجلّ ثمرات العلم والإيمان: التواضع؛ فإنه الانقياد الكامل للحق، والخضوع لأمر الله ورسوله؛ امتثالاً للأمر، واجتنابًا للنهي، مع التواضع لعباد الله، وخفض الجناح لهم، ومراعاة الصغير والكبير، والشريف والوضيع. وضد ذلك التكبر؛ فهو غمط الحق، واحتقار الناس.

وهذه الثلاث المذكورات في هذا الحديث: مقدمات صفات المحسنين. فهذا محسن في ماله، ودفع حاجة المحتاجين. وهذا محسن بالعفو عن جنايات المسيئين. وهذا محسن إليهم بحلمه وتواضعه، وحسن خلقه مع الناس أجمعين. وهؤلاء قد وسعوا الناس بأخلاقهم وإحسانهم ورفعهم الله فصار لهم المحل الأشرف بين العباد، مع ما يدخر الله لهم من الثواب.

وفي قوله ﷺ: «**وما تواضع أحد لله**» تنبيه علىٰ حسن القصد والإخلاص لله في تواضعه؛ لأن كثيرًا من الناس قد يظهر التواضع للأغنياء ليصيب من دنياهم، أو للرؤساء لينال بسببهم مطلوبه. وقد يظهر التواضع رياء وسمعة. وكل هذه أغراض فاسدة. لا ينفع العبد إلا التواضع لله تقربًا إليه. وطلبًا لثوابه، وإحسانًا إلىٰ الخلق؛ فكمال الإحسان وروحه الإخلاص لله[٢٩١].

---

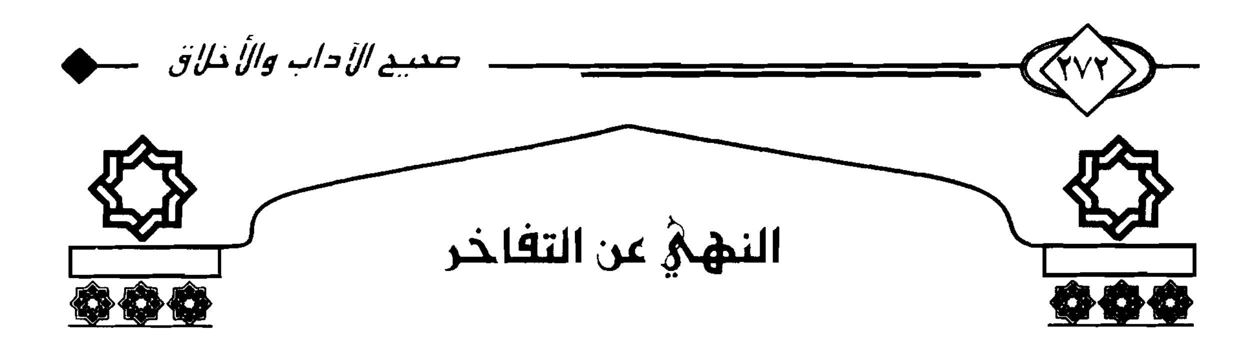
(٢٩١) انظر: كتاب (بهجة قلوب الأبرار) حديث رقم (٣٤) للعلامة عبد الرحمن السعدي.

فوائد الحديث:

١- **الصدقة** لا تنقص المال بل هي من أسباب زيادة الرزق.

٢- **العفو** رفعة عند الله وعند خلقه، مع القدرة علىٰ قهر الخصوم والأعداء.

٣- **التواضع** من أجلّ ثمرات العلم والإيمان.



النهي عن التفاخر

عن عِيَاضِ بنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أَوحَى إِلَيَّ أَنْ تَواضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلى أَحدٍ، ولا يَبغِيَ أَحَدٌ على أَحَدٍ»[٢٩٢].

المعنى الإجمالي:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحىٰ إليَّ أن تواضعوا»؛ يعني: أن يتواضع كل واحدٍ للآخر ولا يترفع عليه، بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان من عادة السلف - رحمهم الله - أن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه، ومن هو أكبر مثل أبيه، ومَنْ هو مثله مثل أخيه، فينظر إلىٰ مَنْ هو أكبر منه نظرةَ إكرامٍ وإجلال، وإلىٰ مَنْ هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلىٰ مَنْ هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحدٌ علىٰ أحدٍ، وهذا من الأمور التي يجب علىٰ الإنسان أن يتَّصف بها، أي بالتواضع لله عَزَّ وَجَلَّ ولإخوانه من المسلمين.

وأما الكافر: فقد أمر الله تعالىٰ بمجاهدته والغلظة عليه وإغاظته وإهانته بقدر المستطاع، لكن مَنْ كان له عهد وذمة فإنه يجب علىٰ المسلمين أن يَفُوا له بعهده وذمته، وألا يخفروا ذمته، وألا يؤذوه ما دام له عهد.

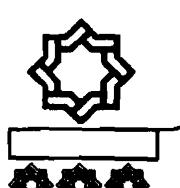
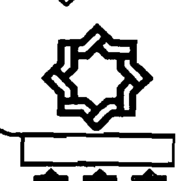
(٢٩٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ التواضع بين المؤمنين.

٢- النهي عن التفاخر.

٣- النهي عن البغي.

خلق الحياء

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»[(٢٩٣)].

وفي حديث آخر متفق عليه: عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قال: قال النبي ﷺ: «الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ»، فقال بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: «إِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ وَقَارًا، وَإِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةً»، فقال لَهُ عِمْرَانُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صَحِيفَتِكَ[(٢٩٤)].

وفي رواية عند مسلم: عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قال: كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ مِنَّا وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ، فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»، قال: أَوْ قال: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ». فَقال بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوِ الْحِكْمَةِ: أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَارًا للهِ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قال: فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقال: أَلاَ أَرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتُعَارِضُ فِيهِ. قال: فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ، قال: فَأَعَادَ بُشَيْرٌ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ، قال: فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ، إِنَّهُ لاَ بَأْسَ بِهِ[(٢٩٥)].

---

(٢٩٣) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (١٦٣).
(٢٩٤) أخرجه البخاري (٦١١٧)، مسلم (١٦٥).
(٢٩٥) أخرجه مسلم (١٦٦).

معاني الكلمات:

يعظ: ينصح.

دعه: اتركه.

الحياء: خلق يبعث علىٰ ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

المعنى الإجمالي:

الحياء صفة في النفس تحمل الإنسان علىٰ فعل ما يجمل ويزين، وترك ما يدنس ويشين، فتجده إذا فعل شيئًا يخالف المروءة استحيا من الناس، وإذا فعل شيئًا محرمًا استحيا من الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا ترك واجبًا استحيا من الله، وإذا ترك ما ينبغي فعله استحيا من الناس، فالحياء من الإيمان؛ ولهذا ذكر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ مرَّ برجلٍ من الأنصار يعظ أخاه في الحياء؛ يعني: أنه يحثُّه عليه ويرغبه فيه، فبيَّن النبي عليه الصلاة والسلام أن الحياء من الإيمان، وقال عليه الصلاة والسلام في حديثٍ آخر: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان»[(٢٩٦)]، وإذا كان عند الإنسان حياء وجدته يمشي مشيًا مستقيمًا ليس بالعجلة التي يُذم عليها، وليس بالتماوت الذي يُذم عليه أيضًا كذلك، إذا تكلم تجده لا يتكلم إلا بالخير وبكلامٍ طيب وبأدبٍ وأسلوبٍ رفيعٍ، وإذا لم يكن حييًّا فإنه يفعل ما شاء، كما جاء في حديث الصحيح: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولىٰ إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»[(٢٩٧)]، وكان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في

---

(٢٩٦) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (١٦٢،١٦١).

(٢٩٧) أخرجه البخاري (٦١٨٨).

خدرها، العذراء: المرأة التي لم تتزوج، وعادتها أن تكون حيِّة، فالرسول عليه الصلاة والسلام أشد حياءً من العذراء في خدرها، ولكنه لا يستحي من الحق، يتكلم بالحق ويصدع به لا يبالي بأحد، فعليك يا أخي باستعمال الحياء والأدب والتخلق بالأخلاق الطيبة التي تُمدَح بها بين الناس.

فوائد الحديث:

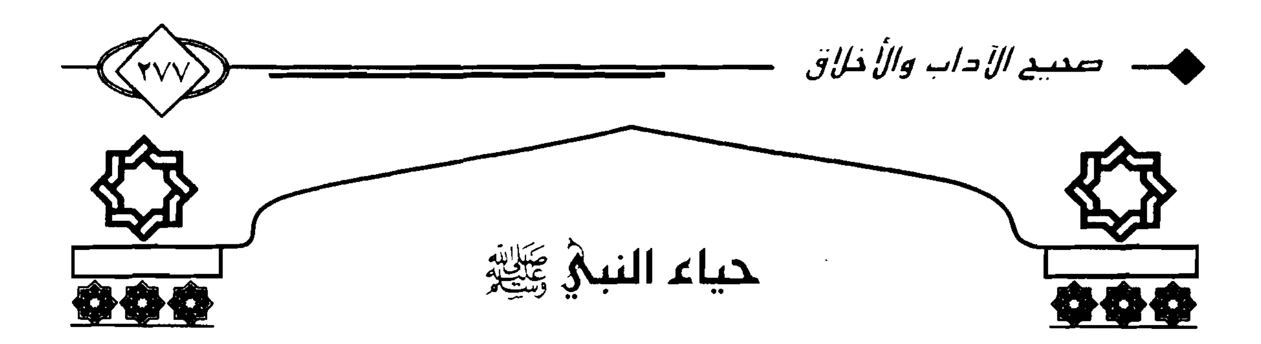
١- بيان الأخلاق التي يجب التخلُّق بها.

٢- وجوب النصيحة عند تدني الأخلاق.

٣- بيان مراتب الإيمان، وبيان شعبه.

٤- بيان حياء النبي ﷺ، وأنه كان أشد حياءً من العذراء في خدرها.

٥- وجوب التحلي بالآداب والأخلاق الطيبة.



حياء النبي ﷺ

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فَإِذَا رأى شَيْئًا يَكْرَهُه عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ(٢٩٨).

معاني الكلمات:

العذراء: البِكْر.

الخدر: كل ما واراك من بيت ونحوه وستر يُعَدُّ للمرأة في ناحية البيت.

المعنى الإجمالي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها. العذراء: هي المرأة التي لم تتزوج، وهي أشد النساء حياءً؛ لأنها لم تتزوج ولم تعاشر الرجال، فتجدها حييَّة في خدرها، فرسول الله ﷺ أشد حياءً منها، ولكنه ﷺ إذا رأىٰ ما يكره؛ عُرِف ذلك في وجهه، يتغير وجهه، لكن يستحي ﷺ.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يكون حييًّا لا يتخبط، ولا يفعل ما يُخجل، ولا يفعل ما يُنتَقد عليه، ولكن إذا سمع ما يكره أو رأىٰ ما يكره، فإنه يتأثر، وليس من الرُّجولة أن لا تتأثَّر بشيءٍ؛ لأن الذي لا يتأثَّر بشيءٍ هو البليد الذي لا يحس، لكن تتأثر ويمنعك الحياء أن تفعل ما يُنكر، أو أن تقول ما يُنكر.

---

(٢٩٨) أخرجه البخاري (٣٥٦٢)، مسلم (٢٣٢٠).

ثم إن الحياء لا يجوز أن يمنع الإنسان من السؤال عن دينه فيما يجب عليه؛ لأن ترك السؤال عن الدين فيما يجب ليس حياءً، ولكنه خورٌ، فالله سبحانه وتعالىٰ لا يستحي من الحق.

قالت عائشة رضي الله عنها: «نِعْمَ النساءُ نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يَتفقَّهن في الدين»[(٢٩٩)]. فكانت المرأة تأتي تسأل النبي ﷺ عن الشيء الذي يستحي من ذِكْرِه الرجالُ، فلا بد أن يسأل الإنسان عن دينه ولا يستحيي.

ولهذا لما جاء ماعزُ بن مالك رضي الله عنه إلىٰ النبي ﷺ جاء مُقرًّا بالزنىٰ، فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم جاء ثانيةً وقال: إنه زنىٰ، فأعرض عنه، ثم جاء ثالثة وقال: إنه زنىٰ، فأعرض عنه النبي ﷺ يريد أن يتوب فيتوب الله عليه.

فلما جاء الرابعة ناقشه النبيُّ ﷺ قال: «أبِكَ جنونٌ؟» قال: لا يا رسول الله. قال: «أتدرىٰ ما الزنىٰ». قال: نعم. الزنىٰ أن يأتي الرجل من المرأة حرامًا ما يأتي الرجل من زوجته حلالًا، فقال له: «أنكتها»[(٣٠٠)]؛ لا يُكنِّي، بل صرَّح هنا، مع أن هذا مما يُستحىٰ منه، لكن الحق لا يُستحىٰ منه، قال له: «أنكتها». قال: نعم. قال: «حتىٰ غاب ذاك منك في ذلك منها كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر». قال نعم[(٣٠١)]. فهذا شيء يُستحىٰ منه، ولكن في باب الحق لا يُستحىٰ.

جاءت أم سليم إلىٰ رسول الله ﷺ تسأله، فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، هل علىٰ المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ قال: «نعم، إذا

---

(٢٩٩) أخرجه مسلم (٣٣٢).

(٣٠٠) أخرجه البخاري (٦٨٢٤).

(٣٠١) أخرجه أبو داود (٤٤٢٨)، وانظر الإرواء (٢٣٥٤).

هي رأت الماء» (٣٠٢).

هذا السؤال ربما يخجل منه الرجل أن يسأله، ولا سيما في المجلس، لكن أم سليم لم يمنعها الحياء من أن تعرف دينها وتتفقه فيه.

وعلىٰ هذا، فالحياء الذي يمنع من السؤال عما يجب السؤال عنه حياء مذموم، ولا ينبغي أن نسميه حياءً، بل نقول: إن هذا خَوَر وجبن، وهو من الشيطان، فاسأل عن دينك ولا تستحِ.

أما الأشياء التي لا تتعلّق بالأمور الواجبة، فالحياء خيرٌ من عدم الحياء، «وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأُولىٰ: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» (٣٠٣)، ومما يجانب الحياء ما يفعله بعض الناس الآن في الأسواق من الكلام البذيء السيئ، أو الأفعال السيئة أو ما أشبه ذلك، فلذلك يجب علىٰ الإنسان أن يكون حييًّا إلا في أمرٍ يجب عليه معرفته فلا يستحيي من الحق.

فوائد الحديث:

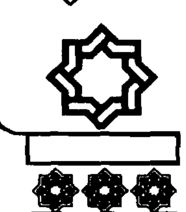
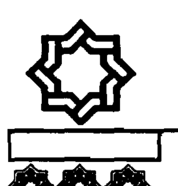
١- الحث علىٰ الحياء.

٢- الحياء لايمنع التفقه في الدين.

---

(٣٠٢) أخرجه البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣١٣).

(٣٠٣) أخرجه البخاري (٣٤٨٤).

خلق حفظ السر

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ»، قَالَت: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، قَالَت: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ)(٣٠٤).

معاني الكلمات:

السِّر: هو ما يقع خفيةً بينك وبين صاحبك، ولا يحل لك أن تفشي هذا

---

(٣٠٤) أخرجه البخاري (٥٩٢٨) وأخرجه مسلم (٢٤٥٠). وهذا لفظ مسلم.

السر وتبينه لأحد، سواء أوصاك باللفظ كأن يقول لك: لا تخبر أحدًا، أو علم بالقرينة الفعلية كأن يحدثك وهو يلتفت في إشارةٍ أنه لا يحب أن يُطْلِعَ أحدًا علىٰ مقولته، أو علم بالقرينة الحالية كأن يكون هذا الذي حدثك به من الأمور التي يُستحيا ويُخشىٰ من ذكرها.

عزمت عليك: أقسمت عليك.

لما أخبرتني: إلا أخبرتني.

أفشي علىٰ رسول الله سره؛ أي: أبوح به وأظهره.

يُعارضه القرآن: يُدارسه القرآن.

الأجل: الموت.

الجزع: الحزن.

المعنى الإجمالي:

ذكر في هذا الحديث قصة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ بكت لما سارَّها النبي ﷺ حيث أخبرها بأن جبريل قد عارضه القرآن مرتين، وأنه يظن بذلك اقتراب الأجل ودنوِّه، فبكت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأشفق النبي ﷺ لما رأىٰ حزنها وجزعها عليه، فكأنه واساها فبشرها بأنها سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت سرورًا بذلك، فلما سألتها أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عما قال لها رسول الله فقالت: ما كنت لأظهر وأبوح بسرِّ النبي ﷺ فلما توفي رسول الله ﷺ، قالت: (عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟) أي: أقسمت عليك بما عليَّ من حقٍّ عليك أن تخبريني بما أخبرك به رسول الله فقالت: أما الآن فنعم، فأخبرتها بما سرَّه النبي ﷺ إليها.

وقال ابن التين: (يُستفاد من قول عائشة: (عزمت عليك بما لي عليك من

الحق) جواز العزم بغير الله، قال: وفي المدونة عن مالك: إذا قال: (أعزم عليك بالله) فلم يفعل لم يحنث، وهو كقوله: (أسألك بالله) وإن قال: (أعزم بالله) أن تفعل فلم يفعل حنث؛ لأن هذا يمين»(٣٠٥).

والذي عند الشافعية أن ذلك في الصورتين يرجع إلىٰ قصد الحالف، فإن قصد يمين نفسه فيمين، وإن قصد يمين المخاطب، أو الشفاعة، أو أطلق فلا(٣٠٦).

فوائد الحديث:

١- بيان فضيلة السيدة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فهي سيدة نساء هذه الأمَّة.

٢- استحباب كتم السر وعدم إفشائه حتىٰ يزول المانع من ذلك، فهذه الطيبة الطاهرة بنت رسول الله ﷺ حفظت سرَّه طيلة حياته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٣- جواز البكاء الخالي من الصراخ والعويل والنياحة ولطم الخدود؛ لأنه رحمة جعلها الله في قلب عبده المؤمن.

---

(٣٠٥) فتح الباري ابن حجر (١١/ ٨٠).

(٣٠٦) فتح الباري ابن حجر (١١/ ٨٠).



فضيلة الرفق

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأَمْرِ كُلِّه»(٣٠٧).

وعنها أَن النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلَى العُنفِ وَما لا يُعْطِي عَلَى ما سِوَاهُ»(٣٠٨).

وعنها أَن النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ الرِّفق لا يَكُونُ في شيءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلاَّ شَانَهُ»(٣٠٩).

معاني الكلمات:

زانه: جمَّله وحسَّنه.

شانه: شوَّهه وعابه.

المعنى الإجمالي:

الرفق محبوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه ما كان في شيءٍ إلا زانه، ولا نُزع من شيءٍ إلا شانه، ففيه الحثُّ علىٰ أن يكون الإنسان رفيقًا في جميع شئونه؛ رفيقًا في معاملة أهله، وفي معاملة إخوانه، وفي معاملة أصدقائه، وفي معاملة عامة الناس يرفق بهم، فإن الله تعالىٰ رفيق يحب الرفق.

---

(٣٠٧) البخاري (٦٢٥٦)، مسلم (٢١٦٥).

(٣٠٨) أخرجه مسلم (٢١٦٥).

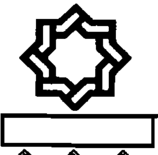
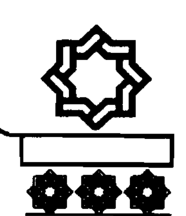
(٣٠٩) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

ولهذا فإن الإنسان إذا عامل الناس بالرفق يجد لذةً وانشراحًا، وإذا عاملهم بالشدة والعنف ندم، ثم قال: ليتني لم أفعل، لكن بعد أن يفوت الأوان، أما إذا عاملهم بالرفق واللين والأناة انشرح صدره، ولم يندم علىٰ شيء فعله.

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح وحسن الأخلاق والآداب.

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ أن يكون الإنسان رفيقًا في جميع شئونه.

خلق التيسير والحلم

عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّهَا قالت: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلهِ(٣١٠).

معاني الكلمات:

قط: نهائيًّا.

تُنتهك حرمة الله: تنالها بما لا يحل.

المعنى الإجمالي:

فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهـًا، قال القاضي: ويحتمل أن يكون تخييره ﷺ هنا من الله تعالىٰ فيخيره فيما فيه عقوبتان أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة أو الاقتصار، وكان يختار الأيسر في كل هذا. قال: وأما قولها: «ما لم يكن إثمًا»: فيتصور إذا خيَّره الكفار والمنافقون، فأما إن كان التخيير من الله تعالىٰ أو من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعـًا. قولها: «وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله» وفي رواية [٢٣٢٨]: «ما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله تعالىٰ فينتقم لله

---

(٣١٠) البخاري (٦١٩٤)، ومسلم (٦١٩٠).

تعالىٰ» معنىٰ: «نيل منه»: أصيب بأذىٰ من قولٍ أو فعلٍ. وانتهاك حرمة الله تعالىٰ: هو ارتكاب ما حرَّمه. قولها: «إلا أن تنتهك حرمةُ الله»: استثناء منقطع معناه: لكن إذا انتُهكت حرمة الله انتصر لله تعالىٰ وانتقم ممن ارتكب ذلك في هذا الحديث الحث علىٰ العفو والحلم واحتمال الأذىٰ والانتصار لدين الله تعالىٰ ممن فعل محرمًا أو نحوه، وفيه أنه يستحبُّ للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بهذا الخلق الكريم، فلا ينتقم لنفسه، ولا يهمل حق الله تعالىٰ. قال القاضي عياض: وقد أجمع العلماء علىٰ أن القاضي لا يقضي لنفسه، ولا لمن لا يجوز شهادته له.

قولها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله»: فيه: أن ضرب الزوجة والخادم والدابة - وإن كان مباحًا للأدب - فتركه أفضل.

يحتمل أن يكون هذا التخيير ليس من الله؛ لأن الله لا يخير رسوله بين أمرين عليه في أحدهما إثم، فمعنىٰ هذا الحديث: ما خُيِّر رسول الله ﷺ أصحابه بين أن يختار لهم أمرين من أمور الدنيا علىٰ سبيل المشورة والإرشاد إلا اختار لهم أيسر الأمرين ما لم يكن عليهم في الأيسر إثم؛ لأن العباد غير معصومين من ارتكاب الإثم، ويحتمل أن يكون ما لم يكن إثمًا في أمور الدين، وذلك أن الغلو في الدين مذموم، والتشديد فيه غير محمودٍ؛ لقوله ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين» فإذا أوجب الإنسان علىٰ نفسه شيئًا شاقًا عليه من العبادة فادحًا له ثم لم يقدر علىٰ التمادي فيه كان ذلك إثمًا، ولذلك نهىٰ النبي ﷺ أصحابه عن الترهب. قال أبو قلابة: (بلغ النبي ﷺ أن قومًا حرموا الطِّيب واللحمَ، منهم عثمان بن مظعون وابن مسعود وأرادوا أن يَخْتَصُوا، فقام النبي ﷺ علىٰ المنبر فأوعد في ذلك وعيدًا شديدًا، ثم قال: «إني

لم أُبْعث بالرهبانية، وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة، وإن أهل الكتاب إنَّما هلكوا بالتشديد، وشدَّدوا فشُدِّد عليهم، ثم قال: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا البيت، واستقيموا يستقم لكم».

قال الداودي: وقولها: وما انتقم رسول الله لنفسه، يعني: إذا أوذي بغير السب الذي يخرج إلىٰ الكفر، مثل الأذىٰ في المال والجفاء في رفع الصوت فوق صوته، ونحو التظاهر الذي تظاهرت عليه عائشة وحفصة، ومثل جبذ الأعرابي له حتىٰ أثَّرت حاشيةُ البُرد في عنقه أخذاً منه بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورىٰ: ٤٣]، وأما إذا أوذي فذلك كفرٌ، وهو انتهاك حرمة الله، فيجب عليه الانتقام لنفسه، وكذلك فعل في ابن خطل يوم فتح مكة حين تعوَّذ بالكعبة من القتل، فأمر بقتله دون سائر الكفار؛ لأنه كان يكثر من سبِّه، وقد أمر بقتل قينتين كانتا تغنيان بسبه، وانتقم لنفسه؛ لأنه مَنْ سبَّ رسول الله ﷺ فقد كفر، ومن كفر فقد آذىٰ الله ورسوله، وكذلك قال: «من لكعب بن الأشرف فقد آذىٰ الله ورسوله»[٣١١]، فانتقم منه لذلك. قال المهلب: ولا يحل لأحدٍ من الأئمة ترك حرمات الله أن تُنتهك، وعليهم تغيير ذلك. وقد رُوي عن مالك في الرجل يُؤذَّىٰ وتنتهك حرمته ثم يأتيه الظالم المنتهك لحرمته فيسأله الغفران. فقال: لا أرىٰ أن يغفر له. ووجه قول مالك إذا كان معروفًا بانتهاك حرم المسلمين فلا يجب أن يجري علىٰ هذا، ويرد بالإغلاظ عليه والقمع له وعن ظلم أحد.

إنما كان ﷺ لا يواجه الناس بالعتاب يعني علىٰ ما يكون في خاصَّة نفسه كالصبر علىٰ جهل الجاهل وجفاء الأعرابي، ألا ترىٰ أن ترك الذي جبذ البردة من

(٣١١) أخرجه البخاري (٢٣٧٥)، ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

عنقه حتىٰ أثرت جبذته فيه؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه، وهذا معنىٰ حديث أبي سعيد، فأما أن تُنتهك من الدين حرمة فإنه كان لا يترك العتاب عليها والتقريع فيها ويصدع بالحق فيما يجب علىٰ منتهكها ويقتص منه، سواء كان حقًّا لله، أو من حقوق العباد. فإن قيل: فإن كان معنىٰ حديث أبي سعيد ما ذكرت من أنه ﷺ كان لا يُعاتب فيما يكون في خاصَّة نفسه، فقد وجه بالعتاب في حديث عائشة، وخطب بذلك ذكره في باب مَنْ لم يواجه الناس بالعتاب؟ فالجواب: أن هذا العتاب وإن كان خطب به فلم يُعيِّن مَنْ أراد به، ولا يقرعه من بين الناس، وكل ما جرىٰ هذا المجرىٰ من عتابٍ يعم الكل ولايقصد به أحد بعينه، فهو رفق بمن عنىٰ به، وستر له كما أراد عمر بن الخطاب - حين أمر الناس كلهم بالوضوء يوم الجمعة، وهو يخطب - ومن أجل الرجل الذي أحدث بين يديه للستر له والرفق به، وليس ذلك بمنزلة أمره له بالوضوء من بينهم وحده في الستر له لو فعل ذلك، وإنما فعل ذلك ﷺ - والله أعلم - لأن كل رخصة في دين الله فالعباد مخيرون بين الأخذ بها والترك لها، وكان ﷺ رفيقًا بأمته حريصًا علىٰ التخفيف عنهم، فلذلك خفَّف عنهم العتاب؛ لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة، وقد ترك عتابهم مرةً أخرىٰ علىٰ ترك الرخصة، وأخذهم بالشدة حينًا.

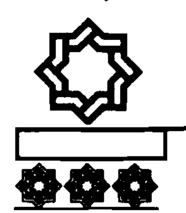
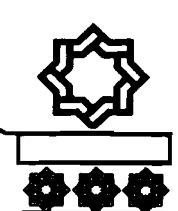
فوائد الحديث:

١- بيان أن الحِلْم ليس مطلقًا كما أن الانتقام ليس مطلقًا.

٢- بيان حلم النبي ﷺ وأنه لم يغضب لنفسه ولم ينتقم لها.

٣- بيان دعوة الإسلام إلىٰ اليسر والتيسير.

٤- بيان أن النبي كان يأخذ بالأيسر دائمًا ما لم يكن إثمًا.

التيسير والتبشير

عن أَنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّروا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا»(٣١٢).

معاني الكلمات:

يسروا: سهلوا.

المعنى الإجمالي:

هذه أربع جمل: الأولىٰ قوله: «يسروا»؛ يعني: اسلكوا ما فيه اليسر والسهولة؛ سواء كان فيما يتعلق بأعمالكم أو معاملاتكم مع غيركم، ولهذا كان النبي ﷺ من هديه أنه: ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النّاس عنه(٣١٣).

فأنت اختر الأيسر لك في كل أحوالك، حتىٰ في العبادات، وفي المعاملات مع الناس، وفي كل شيء؛ لأن اليسر هو الذي يريده الله عَزَّوَجَلَّ منا، ويريده بنا: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فمثلًا، إذا كان لك طريقان إلىٰ المسجد؛ أحدهما: صعب فيه حصىٰ وأحجار وأشواك، والثاني سهل، فالأفضل أن تسلك الأسهل، وإذا كان هناك ماءان وأنت في الشتاء، وكان أحدهما باردًا يؤلمك، والثاني ساخنًا ترتاح له،

---

(٣١٢) البخاري (٦٩)، مسلم (١٧٣٤).

(٣١٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

فالأفضل أن تستعمل الساخن؛ لأنه أيسر وأسهل، وإذا كان يمكن أن تحجَّ علىٰ سيارةٍ أو تحج علىٰ بعيرٍ، والسيارة أسهل، فالحج علىٰ السيارة أفضل.

فالمهم: أنه كل ما كان أيسر فهو أفضل ما لم يكن إثمًا؛ لأن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: كان الرسول ﷺ ما خُيِّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، أما إذا كان فعل العبادة لا يتأتىٰ إلا بمشقةٍ، وهذه المشقة لا تسقطها عنك ففعلتها علىٰ مشقة، فهذا أجرٌ يزداد لك، فإن إسباغ الوضوء علىٰ المكاره مما يرفع الله به الدرجات ويكفر به الخطايا، لكن كون الإنسان يذهب إلىٰ الأصعب مع إمكان الأسهل هذا خلاف الأفضل، فالأفضل اتباع الأسهل في كل شيء.

وانظر إلىٰ الصوم، قال فيه الرسول ﷺ: «لا يزال الناس بخيرٍ ما عجلوا الفطر»[(٣١٤)]، وفي حديث آخر: «وأخِّروا السُّحور»[(٣١٥)] لماذا؟ لأن تأخير السحور أقوىٰ علىٰ الصوم مما لو تقدم، والمبادرة بالفطر أسهل وأيسر علىٰ النفس لا سيما مع طول النهار وشدة الظمإ.

فهذا وغيره من الشواهد يدل علىٰ أن الأيسر أفضل، فأنت يَسِّر علىٰ نفسك.

كذلك أيضًا في مزاولة الأعمال، فإذا رأيت أنك إذا سلكت هذا العمل فهو أسهل وأقرب ويحصل به المقصود، فلا تتعب نفسك في أعمال أخرىٰ أكثر من اللازم وأنت لا تحتاج إليها، بل افعل ما هو أسهل في كل شيء، وهذه قاعدة: أن اتباع الأسهل والأيسر هو الأرفق بالنفس والأفضل عند الله.

---

(٣١٤) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٣١٥) رواه أحمد (٢١٣٥)، وأصله رواه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

«ولا تُعسِّروا»؛ يعني: لا تسلكوا طرق العسر لا في عبادتكم، ولا في معاملاتكم، ولا في غير ذلك، فإن هذا منهي عنه فلا تعسر؛ ولهذا لما رأى النبي ﷺ رجلًا واقفًا في الشمس، سأل عنه، قالوا: يا رسول الله، هو صائم؛ نذر أن يصوم ويقف في الشمس، فنهاه وقال له: لا تقف في الشمس[٣١٦]؛ لأن هذا فيه عسر على الإنسان ومشقة، والرسول ﷺ يقول: لا تعسر.

«وبشروا»؛ يعني: اجعلوا طريقكم دائمًا البشارة، بشروا أنفسكم وبشروا غيركم؛ يعني: إذا عملت عملًا فاستبشر وبشِّر نفسك، فإذا عملت عملًا صالحًا فبشر نفسك بأنه سيُقبل منك إذا اتقيت الله فيه؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وإذا دعوت الله فبشر نفسك أن الله يستجيب لك؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

ولهذا قال بعض السلف: مَنْ وُفِّق للدعاء فليبشِّر بالإجابة؛ لأن الله قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فأنت بَشِّرْ نفسك في كل عمل.

وهذا يؤيده أن النبي ﷺ كان يكره الطِّيَرَةَ ويعجبه الفأل[٣١٧]؛ لأن الإنسان إذا تفاءل نشط واستبشر وحصل له خير، وإذا تشاءم فإنه يتحسر، وتضيق نفسه، ولا يقدم على العمل، ويعمل وكأنه مكره، فأنت بَشِّرْ نفسك، كذلك بَشِّرْ غيرك، فإذا جاءك إنسانٌ، قال: فعلت كذا وفعلت كذا وهو خائف، فبشره، وأدخل عليه السرور.

لا سيما في عيادة المريض؛ فإذا عُدْت مريضًا فقل له: أَبْشِرْ بالخير، وأنت على خير، ودوامُ الحال من المحال، والإنسان عليه أن يصبر ويحتسب ويؤجر

---

(٣١٦) أخرجه البخاري (٦٧٠٤).

(٣١٧) أخرجه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

علىٰ ذلك، وما أشبه ذلك، وبَشِّرْه قائلًا: أنت اليوم وجهك طيب، وما أشبه ذلك؛ لأنك بهذا تُدخل عليه السرور، وتبشره، فأنت اجعل طريقك هكذا فيما تعامل به نفسك وفيما تعامل به غيرك، الزم البشارة تدخل السرور علىٰ نفسك، وتدخل السرور علىٰ غيرك، فهذا هو الخير.

«ولا تنفروا»؛ يعني: لا تُنفِّروا الناس عن الأعمال الصالحة، ولا تنفروهم عن الطرق السليمة، بل شَجِّعوهم عليها، حتىٰ في العبادات لا تنفروهم.

ومن ذلك: أن يُطيل الإمام بالجماعة أكثر من السُّنَّة، فإن معاذ بن جبل ﷺ كان إذا صلىٰ مع النبي ﷺ صلاة العشاء، ذهب إلىٰ قومه فصلىٰ بهم تلك الصلاة، فدخل يومًا من الأيام في الصلاة، فشرع في سورة طويلة، فانصرف رجل وصلىٰ وحده، فقيل: نافق فلان، فذهب الرجل للنبي ﷺ، ثم إن معاذًا أتىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال له: «أفتَّان أنت يا معاذ»(٣١٨).

وكذلك الرجل الآخر قال له الرسول ﷺ: «إن منكم مُنفِّرين فأيكم أمَّ الناس فليخفف»(٣١٩).

فالتنفير لا ينبغي؛ فلا تنفر الناس بل لِنْ لهم، حتىٰ في الدعوة إلىٰ الله ﷻ لا تدعُهم إلىٰ الله دعوة مُنفِّرٍ، لا تقل إذا رأيت إنسانًا علىٰ خطإٍ: يا فلان، أنت خالفت، أنت عصيت، أنت فيك.. إلىٰ آخره، هذا ينفرهم ويزيدهم في التمادي في المعصية، ولكن ادعهم بهون ولين حتىٰ يألفك ويعرف ما تدعو إليه، وبذلك تمتثل أمر النبي ﷺ في قوله: «بشروا ولا تنفروا».

فاجعل هذا الحديث رأس مالك: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا

---

(٣١٨) أخرجه البخاري (٧٠٥) ومسلم (٤٦٥).

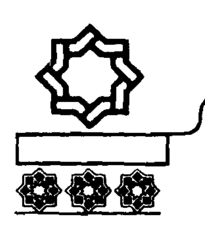
(٣١٩) أخرجه البخاري (٧٠٢)، ومسلم (٤٦٦).

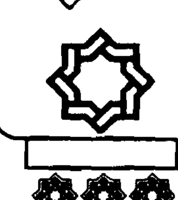
تنفروا» سِرْ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذا الأصل، وعلىٰ هذا الطريق، وسِرْ مع عباد الله علىٰ ذلك تجد الخير كله.

فوائد الحديث:

- حث الإسلام علىٰ التيسير.
- استحباب سَوْق الأخبار الحسنة.
- استحباب البشارة.
- علىٰ المسلم ألا يكون مُنفِّرًا.
- مراعاة أحوال الناس عند التعامل.







خلق الإحسان

عن شدّاد بن أوْس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» (٣٢٠).

المعنى الإجمالي:

الإحسان هو بذل المعروف القولي والفعلي والمالي إلىٰ الخلق. فأعظم الإحسان تعليم الجاهلين، وإرشاد الضالين، والنصيحة لجميع العالمين.

ومن الإحسان: إعانة المحتاجين، وإغاثة الملهوفين، وإزالة ضرر المضطرين، ومساعدة ذوي الحوائج علىٰ حوائجهم، وبذل الجاه والشفاعة للناس في الأمور التي تنفعهم.

ومن الإحسان المالي: جميع الصدقات المالية، سواء كانت علىٰ المحتاجين، أو علىٰ المشاريع الدينية العام نفعها.

ومن الإحسان: الهدايا والهبات للأغنياء والفقراء، خصوصاً للأقارب والجيران، ومن لهم حق علىٰ الإنسان من صاحب ومُعامل وغيرهم.

ومن أعظم أنواع الإحسان: العفو عن المخطئين المسيئين، والإغضاء عن زلأتهم، والعفو عن هفواتهم (٣٢١).

واعلم أن الإحسان المأمور به نوعان:

---

(٣٢٠) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

(٣٢١) انظر كتاب: فتح الرحيم الملك العلام (ص ١١٧) للعلامة عبد الرحمن السعدي.

أحدهما: واجب، وهو الإنصاف، والقيام بما يجب عليك للخلق بحسب ما توجب عليك من الحقوق.

والثاني: إحسان مستحب. وهو ما زاد علىٰ ذلك من بذل نفع بدني، أو مالي، أو علمي، أو توجيه لخير ديني، أو مصلحة دنيوية، فكل معروف صدقة، وكل ما أدخل السرور علىٰ الخلق صدقة وإحسان. وكل ما أزال عنهم ما يكرهون، ودفع عنهم ما لا يرتضون من قليل أو كثير، فهو صدقة وإحسان(٣٢٢).

فوائد الحديث:

وللإحسان بوجوهه كلِّها فوائد لا تحصىٰ.

منها: حصول محبة الله للمحسنين التي هي أعلىٰ ما يناله العبد.

ومنها: حصول الجزاء الكامل. قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، وقال ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠]. فالجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا إلىٰ عباد الله أحسن الله إليهم وأعطاهم أفضل ما يعطي أولياءه من الجزاء الأوفىٰ الأكمل.

ومنها: أنَّ هذا من أكبر أسباب محبة الخلق له، من وصل إليه إحسانه ومن لم يصل إليه، وثنائهم عليه وكثرة أدعيتهم له، وذلك من الأمور المتنافس فيها.

ومنها: أنَّه يستفيد بذلك سرور القلب وراحته وطمأنينته، لا سيما إحسان العفو، فإنَّه إذا عفىٰ عمن ظلمه وأساء إليه، زال أثر ذلك عن قلبه، وعلم أنَّه اكتسب عن ذلك من ربه أفضل جزاء وأعظم ثواب.

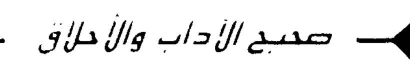
---

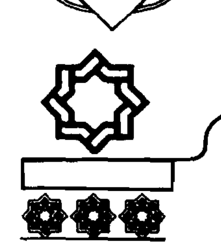
(٣٢٢) انظر: كتاب (بهجة قلوب الأبرار) حديث رقم (٦١) للعلامة عبد الرحمن السعدي.

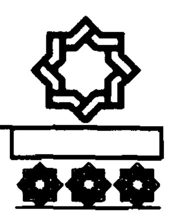
وأيضًا: فمن عفىٰ عن عباد الله عفىٰ الله عنه، ومن سمح عنهم سامحه الله.

ومن أفضل الإحسان الذي يتمكن به الموفق من معاملة الناس علىٰ اختلاف طبقاتهم: البشاشة وحسن الخلق معهم، ومعاشرتهم باللطف والكرم، وإبداء كلِّ ما يقدر عليه من إدخال السرور عليهم، وخصوصًا الأقارب والأصحاب ونحوهم ممن يتأكد حقهم علىٰ العبد، وأنَّ العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم.









الحلم والتأني

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَشَجِّ عبْدِ الْقَيْس: «إِنَّ فيك خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله: الحِلْمُ وَالأَنَاة»[٣٢٣].

معاني الكلمات:

خصلتين: صفتين.

الحِلْم: ترك العجلة، وهو خلاف الطيش.

الأناة: عدم التسرع في أخذ القرار.

المعنى الإجمالي:

الحِلْم: عندما يُثار الإنسان ويُجنىٰ عليه ويُعتدىٰ عليه يَحْلم، لكنه ليس كالحمار لا يبالي بما فعل به، يتأثَّر لكن يكون حليمًا لا يتعجل العقوبة، حتىٰ إذا صارت العقوبة خيرًا من العفو أخذ بالعقوبة.

والأناة: التأني في الأمور وعدم التسرع، وما أكثرَ ما يهلك الإنسان ويزل بسبب التعجل في الأمور! سواء في نقل الأخبار، أو في الحكم علىٰ ما سمع، أو في غير ذلك.

فمن الناس مثلًا من يتخطَّف الأخبار بمجرد ما يسمع الخبر يُحدِّث به وينقله، وقد جاء في الحديث: **«كفىٰ بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع»**[٣٢٤].

---

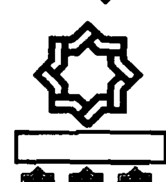
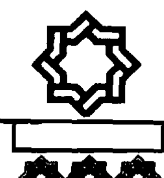
(٣٢٣) أخرجه مسلم (١٧).

(٣٢٤) أخرجه مسلم (٥).

ومن الناس مَنْ يتسرَّع في الحكم، يسمع عن شخص شيئًا من الأشياء، ويتأكد أنه قاله أو أنه فعله، ثم يتسرَّع في الحكم عليه، أنه أخطأ أو ضلَّ أو ما أشبه ذلك، وهذا غلط، التأني في الأمور كلها خيرٌ.

فوائد الحديث:

١- إثبات صفة الحب لله تعالىٰ.
٢- الحث علىٰ الحِلْم.
٣- عدم التسرع في الأمور.
٤- الحث علىٰ التأني.

الحسد المحمود

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال: النبي ﷺ: «لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ في الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»(٣٢٥).

وفي رواية عند البخاري ومسلم: عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ حَسَدَ إلاَّ عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْكِتَابَ وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا فَهْوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»(٣٢٦).

معاني الكلمات:

الحسد: تمني زوال النعمة، وهنا بمعنىٰ الغبطة.

هلكته: إنفاقه.

الحكمة: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويُراد بها العلم، وتُطلق علىٰ السُّنَّة.

آناء: أطراف.

المعنى الإجمالي:

الحسد يطلق ويُراد به الحسد المحرم الذي هو من كبائر الذنوب، وهو أن

---

(٣٢٥) البخاري (٧٣)، ومسلم (١٩٣٣).

(٣٢٦) البخاري (٥٠٧٧)، ومسلم (١٩٣١).

يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره، هذا الحسد: أن تكره ما أنعم الله به على غيرك، تجد إنسانًا عنده مال فتكره تقول: ليت الله ما رزقه، عنده علمٌ تكره ذلك وتتمنى أن الله لم يرزقه العلم، عنده أولاد صالحون تكره ذلك وتتمنى أن الله لم يرزقه، وهلم جرًّا، هذا النوع من الحسد من كبائر الذنوب.

وهو من خصال اليهود كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء:٥٤]، وقال عنهم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩].

أما النوع الثاني من الحسد فهو حسد الغبطة؛ يعني: الذي تغبط به غيرك أن أنعم الله عليه بمال أو علم أو ولد أو جاه أو غير ذلك، الناس يغبط بعضهم بعضًا على ما آتاهم الله من النعم يقول: ما شاء الله، فلان أعطاه الله كذا، فلان أعطاه الله كذا، لكن لا غبطة إلا في شيئين - الغبطة الحقيقية التي يغبط عليها الإنسان - الأول: العلم النافع، وهو المراد بقوله: «رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»، هذا العلم إذا منَّ الله على إنسانٍ بعلم فصار يقضي به بين الناس سواء كان قاضيًا أو غير قاضٍ، وكذلك يقضي به في نفسه وعلى نفسه، ويعلم الناس؛ فهذا هو الغبطة؛ لأن العلم هو أنفع شيء، أنفع من المال، أنفع من الأعمال الصالحة؛ لأنه إذا مات وانتفع الناس بعلمه جرى ذلك عليه إلى يوم القيامة، كلما انتفع به إنسانٌ من الناس فله أجر العلم، كلما أنفقت منه وعلمته ازداد؛ ولهذا من أقوى ما يُثبت العلم ويُبقي حفظه أن يعلمه الإنسان غيره؛ لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فإذا علَّمت غيركُ علَّمك الله، وإذا علَّمت غيرك ثبت العلمُ في نفسك، لكن لا تتقدم للتعليم إلا وأنت أهلٌ له حتى ينفع الله بك، وحتى لا تفشل أمام الناس؛ لأن الذي يتقدم للتعليم

وليس أهلًا له بين أمرين: إما أن يقول بالباطل وهو لا يشعر، وإما أن يفشل، وإذا سُئل عجز عن الإجابة مثلًا، فهذا العلم كلما أنفقت منه ازداد، أيضًا العلم لا يحتاج إلىٰ تعبٍ إلا في تعلُّمه، لا يحتاج مثلًا إلىٰ خزائن كالمال، المال يحتاج إلىٰ خزائن، وإلىٰ محاسبين، وإلىٰ حسابات، لكن العلم لا يحتاج إلىٰ هذا، خزينته قلبك وهو معك أينما كنت، فلا تخشىٰ عليه، لا تخشىٰ أن يُسرق، ولا أن يحرق؛ لأنه في قلبك، فالمهم أن العلم هو أفضل نعمةٍ أنعم الله بها علىٰ الإنسان بعد الإسلام والإيمان؛ ولهذا قال: «رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

أما الثاني: فهو «رجلٌ آتاه الله مالًا فسلَّطه علىٰ هلكته في الحق»؛ يعني: صار يبذل ماله فيما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ، لا يبذله في حرام، ولا يبذله في لغوٍ، وإنما يبذله فيما يرضي الله، سلَّطه الله علىٰ هلكته؛ يعني: علىٰ إنفاقه في الحق، هذا أيضًا ممن يغبط، نحن لا نغبط مَنْ عنده مال عظيم لكنه بخيل لا ينفق المال، لا نغبطه بل هذا نتأوَّه له ونقول: هذا المسكين كيف يستطيع الجواب يوم القيامة علىٰ هذا المال، من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وكيف تصرَّف فيه؟ لكن إذا رأينا رجلًا آتاه الله مالًا وصار ينفقه فيما يرضي الله، نقول: ما شاء الله، هذا يُغبط، لا نغبط إنسانًا آتاه الله مالًا فسلطه علىٰ هلكته في القصور والديكورات والسيارات الفخمة، نحن لا نغبطه علىٰ هذا، بل نقول: هذا مسرف إذا كان تجاوز الحد فيما ينفق، والله لا يحب المسرفين.

كذلك لا نغبط شخصًا عنده مال فصار ينفق منه جوائز في أشياء لا ينتفع الناس بها لا في دينهم ولا في دنياهم، فإن بعض الناس يعطي جوائز علىٰ ألعاب وأشياء من الأمور التي ليس بها خير، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، هذا لا نغبطه؛ لأنه لم يُسلَّط علىٰ هلكة ماله في الحق، إنما الذي يُغبط مَنْ سلطه الله هلكةَ ماله

في الحق أيضًا، لا نحسد إنسانًا آتاه الله مالًا فصار كل مَا عَنَّ له أن يتزوج تزوج، وجمع عنده من النساء الحسان ما لا يجمعه غيره، هذا لا نغبطه أيضًا إلا إذا كان سلَّطه الله علىٰ هلكته في الحق، وأراد بذلك تحصين فرجه وتحصيل السُّنَّة وكثرة النسل، هذا مقصودٌ شرعيٌّ يُغبط عليه الإنسان.

فوائد الحديث:

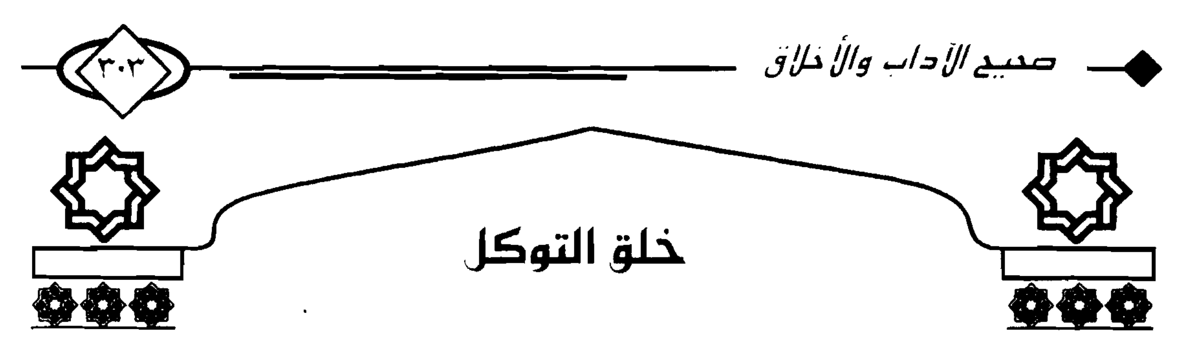
١- بيان فضل الكرم.

٢- بيان أن صاحب المال الذي سلط علىٰ هلكته في الحق خير ممن بخل واستغنىٰ.

٣- بيان فضل صاحب العلم.

٤- بيان باب المنافسة في فعل الخير.

٥- أن من الحسد ما هو محمود.



خلق التوكل

عنْ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ: «لَوْ أنَّكم تتوكَّلونَ على اللهِ حقَّ تَوكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَما يرزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِماصًا وترُوحُ بِطَانًا» (٣٢٧).

معاني الكلمات:

خماصًا: ضامرة البطون.

بطانًا: ممتلئة البطون.

المعنى الإجمالي:

التوكل خلق جليل يضطر إليه العبد في أموره كلِّها دينيِّها ودنيويها، لأنَّه وإن كان الله تعالىٰ قد أعطىٰ العبد قدرة وإرادة تقع بها أفعاله الاختيارية، ولم يجبره علىٰ شيء منها، فإنَّه لا حول له ولا قوة إلا بالله، فإذا اعتمد بقلبه اعتماداً كلياً قوياً علىٰ ربه في تحصيل وتكميل ما يريد فعله من أمور دينه ودنياه، ووثق به أعانه وقوّىٰ إرادته وقدرته، ويسّر له الأمر الذي قصده، وصرف عنه الموانع أو خففها، وتضاعفت قوة العبد وازدادت قدرته، لأنَّه استمد واستماح من قوة الله التي لا تنفد ولا تبيد.

والتوكل الحقيقي يطرد عن العبد الكسل، ويوجب له النشاط التام علىٰ الأمر الذي توكل علىٰ الله به، ولا يتصاعب شاقاً، ولا يستثقل أي عمل، ولا ييأس من النجاح وحصول مطلوبه، عكس ما يظنه بعض المنحرفين الذين لم

---

(٣٢٧) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٢٥٤).

يفهموا معنىٰ التوكل، أو فهموه لكن إنكار القدر والقضاء صرفهم عن الحق، فحسبوا أنَّ التوكل يضعف الهمة والإرادة، وأساؤوا غاية الإساءة حيث ظنوا بربهم الظن السوء، فإنَّ الله أمر بالتوكل في آيات كثيرة.

وأخبر أنَّه من لوازم الإيمان ووعد المتوكلين: الكفاية وحصول المطلوب، وأخبر أنَّه يحبهم، وأنَّه لا يتم الدين إلا به، ولا تتم الأمور إلا به، فالدين والدنيا مفتقرات إلىٰ التوكل(٣٢٨).

وقوله: «حق توكُّله»؛ أي: توكُّلًا حقيقيًّا تعتمدون علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ اعتمادًا كاملًا في طلب رزقكم وفي غيره.

«**لَرَزَقَكُم كمَا يَرزُقُ الطير**»: الطَّير رزقها علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنها طيور ليس لها مالك فتطير في الجو وتغدو إلىٰ أوكارها وتستجلب رزق الله عَزَّوَجَلَّ.

«**تغدو خماصًا**» الغُدو: الذَّهاب في أول النَّهار. وخماصًا: جائعة كما قال الله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] مخمصة: مجاعة.

«**تغدو خماصًا**» ليس في بطونها شيء، لكنها متوكلةٌ علىٰ ربها عَزَّوَجَلَّ. «**وتروح بطانًا**»؛ أي: ترجع في آخر النهار؛ لأن الرَّواح هو آخر النهار. «**بطانًا**»؛ أي: ممتلئة البطون من رزق الله عَزَّوَجَلَّ. ففي هذا دليل علىٰ مسائل:

أولًا: أنه ينبغي للإنسان أن يعتمد علىٰ الله حق الاعتماد.

ثانيًا: أنَّه ما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها حتىٰ الطير في جوِّ السماء، لا يمسكه في جو السماء إلا الله، ولا يزرقه إلا الله. كل دابةٍ في الأرض من أصغر ما يكون كالذرِّ، أو أكبر ما يكون كالفيلة وأشباهها، فإنَّ علىٰ الله

---

(٣٢٨) انظر كتاب: فتح الرحيم الملك العلام (ص ١٠٧)، للعلامة عبد الرحمن السعدي.

رزقَها كما قال الله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦] ولقد ضل ضلالًا مبينًا مَنْ أساءَ الظن بربه، فقال: لا تكثروا الأولاد، تضيق عليكم الأرزاق!!

كذبوا ورب العرش، فإذا أكثَروا من الأولاد أكثر اللهُ رزقَهم؛ لأنه ما من دابةٍ في الأرض إلا علىٰ الله رزقها.

فرزق أولادك وأطفالك علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، هو الذي يفتح لك أبواب الرزق من أجل أن تنفق عليهم، لكن أكثر الناس عندهم سوء ظن بالله، ويعتمدون علىٰ الأمور المادية المنظورة ولا ينظرون إلىٰ المدَىٰ البعيد، وإلىٰ قدرة الله، وأنه هو الذي يرزق ولو كثر الأولاد، أكْثِرْ من الأولاد تكثر لك الأرزاق، هذا هو الصَّحيح؛ وفي هذا دليل علىٰ أنَّ الإنسان إذا توكَّل علىٰ الله حق التَّوكل فليَفعل الأسباب.

وضلَّ مَنْ قال: لا أفعل السبب وأنا متوكِّل. فهذا غير صحيح؛ المتوكل هو الذي يفعل الأسباب معتمدًا علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا قال: «**كما يرزُق الطَّير، تغدو خماصًا**» تذهب لتطلب الرِّزق، ليست الطيور في أوكارها، ولكنها تغدو وتطلب الرزق. فأنت إذا توكلت علىٰ الله حقَّ التَّوكل؛ فلابد أن تفعل الأسباب التي شرعها الله لك من طلب الرِّزق من وجهٍ حلالٍ بالزِّراعة، بالتِّجارة، بالعمالة، بأي شيءٍ من أسباب الرِّزق.

اطلب الرِّزق معتمدًا علىٰ الله ييسر الله لك الرِّزق.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الطُّيور وغيرها من مخلوقات الله تعرف الله كما قال الله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ أي: ما من شيء إلا يسبح بحمد الله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

فالطُّيور تعرف خالقها عَزَّوَجَلَّ وتطير تطلب الرزق بما جَبَلها الله عليه من الفطرة التي تهتدي بها إلىٰ مصَالحها، وتغدو إلىٰ أوكارها في آخر النهار بطونها ملأىٰ، وهكذا دوَاليك في كل يوم، والله عَزَّوَجَلَّ يرزقها وُييسر لها الرزق.

وانظر إلىٰ حكمة الله كيف تغدو هذه الطيور إلىٰ محلاتٍ بعيدةٍ وتهتدي بالرُّجوع إلىٰ أماكنها لا تخطئها؛ لأن الله أعطىٰ كل شيء خَلْقه ثم هدَىٰ. والله الموفق.

فوائد الحديث:

١- وجوب التوكل علىٰ الله في كل شيء.

٢- مَنْ صدق في اللجء إلىٰ الله كفاه الله.

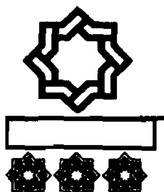
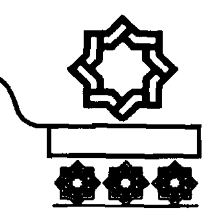
٣- ما من دابةٍ في الأرض إلا علىٰ الله رزقها.

٤- السعي في الأرض من متطلبات التوكل.

٥- النهي عن التواكل.

٦- وجوب تعلق القلب بالله تعالىٰ.



خلق العدل

عن عبد اللهِ بنِ عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ المُقسِطينَ عِنْدَ اللهِ عَلى مَنابِرَ مِنْ نورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عز وجل، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهليهِمْ وما وَلُوا»(٣٢٩).

معاني الكلمات:

المقسطين: العادلين.

المعنى الإجمالي:

العدل من الوالي ألا يفرق بين الناس؛ لا يجور علىٰ أحدٍ، ولا يُحابي غنيًّا لغناه، ولا قريبًا لقرابته، ولا فقيرًا لفقره، ولكن يحكم بالعدل، حتىٰ إن العلماء رحمهم الله قالوا: يجب علىٰ القاضي أن يستعمل العدل مع الخصمين، ولو كان أحدهما كافرًا؛ يعني لو دخل كافر ومسلم علىٰ القاضي، فإن الواجب أن يعدل بينهم في الجلوس والمكالمة والملاحظة بالعين وغير ذلك؛ لأن المقام مقام حكمٍ يجب فيه العدل، وإن كان بعض الجُهَّال يقول: لا، قَدِّمِ المسلمَ. نقول: لا يجوز أن نقدِّم المسلمَ؛ لأن المقام مقام محاكمة ومعادلة، فلابد من العدل في كل شيء.

فالنبي ﷺ قال: «المقسطون علىٰ منابر من نور يوم القيامة، الذين يعدلون في أهليهم وما وَلُوا» يعني: أن المقسطين العادلين في أهليهم وفيمن ولاَّهم الله

(٣٢٩) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

عليه، يكونون على منابر من نورٍ يوم القيامة على يمين الله عز وجل.

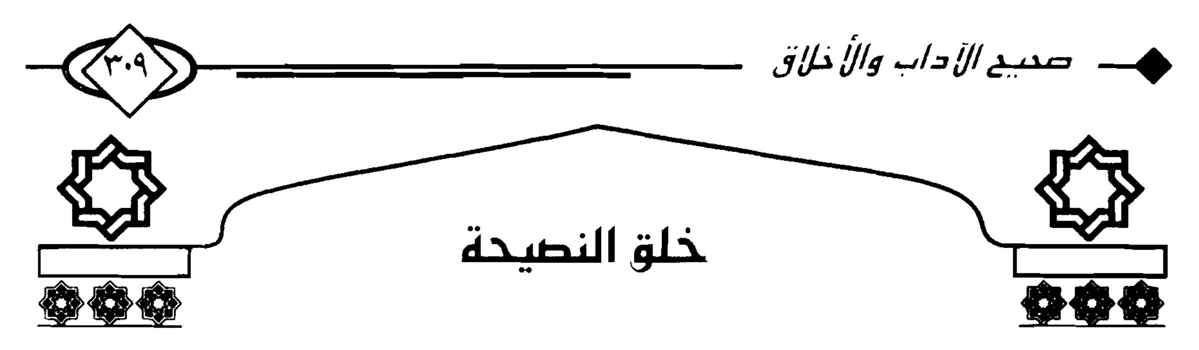
وهذا دليلٌ على فضل العدل في الأهل، وكذلك في الأولاد، وكذلك أيضًا في كل من ولاَّك الله عليه، واعدل حتى تكون على منبرٍ من نورٍ عن يمين الله عز وجل يوم القيامة.

فوائد الحديث:

١- الحث على الحكم بالعدل.

٢- علو مرتبة الحاكم بالعدل.

٣- إثبات صفة اليد لله تعالى.



خلق النصيحة

عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قالوا: لِمَنْ يا رسولَ الله؟ قال: «للهِ، وَلِكِتَابِه، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم» (٣٣٠).

معاني الكلمات:

المقسطين: العادلين.

المعنى الإجمالي:

كرر النبي ﷺ هذه الكلمة اهتمامًا للمقام، وإرشادًا للأُمة أن يعلموا حق العلم أن الدين كله -ظاهره وباطنه- منحصر في النصيحة. وهي القيام التام بهذه الحقوق الخمسة.

فالنصيحة لله: الاعتراف بوحدانية الله. وتفرده بصفات الكمال علىٰ وجه لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، والقيام بعبوديته ظاهرًا وباطنًا، والإنابة إليه كل وقت بالعبودية، والطلب رغبة ورهبة مع التوبة والاستغفار الدائم؛ لأن العبد لا بد له من التقصير فيشيء من واجبات الله، أو التجرؤ علىٰ بعض المحرمات. وبالتوبة الملازمة والاستغفار الدائم ينجبر نقصه، ويتم عمله وقوله.

وأما النصيحة لكتاب الله: فبحفظه وتدبره، وتعلم ألفاظه ومعانيه والاجتهاد في العمل به في نفسه وفي غيره.

---

(٣٣٠) أخرجه مسلم (٥٥).

وأما النصيحة للرسول: فهي الإيمان به ومحبته، وتقديمه فيها علىٰ النفس والمال والولد، واتباعه في أصول الدين وفروعه، وتقديم قوله علىٰ قول كل أحد، والاجتهاد في الاهتداء بهديه، والنصر لدينه.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين -وهم ولاتها، من الإمام الأعظم إلىٰ الأمراء والقضاة إلىٰ جميع من لهم ولاية عامة أو خاصة-: فباعتقاد ولايتهم، والسمع والطاعة لهم، وحث الناس علىٰ ذلك، وبذل ما يستطيعه من إرشادهم، وتنبيههم إلىٰ كل ما ينفعهم وينفع الناس، وإلىٰ القيام بواجبهم.

وأما النصيحة لعامة المسلمين: فبأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويسعىٰ في ذلك بحسب الإمكان، فإن من أحب شيئًا سعىٰ له، واجتهد في تحقيقه وتكميله.

فالنبي ﷺ فسَّر النصيحة بهذه الأمور الخمسة التي تشملُ: القيام بحقوق الله، وحقوق كتابه، وحقوق رسوله، وحقوق جميع المسلمين علىٰ اختلاف أحوالهم وطبقاتهم. فشمل ذلك الدين كله، ولم يبق منه شيء إلا دخل في هذا الكلام الجامع المحيط. والله أعلم[٣٣١].

فوائد الحديث:

وللنصيحة فوائد عظيمة:

١- أنَّ الدين لا يتم إلا بها، بل هي الدين كما ذكره ﷺ.

٢- أنَّ الناصح لله ولرسوله ولكتابه وللخلق نفسُ عملِ قلبه هذا واستعداده وتهيئته للنصيحة من أكبر الأعمال المقربة إلىٰ رب العالمين،

---

(٣٣١) انظر: كتاب (بهجة قلوب الأبرار) حديث رقم (٣) للعلامة عبد الرحمن السعدي.

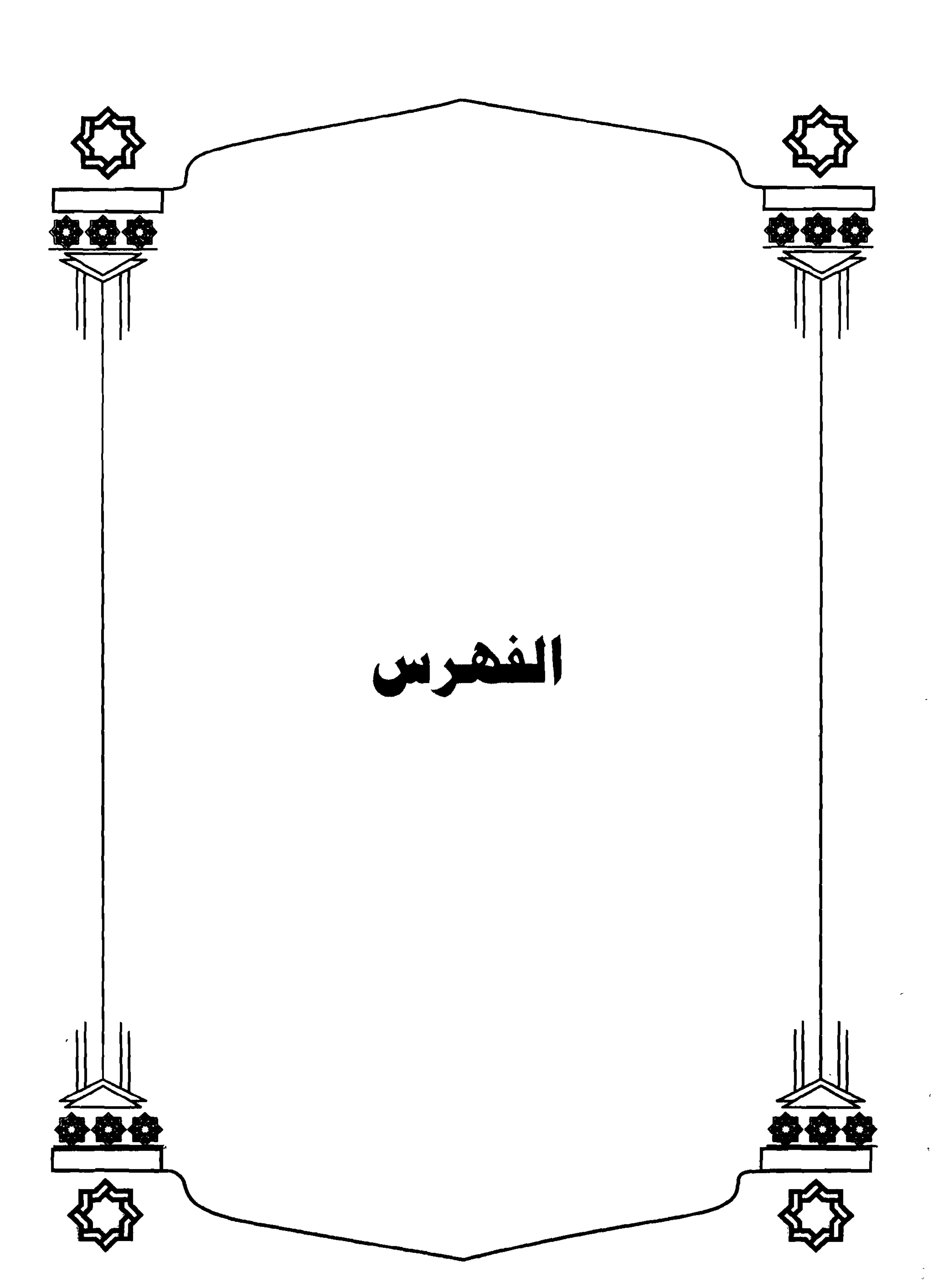
فما تقرّب أحد إلىٰ الله بمثل توطين النفس علىٰ النصيحة الشرعية المذكورة، فالناصح في عبادة مستمرة إن قام أو قعد، أو عمل، أو ترك العمل.

٣- أنَّ من عجز عن العمل الديني إذا كان ناصحاً لله ولرسوله، ناوياً الخير إذا تيسر له، فإنَّه لا حرج عليه، ويشارك العاملين في عملهم، فإنَّما الأعمال بالنيات.

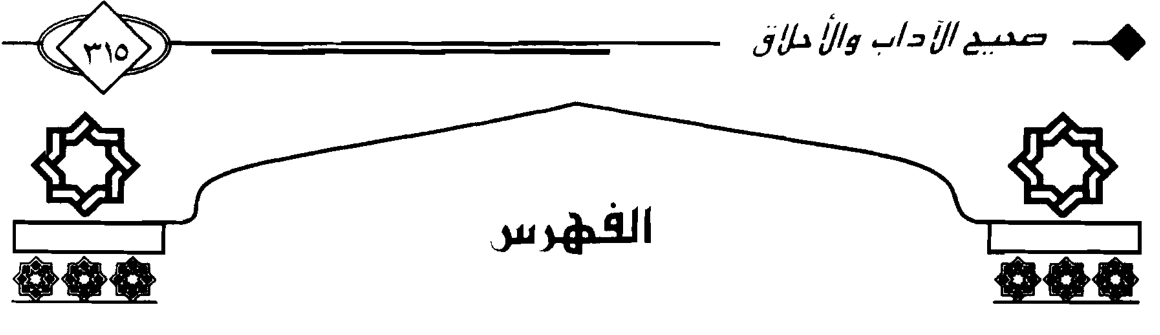
٤- أنَّ الله ييسر للناصح الصادق أموراً لا تخطر له علىٰ بال، وأنَّ الساعي في نفع المسلمين إذا كان قصده النصيحة، فإنَّه يفلح وينجح، فإنْ تم ما سعىٰ له فعلاً وهو الغالب وإلا تمَّ أجرُهُ، فمن عجز عن بعض عمل قد شرع فيه تمّم له ذلك العمل. قال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء:١٠٠].

٥- السلامة من الغش، فإنَّ من غشّ المسلمين في دينهم ودنياهم فليس منهم، والغش من أشنع الخصال القبيحة في حق القريب والبعيد، والمخالف والموافق.

❁ ❁ ❁



الفهرس



الفهرس

القسم الأول: الآداب